الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef



شارل دانتزيك
CHARLES DANTZIG

أُدْعَى فَرَانْسْوَا

Je m'appelle François

رواية

أَدْعَى فَرَانْسْوَا

Je m'appelle François





بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1430 هـ - 2009 م

ردمك 978-9953-87-597-2

منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef
149 شارع حسيبة بن بوعلي
الجزائر العاصمة - الجزائر
e-mail: editions.elikhtilef@gmail.com



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: bachar@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

عارٌ على الرجل تمني العيش طويلاً
إذا كان يكتفي بالانتقال من شقاء إلى
آخر.

سوفوكل، أجاكس





العالم بطائرات خاصة". وقد وصفه المعلّق "بأمير هوليود الصغير". عرضت صور له في لوس أنجلوس بصحبة ممثلين مشهورين، وعرضت مقتطفات من تقرير حيث يدخل ممثلين إلى فندق في لاس فيغاس يضعون الصورة على الزجاج الخلفي للسيارة حيث يبدو وجهه غامضاً لكن مميزاً محاطاً بدائرة حمراء. كان يتحدث مع أشخاص عن الرصانة والجدية والتبصر بأسلوب متبجح. بعد انتهاء العشرين دقيقة من التصريحات، أصبح أكثر رسوخاً في مخيلة الجمهور من شخصية أسطورية. أرسين لوبين، روبن هود، فرانسوا داريه. بعد العرض الأخير شوهد وهو يفرك قدميه، يقف، يتقدم باستياء بلباس كبير ثم يمد يديه العاريتين ذات الأكمام القصيرة نحو شرطي شاربه كبير يقوم بوضع الأصفاد في يديه. "فرانسوا داريه الرجل الذي سرق ثلاثة مليارات".

عدم انتظار شيء

عندما تخرج من "تاربس" باتجاه الشمال، تجتاز حياً سيئ السمعة في الماضي يسمى لوبادير يشتمل على بضعة أبنية نستطيع وصفها بالأعمدة استناداً إلى أهمية سكانها المحليين (60 ألف نسمة) ثم نصل إلى قرية بوردير سور إيشيس. بوردير بلدة صغيرة لكن فيها منطقة تجارية تسير نحو الإفلاس منذ التسعينيات. بعض الطرقات تقسم الريف إلى مربعات تحدها صالة مبيعات، مركز إطفاء، ومستودعات. وتنتهي إحدى الطرقات بدون مخرج، عند حدود حقل تزرع فيه الذرة الرفيعة. عندما كان صغيراً، كان فرانسوا يذهب بصحبة أصدقائه. كانوا يسيرون بين السنابل التي تفوقهم طولاً ويقتلعون بعض السنابل المثمرة التي تتدلى منها مجموعة من الخيوط المجعدة. من هذه اللحية كانوا يملأون صناديق سميكة مكتوب عليها "الجمهورية الجديدة في البيرينيه". كانت السجائر تستهلك بسرعة وكانوا يحرمون منها الصغير (كلافيري) المغفل مثل والدته الذي يردد طيلة الوقت أن الفاصوليا مزروعة تحت الذرة. كان كلافيري، يحب فرانسوا الذي كان يدس له في جيب قميصه سيجارة، قد أمضى طيلة بعد الظهر في تاربس منتظراً أمام المحلات الجديدة للمفروشات. أجل، هذا هو، انتظار لا شيء.

كان هناك خمسة أو ستة شبان أذرعهم متمايلة يخرجون من سيارة بورش ثم يعودون إليها ببطء النباتات البحرية، تنظر إليهم



التي أعطتها له أمه. كان بإمكانها رفض السماح له بالخروج كونها عندها مبادئ وهي أم. انطلق بالدراجة بعد إدارة المحرك. في ظلمة الليل، كنا نسمع غناء فرانس غال منبعثاً من المنزل الصغير البشع. وبصوت مصحوب بنغمة حلوة، كانت هذه الدمية التي قاست شقاء الملكة تغني: "إني أقول لك إنني لم أبكِ أبداً".

البرودواي

سـمحوا لـه بالدخول إلى بـرودواي. كان يأتـي غالباً دون أن يسبب فوضى حسب قول صاحب البار، بشعره الاصطناعي المجعد، الأول في المدينة والذي يعطي انطباعاً أننا في أميركا. الجدران من الطوب الأسود وصندوق الأسطوانات المزخرف وفي طرف البار، وهناك شـاب يوزع الموسـيقى من غرفة. كان فرانسـوا يتناقش مع عامل التنظيفات الجالس على كرسي متحرك. قال الساقي إنه عندما لا نكون من أصحاب النفوذ أو المشاهير وليست لدينا علاقات من الأفضل الجلوس مع من يفتحون الباب. وبحركة معبّرة قال: لماذا إذن يدعـى الطـارد من وقـت لآخر إلى المقهى؟ في الليسـيه، كان يذهب لرؤية الأسـاتذة في نهاية الدروس ليهدئ بابتسـامته قلوبهم المحبطـة بعـدم مبالاتـه للتعليـم، وكان يناقـش أيضـاً مـع موظف المكتبـة التي لا يسـتعير منهـا أبداً أي كتاب في بعض الأمسـيات، كان يصـل ومعـه الكثيـر من المـال، حوالى خمسـمائة فرنك، كان سعر كأس الويسكي - كوكا عشر فرنكات. وكان مستخف جالس علـى الكونتوار يقـول: "فرقع الباسـكال". وكان فرانسـوا الصغير، يخرج بتفاخر الورقة النقدية التي يشبه الرسم المطبوع عليها بونابرت حسـب قوله. كان يشـعر أنـه إله هـؤلاء المتذمريـن الدفقين الذين شكلوا يوماً ما سياجاً مزدوجاً من خلال مسك الأيدي ويرمونه في الفضـاء وهم يصيحون: "كرة، كرة، كرة!" كان والده يقول إنه بهذا





صوت في الشارع

عند الصباح توجه فرانسوا إلى الليسيه في الوقت المحدد، بعدما أخذ الكأس من يد والدته النائمة ورفع ذراع محرك الأسطوانات الذي كان يحوزق. يبدو أن العائلات نماذج. هناك عائلات حيث الجميع عمره 12 سنة وعائلات أكولة وعائلات تحتقر فيها النساء الرجال وعائلات لدى كل أعضائها تشنج ليس بالضرورة متشابهاً وعائلات مغالية وعائلات من السحاقيات... كانت عائلة فرانسوا داريه عائلة من زوجات الأخوة حيث الرجال بعيدون عن طريق الطلاق، الموت أو الهرب. كن تعشن مع عشاق فصليين، يتحدثن كثيراً ويشربن. كانت والدة فرانسوا وزوجة أخيها وزوجة أخ الأخيرة وزوجة أخ جدتها، المرأة الثانية للجد الذي توفي وكانت الأولى تعيش معه بحالة وئام في شقة صغيرة متداعية في شارع رطب قريب من ساحة ماركاديو، كن تجتمعن بدون مناسبة خاصة. وكان خمر العنب والبيرة يجعلانهن ثرثارات وترتفع وتيرة الصوت؛ كانت جدة فرانسوا والدة أمه تترك في كل الأوقات إذاعة مونت كارلو مفتوحة.

في وقت من الأوقات تنسحب إحداهن من الصياح وتقوم بتحريك كأسها وهي حالمة وتدندن عبارات من "هذا نشيد الحب وأنا العقدة"، التي كان المذيع يعلن أنها منتقاة من الألبوم الأخير لجاك دوترون مهداة من جوجو إلى ليلي ونأمل أن لا تقول له ما

تقوله الأغنية، أوف، أوف، أوف".

صدم كل هذا فرانسوا الذي تعتبر رقته ضعفاً أو أسوأ أمام هذه النساء. لم تكن الأسرار الفظيعة للعائلات أسراراً في عائلة فرانسوا. وحدها البورجوازية تعرف كيف تحميها حسب رأيه، فأحفاده يجهلون أن جدهم عاشر عشيق ابنته الذي أصبح زوجها لاحقاً. وكان كل شيء يعرض عن طريق عائلة داريه. لنقل داريه بسهولة: مع طلاقاتهم وزيجاتهم المتجددة وحالات الطلاق المتجددة، وكانت تتألف من أكثر من اسم، ومعظمها شبيه باسم والدة فرانسوا التي استعادت اسمها وهي عزباء وكانت تدعى عبادي.

كان فرانسوا يشعر بسعادة كبيرة في الليسيه، لم يكن يحب الدراسة، لكن المكان كان ذات جاذبية لا توصف مقارنة مع البيت. كل ما ينفّره من معظم زملائه، صالات الصف المنظمة، الوقوف بالصف بانتظام، الوقوف عندما يدخل الناظر، يفتنه؛ لكن إلى درجة العمل، وقد أصبح أسطورياً عندما ضبط وهو يرسم خطاً على نسخة من كتاب علم الهندسة وهو يتكئ على نعل حذاء موكاسان. وفجأة انحسرت سعادته مثل الموجة وبدا بعيداً في داخله. ولاحظ كلافيري أن ذلك يحدث عندما لا يكون محط أنظار، كانت لديه حساسية كبيرة وخجل فتان قاده إلى الموت في يوغوسلافيا السابقة! بسبب عدم جرأته مزاحمة رئيسه في إحدى الهجمات، بقي واقفاً وتلقى طلقتي HK G36E في رأسه. لاحظ فرانسوا وهو يقول من القادم دنو الأستاذ. وقام الأخير عوضاً عن توبيخ الأخير بعبارة خنزير، ابتسم للشاب المنحني الرأس المطلي الحذاء وفتح يديه وهو يرفع كتفيه. كانت والدته محبطة بهذا الكسل ولم تفاجأ به.





رائحة ملابسه لكن والده طرده نهائياً قائلاً: من هنا وهو يشير إلى الاتجاه الذي كان دانتون يشير إليه بإصبعه ثم سقط على الأرض وهو يفرقع.

كان فرانسوا يجتاز هذه الساحة متجهاً لزيارة جدته حيث كانت النساء تنتظره لتناول الغذاء. بعد دقيقتين، سوف ينسى النهار، الوقت والتفاصيل الخارجية للحياة. كل ما سيتذكره أنه كان متجهاً من الليسيه إلى شقة جدته. من مكان ما خلفه أو ربما من جانبه أو فوقه من يعلم؟ تلقى ضربة. كان صوت رجل أو امرأة؟ بكل حال تردد الصوت بداخله بعنف لدرجة أن المدينة بكاملها سمعته. كان الصوت يقول: "ابن العاهرة".

كان يعرفه لكنه لا يقوله، منذ بضعة سنوات وبينما كان خارجاً من المدرسة قبل نهاية الدوام ذهب إلى شارع برتراند بارير. لم يذهب إليه سوى مرة واحدة، يوم أحد عندما أوقفت والدته سيارتها لشراء حذاء. قالت له: سوف أعود. هو في الطابق الأول الشباك إلى اليمين. صعد إلى الطابق الأول، وقرع الباب إلى اليسار. قالت له: "ماذا تفعل هنا؟" كانت ترتدي تنورة جديدة من الجلد.

- لقد ألغي درس.

- أجل، لكنني أنتظر شخصاً، لماذا لم تذهب إلى البيت! خذ دراجتك واذهب.

- لقد تركتها في ديسيكس (الكلية).

بعد دقيقتين من تبادل هذه الجمل، وضعته في غرفة الجلوس حيث أدارت التلفزيون ورفعت صوته عالياً ثم دخلت إلى الغرفة المجاورة وأغلقت الباب بقوة. كان فرانسوا مهتماً ببزة المنسق عندما

رآها تخرج وتفتح باب المدخل وتمر مجدداً أمامه يتبعها رجل أدار رأسه نحو النوافذ. كان المنسق يمنع نفسه من الضحك عند سماعه لكلمـات فلكية حمراء. حصل صوت غريب على المسـرح. كانت الفلكية تسـمع بجدية السـؤال المباشر للمشاهدة. كلا، إن الصوت يصدر من المنزل بالتحديد. ودون تخفيض صوت التلفزيون، اقترب فرانسوا من الباب.

سمع التأوهات والكلمات "يجب مصّه". أقفلت مخيلته على هـذه الكلمـات وقامـت بدفـع الجملـة إلى أعماقـه: حملـق بعينيه بالتلفزيـون محـاولاً إبعـاد أي إلهاء ممكن. بعد ذلـك بوقت قصير فتح الباب وتظاهر بالنوم. كانت كلمة "مصّة"، بعد ذلك بسـنوات، تجعلـه يغضـب أمـام الآخريـن الذيـن لا يعرفـون أن هـذه الكلمة بشـكل خاص أيقظت غضبه والتي سـوف ينساها مع مرور الوقت. لا يستطيع المريض بالوسواس لا يستطيع تحمل سماع كلمة نحيل في نقاش لا علاقة له بالصحة إذ إنها بالنسـبة له تشـير إلى إمكانية المـرض وتصور نفسـه هزيلاً، محتضـراً، ميتاً. غيّر فرانسـوا طريقه وذهـب إلى شـارع بروهوبـان. بين المحلات لهذا الشـارع الطويل الضيـق التـي تنظر إليه مثل الكثير من العيون بـدا الفتى الذي يرفع ظهره بشـجاعة أمام نفسـه وتحت وطأة مطر من السـكاكين بحالة حيرة من الخجل.

تسـلى فرانسـوا بلعبة Pac Man في أحد المقاهي التي تحيط بسـاحة فـردان. كان الوجه المسـتدير الذي تلاحقه الأشـباح يأكل المكعبـات البيضاء مع صوت صفارة الشـرطة الأميركية. كُل، كُل! عندما شهد لابات يدخل بعد طرده من الدرس ترك له مكانه حتى





بابي باكو

أمـام سـوق التوفيـر، كان رجـل عجوز قصير وسـمين أفطس الأنف يجلس على ركبتيه كلب لونه أحمر في سيارة مرسيدس بلون الكسـتناء. كانا ساكنين وكان الكلب يضغط بقدميه الأماميتين على المقـود. كان الضـوء الباهت للسـوبرماركت ينعكس على الزجاج، وخلـف الواجهة الزجاجية كانت موظفة الصندوق المرتدية قميصاً أخضراً تنتظر دون تعبير عند طرف سـجادة الكاوتشـوك المتحركة. شـاهد الرجـل مجموعـة مـن الأكيـاس البلاسـتيكية تخـرج مـن السوبرماركت وصوت يناديه "باكو".

مدّ الكلب فمه وهو يرتجف، وضعه الرجل بهدوء على المقعد الخلفي ونزل من السـيارة. كانت السـيدة التي يشـبه صوتها صوت الطبشور على لوح أسود والدة فرانسوا. كان زوجها الإسباني المنشأ يعمل طبيب أسنان في الزمن الذي لم يكن من الضروري الحصول على دبلوم لممارسـة المهنة، وقد طرده صاحب العمل لأنه سـرق مئتي غرام ذهب، وكان يعمل عند صانع أقفال طرده بدون سبب ثم شـارك صاحب كاراج محكوم بجنحة التزوير وبمهن أخرى عديدة وشـراكة من نفس النمط، ومنذ حصوله على التقاعد، عمل سـائقاً لزوجته التي يتجنبها بقية الوقت وهو ذاهب لزيارة أصدقائه.

قالت الجدة وهي ترى فرانسوا يحاول الفرار: هيا، ساعدنا!

اقترب وهو يتظاهر بالفرح، قالت: "أجل، أجل" بينما كان يمد

رأسه ليقبلها. قام بحمل أكياس البلاستيك إلى السلة التي كان جده يحملهـا مفتوحة. بعد ذلك وبعد الانتهـاء قبّل جدته على خدودها الخشـنة مثـل مبـرد الجبنـة. رمقـه العجوز بنظـرة وأقفـل صندوق السيارة. رفعـت الجدة كتفيها وقالت: هـل أحضرت عصير التفاح للصغير؟

جالسـاً في المقعد الخلفي، تفحـص أعناق أجداده، كان عنق جـده طويلاً، مسـطحاً، مكتنـزاً، مغطى بطبقة من الشـعر المحلوق وكان عنق الجدة طويلاً، ضعيفاً، يغطيه شعر مصبوغ باللون الأشقر. ثنائي، كانت جدته ترغي وتزبد لأنها موجودة بصحبة زوجها وابنتها وزوجات إخوتها وكانت هناك ضحكات وهزء. لم تبد أي ملاحظة لغياب فرانسوا عن الغذاء. لم تطرح عليه والدته الكثير من الأسئلة عندما أفرغ الكيس المليء بعلب اللبن في البراد. كان يدور حولها ويلقي بكلمات وجمل ليعطيها الفرصة لصفعه، وتوبيخه والحديث معه لكنها لم تفعل.

في محل البيتزا، روى له جده مرة أخرى ماضيه الغريب. روى لـه البطولات، المهارات ومواجهة المخاطر. "في هذه الدنيا يجب على الأمر تدبر أمره". منذ سنوات كان يعلّمه أن عدم الأمانة، دليل قوة في عائلة تديرها النساء. ثم علّمه الإثراء بطرق غير شرعية في الخفـاء وكان الأمـر يسـليه، ويقـول له "حتى لو خسـرت، لا تظهر أنـك هزمـت". كانت لاأخلاقيتـه المبررة بعبارات تذهل فرانسـوا. وكان بابي باكو يهتم به. كان هناك نظرة ولمسـة بإصبعه على خده وقبلـة غليظة. وأخيراً مع ملابسـه المنشـاة والخاتـم الذهبي الرفيع في إصبعه، كان الوحيد الذي يفهم ما يسميه الآخرون سحره. قال





إلى القلق. توعدوا بعقوبات وكانوا ملتحين. قال الدكتور لاكرامب، الذي كان باحثاً، وهو يرفع إصبعه: "القوة إلى جانب اللحية". عاد من الولايات المتحدة مع زوجته عبر المطار. في مطار أوهار وبينما كانا يخرجان من الطائرة القادمة إلى باريس، وضعت مجموعة من الأميركيين إصبعها على جبهتها وهم ينظرون إليهم. تساءل مورالي إذا كان يتوجب عليه شراء ذهب. جنون! ردّ الدكتور لاكرامب: الاشتراكيون يستعدون لإصدار شهادات، يجب التصريح عن كل شيء. ومع الضريبة على الرأسمال التي تحضر، أضافت جنفياف لاكرامب إذا اتبعنا نصيحة أخيك". قال جيرار مورالي لزوجته... الولايات المتحدة...

انتظروا مراقبة التحويلات المالية أجاب الدكتور لاكرامب. ثم ذهب إلى بيته في الجبل في سيارة الرينو 8 حيث خبأ سيارة السيمكا.

في بداية شهر تموز ذهب جيرار مورالي إلى مكتب الدكتور لاكرامب.

- سيد مارتينيز.

كان السيد مارتينيز رجلاً عجوزاً قصيراً، أفطس الأنف يرتدي بزة رمادية وكرافات وقميص طويل. كانت ملابس مارتينيز تطمئن جيرار مورالي فهو يخشى الأشخاص الميسورين. لفظ لاكرامب كلمة إيداعات. أبدى مارتينيز تردداً. ترك جيرار مورالي يتحدث والذي جعله القلق يثرثر، وانتهى بوضع أكواعه على ركبتيه وضمّ أصابعه وتحدث بصوت متهدج بلكنة إسبانية. لقد أبلغه أصدقاء مقرّبون من الحزب الاشتراكي عن قوانين متوعدة. قال جيرار

موراليـي: "بما تنصحنا؟". رفع مارتينيز رأسـه وانتصب ببطء وثبت في مقعده دون الاتكاء على الملف وأغلق شـفتيه وقطّب حاجبيه. بعد ذلك بقي صامتاً. بعد بضعة ثوانٍ انحنى مجدداً ونظر جانباً كما لو كان يخشـى جواسـيس. همس. كندا، لوكسـمبورغ، لِشتنسـتان، الباهاما مراقبة بشكل دقيق، سويسرا لا أتحدث عنها. خلال الحرب كنـت نشـطاً فـي البيرينيـه وقد نجوت عـدة مرات مـن الألمان. لا أعرف إذا كان خطراً أن... ربما هناك وسـيلة... بلد صديق لفرنسـا حيث نستطيع التنظيم بسرية... صيدلي من تولوز... لكن بأي حال، الأمـر خطير تابع وهو ينظر نظرة قاسـية باتجاه جيرار موراليي. قال وهو يتكئ على ذراعي الكرسـي ليقف: دكتور لاكرامب أؤكد لك بثقـة أنك تسـتطيع القيام بذلك لكل الأشـخاص الموجودين هنا". أبقى مارتينيز يديه على ذراعي الكرسـي ونظر إلى الرجلين ثم عاد إلـى الجلوس وقال: "لقد تعرضـت غالباً للخيانة". الأرجنتين، لقد اشترى هناك قطعة أرض مساحتها 8 آلاف هكتار مع ستمائة رأس بقر ولم تعرف الإدارة الفرنسية بذلك. هناك قطعتا أرض للبيع قرب سانتافي، في منطقة البامبا سب معرفته. أقل أهمية من التي اشتراها، كان الأرجنتينيون يرفعون الأسـعار مع كل إعلان لنائب اشـتراكي، لكن يبقى الأمر مهماً. خاصة عندما نفكر بالانحسار القادم والمؤكد حسـب مصادره. سبعة ملايين فرنك، أجل هذا غالي لكن ستصبح 13 مليون خلال ثلاثة أشهر. وعمولتي؟.. أيها السادة ستكون معقولة مع المصاريف كوني سأذهب إلى إسبانيا مرة أو مرتين بالطائرة.

تشـارك جيـرار موراليي والدكتـور لاكرامب ودفعـا كل منهما مليونـي فرنـك مقـدم، الأول سـبائك ذهبيـة والثانـي قطعـاً نقديـة



يخططون وأنا أرحل

أمام المنزل كانت سيارة صغيرة قوية متوقفة، وكانت مرآتها الارتدادية تتدلى مثل قفاز ملاكمة. دخل فرانسوا إلى حقل الذرة وقام بدورة طويلة ووصل إلى تاربس سيراً. لا ينطلق القطار قبل ساعتين لكنه أراد مغادرة البيت دون لقاء والدته. لقد كادت تصاب بحادث لكن من يدري؟ عادت وخرجت مع شخص كغيرها من المرات حيث تركته ينام وحيداً في البيت. كان يبقى في غرفته وعمره حوالى ستة سنوات. وبدأ المشهد كغيره من المشاهد. وكغيرها من المرات شعر بخوف. كانت الأصوات تنفذ إلى داخله. كان لديهم شيء غير إنساني وتهكمي. في الغرفة المجاورة، حصل شجار عنيف بين والده ووالدته. تساءل: هذا غير موجود، لا شيء يحصل، سوف تترك المخدة من يديك وتتواجد في عالم رقيق. تزايدت الصيحات، عاصفة من أواني المنزل المحطمة جعلته يركض، اعتقد أن والده سيقتل والدته. ابتعدت وهي تكيل السباب مثاقلة وقامت بفتح باب المدخل. ارتمى عليها والتوت عضلة فخذه تحت وطأة الركض. صرخ "ماما" وتقدم دون الخوف منه، فتحت باب السيارة، صرخ فرانسوا مجدداً: ماما، ماما، طلبت منه الصمت. قالت له والدته: اصمت. بقي ويده في الهواء، شغلت محرك السيارة. كان والده عن درج المدخل مخموراً يلوّح بيده. تراجع فرانسوا إلى الوراء ووضع يديه على صندوق السيارة موقناً أنه لن يوقفه لكنه تمنى أن يحصل

شيء ما. خفضت زجاج السيارة وانحنت نحوه وتلاقت الأنظار. تراجعت. مرّ الإطار على قدم فرانسوا. رحلت.

بعد أشهر من العلاج وإعادة تأهيل، استطاع السير بشكل طبيعي وهو يحك كعب قدمه بالقدم الأخرى في الأوقات العصيبة مثل هذه اللحظة في حي من المنازل الجميلة حيث رأى داخل سيارة المرسيدس 450 الجديدة للدكتور لاكرامب. هؤلاء الأشخاص القذرون! بعد عدة سنوات، عادت والدته واستعادته من جدته وعاشا معاً مجدداً. في آخر الشارع شاهد كوريج وهو يقرع باب فونتان. خرج فونتان ومعه كيس ممزق مع حمالة وشدّ بحرارة يد صديقه، ذهبا معاً نحو الليسيه. سوف يصبحان - طبيب وكاتب عدل - مثل والده أو والدته أو العكس، ابن أبيه، ابنَ أمه وقمصان مذهبة. لم ينجح فرانسوا بقبوله عندهما رغم كل جهوده: قدّم أسطوانات ودفع ثمن البيرة وتصنّع واكتسب اهتماماً بالغولف. في الأسبوع السابق، رفضت والدة أستيغ، التي توددت له ربما عن خبث، استقباله مجدداً عندها. لقد رافقه أستيغ إلى بوردير وعندما عادا من شراء الكوكا التي لم يبقَ منها شيء، رأى سيارة والدته تعود بعد فترة ووجدهما هادئين جداً في الداخل، هي ممددة على الكنبة وأستيغ عند قدميها ويد أدلين عبادي على خدها. كان جهاز التلفزيون يعمل: "وخلف صفارات قطار أسرار الغرب بدا لفرانسوا أن والدته تتمتم: "دائماً في الوقت المناسب هذا الولد! قال: أنا لا أكرههما وهو يضع شنطته المصنوعة من القماش لإراحة كتفه. الكره، هذا شكل من الأمل وأنا لا أتأمل شيئاً: سأتصرف. كان جده الذي لا يتكلم الفرنسية بشكل جيد يعرف كلمة ثقة: عندما تقول الأشياء بثقة يصدقك 90 بالمئة

مـن الناس". مع الثقة وهو يرتدي كرافات، ذهب عند معبئ خمور وبعد توقيع اسـم أستيغ على وصل الاستلام، حصل على صندوق شمبانيا قام ببيعه لأحمق في صف البكالوريا (ث).

دفعـه الملـل والبـرد للدخول إلـى مقهى قـرب المحطة. كان مجندون يجلسـون منحنييـن على طاولة أطرافهـا محروقة بأعقاب السـجائر يحكّـون رؤوسـهم المليئـة بالجـراح، بينمـا كان جونـي هوليداي يغني. فكّر فرانسـوا أنهم يعدون خططاً للمسـتقبل. تقديم إجازة القيادة للشـاحنات الكبيرة. إيجاد امرأة صغيرة السـن جيدة، شـراء منزل. إنهـم يخططون وأنا راحل. فـي القطار يضحكون من الحماقـات، يتزاحمـون مثـل الحيوانات. هذه الخشـونة لن تتركني أبداً؟ تساءل فرانسوا. كان هناك طلاب ونساء عجّز وثنائي شاب مع طفل تركوا مقصورة فارغة ودخلوا إلى مقصورة فرانسـوا. استقروا بأسـلوب متعالٍ وهم يتحدثون بقوة. "أعطني الرضاعة! أغلق عربة الطفـل". بدأ الطفـل الملوث وجهه بالزبدة يصـرخ وضرب والدته عندمـا اقتربـت، وزاد صراخه عندما أصبح على ركبتيها. تركه أهله يفعل ذلك محبوسين في صمت مدقع.

نظرت الفتاة الشابة إلى الطفل بحنان. وقال فرانسوا: أنا مسرور لترك الحياة الحقيقية وهو يغادر القطار عند محطة مونتبارناس دون أن يدفع أو يخضع للتدقيق، عمري 16 سنة وأنا في باريس.

شارع البهجة

كان محبطاً. كيف كان ذلك، باريس، برج، مركز تجاري وطرقات جميلة مختلفة قليلاً عن طرقات تاربس؟ دخل أول شارع صادفه وكانت تحمل اسمها: شارع البهجة هو شارع ضيق ويصعد نحو ساحة مستديرة وعادية. أبلغه صاحب مقهى الألعاب الرياضية أن هذه الأبنية البيضاء تسمى "حجر باريس"، وجد أهل هذا البلد مغرورين لتسمية حجر ما هو جص، أضاف صاحب المقهى بلهجة تحدي: "أنت من مرسيليا". في إذاعة RTL التي يسمع اسمها لأول مرة، أعلن مذيع صوته مرتعش الأحوال الجوية ليوم غد. إنها ستمطر. اقترب الساقي الذي يرتدي بنطلون أسود لامع وحذاء وسخ نعله من كاوتشوك وهو يحمل صينية في الهواء كما لو كانت قاعدة تمثال لقديس نادر، نظف الطاولة بممسحة رطبة بشعة أكثر من أنقليس ميت، وأخذ طلبية فرانسوا باشمئزاز حاجب من بلاط الصين. قرّر فرانسوا تغيير لهجته وتغيير المقهى. وضعت خادمة الفطائر الفظة والمتعالية، طبقاً كبيراً من الصلصال الرملي يحتوي على طلمية رمادية على الطاولة السوداء. أزاح الستار الثقيل لمحل الجنس. كانت أضواء النيون تضيء أشياء حمراء. خلف الصندوق، نظر إليه رجل شرقي قصير محدودب نظرة عدائية، رجل شاب نسبياً رغم شعره الأبيض ينظر إليه وهو يتظاهر بقراءة غلاف كاسيت فيديو، تساءل فرانسوا عما إذا كان شرطي. كان فرانسوا

قاصـراً. لحـق الرجل به علـى الرصيف. كان فرانسـوا يمضي ليلته الأولـى فـي باريس عند هذا الصيدلي الـذي علّمه في نفس الوقت معنـى عبـارة "برنامج لثلاثة". كان اليوم الذي فقـد فيه عذريته. لم يظهر حماساً واستنتج أن الحب يمكن أن يكون مفيداً لو لـم تطرده زوجة الصيدلي وهي شابة مملة شقراء، الساعة الثالثة صباحاً. كانت يافطة الشارع الزرقاء اللون تشير أنه موجود في الجادة 12. عاد سيراً على الأقدام في شارع البهجة دون أن يضيع.

حصلـت فجـوة فـي حياته. خلال أكثر من أربعة عشـر شـهراً عـرف القليـل من الأمـور، فقد كان مـن الصعب جداً اكتشـاف ما حصـل فـي حياة رجل وحيد ومجهول في مدينـة كبيرة عندما يبدو مصمماً على الاحتفاظ به سرياً. باريس هي معركة، وخلال الأربعة عشر شهراً، كان فرانسوا يخسر المعركة. كان يخدع صاحب مقهى الألعـاب الرياضية ويذهل خادم المقهـى ميخائيل الذي كان يدافع عن نفسـه ويسـحق خادمة الفطائر بنجاحاته. كان فرانسوا داريه ابن العائلـة الأرسـتقراطية مـن الجنـوب - الغربـي التي نفـي فرع منها إلـى الأوروغـواي في القرن التاسـع عشـر ومنها عمـه رئيس بلدية مونيفيديو. بشـكل مباشـر، فهو متحدر من نسـل غاسـكومْني رفيق دارتانيان الذي ولد في تاربس.

"حسناً" إنه ليس من جيرس؟ مهنئاً نفسه لقراءة نصف القصة الرومانسية لتقديم موضوع، أحضر نسخة من الفرسان الثلاثة سرقها من الفناك القريب: "ليس عبثاً أن عمره عشرين عاماً خاصة أنه ولد في تاربس" مثل دارتانيان.

تخلى ميخائيل الذي هزمته الأرستقراطية وأصبح معجباً دون

تحفظ بفرانسوا. انتهز فرانسوا الفرصة ليقترض منه نقود. أين يقيم؟ روى لاحقاً أن عاهرة جزائرية احتضنته ولم تطلب منه شيئاً بالمقابل. وفي الفناك، شارع رين، كان يبيع الديسكات التي يسرقها للسود في المترو. وادعى متشرد أنه رآه ينام وقال آخرون: إنه كان ينتظر الزبائن الخارجين من محلات الجنس وهو يطأطئ رأسه: كان يكلمهم بصوت منخفض، كانوا يسرعون الخطى وقبل أن يدخلوا إلى سياراتهم كان بعضهم يسبقونه إلى الفندق خلسة. ووفق رواية أخرى، كان يتبع الزبائن الذين يصعدون نحو المستديرة في بولفار إدغار كينيه حيث يوجد شرطي في الخدمة: كان يتظاهر بأنه يناديه وكانوا يعطونه ورقة نقدية لإسكاته.

لدى عودته إلى المقهى، في اليوم التالي لنصف ليلة عند الصيدلي، استعان بدليل الهاتف: لا وجود لداريه (Darré) في باريس بل أربعة داريه (Darret)، كانت مناسبة خروجه الكبير الأول. من خلال البقاء في دائرة الإعجاب في محطة مونت بارناس، لم يغادر مقاطعته الأصلية التي كانت المحطة الحديدية ونقطة الاتصال السرية. ابتعد أولاً عن المكامن.

بدا له شارع الكومندان موشيت وبرج أوتيل ميريديان أجمل من برج مونت بارناس. عاد في اليوم التالي إلى بار الفندق حيث دعا الخادمة بأسلوب متحرر ونادى النادل طالباً كأسي شمبانيا. كانت موسيقى خفيفة تنتشر مع الهواء المكيف. تابع الحديث معها إلى حين بدء عملها، وتركها تذهب بلطف، وعندما ابتعد النادل خرج دون أن يدفع. ذهب إلى متحف بورديل الذي قال له زبون عنه إنه متحف موتوبون. لكنه لم يدخل وحقد عليه. متى

سينسلخ عن ماضيه ومن حاضره؟ وفي العنوان الثالث لأحد آل داريه (Darret)، وجد بناية من الحجر. ففي جادة 16 تكلم غالباً إلى تاربس وبالتحديد إلى باسي. ما هذه الروعة، هذا الهدوء، هذه الأشجار الجميلة؟ عاد لعدة أيام متتالية مستميلاً شابة أرجنتينية كانت تقود طفلاً في عربة. وانتهت باصطحابه إلى منزل مخدوميها راجية إياه عدم قول شيء لأحد. طرح عليها أسئلة عن بلادها. فيما بعد، وبينما رجته مراقبة الطفل في الوقت الذي كانت تذهب فيه إلى مقابلة عمل سراً، أحضر ميخائيل. كانت الشقة لعمه بارون دارّيه (لقب وجده وهو يفكر بتمثال البارون لاريه في تاربس) ابنه بالمعمودية. جالساً على كرسي لويس السادس عشر شرب خادم المقهى كأس بورتو في كأس من الكريستال. اقترض فرانسوا منه المزيد من النقود ولم يعد ليراه أو يرى الأرجنتينية أو الخادمة أو صاحب مقهى الألعاب الرياضية.

الاحتفالات

في الربيع التالي، كان حاضراً في الاحتفالات. تساقطت غوغاء النقاشات من شرفة: في الأسفل، كان ينادي وهو يلوح بيده. كان ضيف مجامل ولا مبالي أكثر من الآخرين ينشر النظام وهو يصرخ. كان باب الشقة مفتوحاً. كان يبتسم لهذا الشخص الذي يلتفت ويسلم على متردد معتاد على المنزل ويتسلل وهو ينظر إلى الداخل كأنه يبحث عن شخص ما. قالوا له: هنا وهم يشيرون إلى غرفة حيث تنتشر القمصان والمعاطف وإلى جانبها مجموعة من الحقيبة. متنقلاً من غرفة إلى أخرى كان يقدم نفسه بفرح: "مساء الخير، فرانسوا داريه". أمام البوفيه كان يفتش عن أسماء غائبين في الحوارات ثم يقول: "أنا فرانسوا صديق ريجيس، أليس موجوداً؟". بالفعل كنا نقول إنه لم يصل بعد. ماذا تعمل؟ يجيب، وهو يتكلم بقوة بسبب موسيقى الآبا التي تجعل الشباب يقفزون على الحلبة وهم يضحكون، أنه يكتب دليلاً عن الأماكن القبيحة من باريس، على سبيل المثال مطعم فطائر الأصدقاء، شارع البهجة حيث تقيم خادمة مقززة: واستنتج "أن ملك المتملقين مسكون بأمراء الحمقى" بلكنة باريسية جديدة، وتحدث بسخرية بأسلوب ميشال أوديار الذي أعادوا بث أفلامه على التلفزيون. نظرت إليه محدثاته كلوتيلد وأستريد ذواتا الشعر المجعد دون ابتسام. تأقلم. وفق الأمسيات وما يمكن أن يتصوره ولا يعرفه الضيوف، كان طالباً في الحقوق

في الأساس، مُنتجاً موسيقياً في إذاعة فرنسا، مصمم إعلانات، وكيل شـركة عالميـة للأغذية التي تبحـث عن طريقة لجعـل اللبن جذاباً وتحـدّث أنـه في مجـال تصميـم الملابس وأنه مسـاعد مخرج في السـينما. لـم يعرف لوك بيسـون أي إنقاذ حصـل عليه من قبل هذا الشـاب الذي لم يعرف أبداً الاسـتديو، عـارض صحافي في مجلة السـينما وكرّر بثقة بحيث قطّب الشاب المحرج حاجبيه واستسلم. وأضاف فرانسوا: "وإذا كان ذلك سيطمئنك، اسمي فرانسوا أوديارد". كان يرقص بشكل سيئ مما زاد في سحره وساعد على فتح زجاجة شمبانيا أخرجتها فتاة مخمورة من الحوض حيث بدأ الثلج يذوب. مازحاً معها حكم عليها بازدراء. "كلا، شكراً، أنت لطيفة لكنني لا أحب الشـرب". في أمسية أسـتريد، جعله كاتو مريضاً أمام الجميع ولـم يلتق بعدها بهؤلاء الناس. يمكن وضع لائحة بكل ما حصل مرة واحدة. تدخين سيجارة حشيشة، تنشق الأثير، التهكم من الحمقى، لعـب الـورق. كان ذلـك مع طلاب متطفليـن بدا له تطفلهـم مثيراً للجدل. كان بعضهم يدرس الاقتصاد في دوفين وآخرون يدرسون العلوم السياسـية. قال أحدهم وهو يضحك: "النخب في فرنسـا". كان يحصل ذلك عند أحدهم، في شـقة كبيرة من ثلاث غرف في شـقق بلدية باريس مسـتأجرة بسعر غرفة حصل عليها بواسطة أحد أعمامه، صديق عضو في البلدية. كسب فرانسوا لكن ما أقلقه أكثر أن يخسر إذا انجرف في هذه اللعبة؟

كان يحـب أكثـر فأكثـر الملابـس الفخمـة ويهتم بالسـيارات ويتفحص الإعلانات عن الساعات الغالية. وصل أكثر من مرة إلى حفلة مع صندوق شمبانيا وذات ليلة مع علبتي كافيار. قال: "كافيار

بيتروسـيان، الأغلى". تهكم شـاب برتغالي وهو ابن البواب. جعل هذا الشـاب المر والمتحمس متأنقاً ولا يغتسـل وينفخ صدره أمام الناس ويقول أشياء مرعبة لكنه كان مليئاً بالشفقة للمعاناة البشرية. من المؤسف أنه لم يتفق مع فرانسوا. بالمجمل، كان فرانسوا يجد بورجـوازي باريس محببين رغم ما سـمع عنهم من السـوء وكانت تنقصهـم الشـدة. ولـو كان أكثر ثراء، لـكان محمياً بشـكل أفضل: مـدّ يـدك، يأكلون ذراعك، قالهـا بابي باكو. كانت هذه الأمسـيات تسـاعده على كسب معيشـته. بالإضافة إلى إفراغ جيوب المعاطف وحقائب الفتيات، كان يقترض المال للعودة بالتاكسي أو كان يعود سيراً على الأقدام أو منتظراً موعد أول مترو إذا كان الوقت متأخراً، ذات ليلة وجد في خُرج على شكل معزاة نفساء ساعة قيّمة استبدلها مقابـل بدلة رجالية عند سـنغالي في مونـت بارناس. أصبحت بالية خلال بضعة أسابيع. دفع فرانسوا لزقاقي لإذلال الأسود الذي دفع القليـل مـن المال. بسـبب مظهره وملابسـه الخمرية وثقته بنفسـه، اسـتعار سـيارة جاكوار لتجربتها مـن جادة الجيـش الكبرى. وكان رجـال الشـرطة يوقفـون غالباً السـيارات الفخمة في الشـانزيليزيه: أكثر شباباً من فرانسوا تأثر الشرطيان من ردة فعله ورأسه المرفوعة ولسانه الصافر وتركاه يذهب دون أن يبرز رخصة قيادة لا يملكها. قـال لأحد اقتصاديـي دوفين الحالم بخدمة مجموعـة كبيرة عديمة الشـفقة وكان مصدومـاً واسـتمع باهتمام إلى عـرض عن العجائب المالية التي يحققها والد فرانسوا أربليه المرتبط بعائلة أرباليه تجار الـورق: "يجـب أن تكون شـريراً مع الصغار وإلا افترسـوك". وهو يظهر إعجابه بنظرة إلى لوحة الزاوية للجكوار التي أوقفها فرانسوا

عند الزاوية لجادة فيكتور هيغو (أشار إلى العاهرة التي كانت تبتعد بخطى بطيئة) وعمل على إظهار تكدره وهو يمد يده لها بعد أن أعطاها بطاقة مرور إلى سويسرا وصحيفة المنبر الاقتصادي لليلة أمس، كان يأخذ ملاحظات عن سوق الورق. أصحاب المصانع الكندية سوف يلتهمون من لحظة إلى أخرى الفرنسيين المنقسمين دائماً وجاهلين القوة التي تعطيها لهم المساحة الشاسعة من الغابات في البلاد؛ اقترح فرانسوا الذي أحضر ثلاثمائة ألف فرنك لشركة مساهمة بين النورماندي وفيلين والتي كان والده (صاحب السيارة) المساهم الرئيسي منها مع مصانع الورق في كيبيك. وضع شروطاً بحيث أراد الأخير المساهمة وهو يرى الشركة مقفلة. إنه لا يستطيع دفع الكثير خاصة بالعملة النقدية... "حسناً لننسى"، أجاب فرانسوا لكنه استدرك ببرودة، "أطلب منك الصمت التام".

في اليوم التالي أعاد له الشاب مئة ألف فرنك نقداً، وللمرة الأولى منذ رحيله اتصل فرانسوا بتاربس. أجابت جدته: دائماً في الوقت المناسب كما تقول والدتك. عائدة من الصلاة التساعية. لقد توفي جدك منذ ثلاثة أسابيع بسبب السكري في السجن. إن الشخص الوحيد الذي كان يثق به والشخص الوحيد الذي وثق به، قال بصوت عالٍ: "سوف أبني له قبر من الرخام".

استيقظ وجلس على طرف السرير باللباس الداخلي. كان ذلك عند فتاة اصطحبها من حفلة، عادةً، كان يبقى ثلاثة أشهر (وقد ذهلت لرؤيته يعود في اليوم التالي في سيارة أجرة يتبعه حمال ومعه ثلاثة حقائب) وهرب منذ بدأت تداعب جذعه وترفع ساقه بعد امتزاج الأجساد وبدأت تصدر صوتاً. ماذا لديها مع الأطفال؟

أمضى ثلاثة أيام عند شقراء فهم أنها تقول له أشياء غريبة، لكنه كان منهمكاً جداً في تغيير حياته ليضحك. استعار من أخرى، مستقيمة ومثالية ورئيسة كشاف وبسيطة ومغرمة ولطيفة جداً خمسة آلاف فرنك (راتب شهر لعامل) جاعلاً إياها تعتقد أنهم سرقوا البطاقة الزرقاء وأن غداً يوم السبت هو يوم إقفال البنوك وعليه دفع مبلغ نقدي للمشرفين على دفن جدته، ومن أجل إعادة المبلغ أعطاها موعداً يوم الاثنين في مقهى كلوني حيث لم يذهب. منجذباً إلى شقراء أكبر سناً منه، قاسية وشرسة، تتألق عندما يجري الحديث عن أشخاص مقربين منها (ربما كانت ضعيفة النظر) والتي أصبحت رائعة مع ألطف نظرة وأروع بسمة في العالم، هرب منها عندما علم أن هذه النظرة تخفي فوضى، وهذه الضحكة تخفي قلقاً مع أنها مناسبة له. احتفظ منها بأغنية كانت تسمعها باستمرار "رغبت أن أكون فنانة". وكان يصرخ بشكل خاطئ في الحمام. كان يستحم ويحلق ذقنه مرتين في اليوم الذي لم تلاحظه السمينة الجميلة التي تشبه وسمة من عصر لويس الخامس عشر، لم تكن تهتم إلاّ بنفسها وتتذمر باستمرار. وتفكر بكل شيء وفق وضعها كامرأة. توقف عن الغناء ومدّ رأسه من باب الدوش وقال لها: "كم هو رهيب أن لا نعتقد بالشخص ولا نفكر إلاّ بأنفسنا! يجب الخروج من الأنا، أن نجعلها تختفي هو السبيل الوحيد للمعيش". عاملته على أنه غير حساس وضاعفت تذمرها. شعر فرانسوا أنه مسجون بين أبواب من الفولاذ: كانت قوية هذه النواحة. كانت شكواها تهوية صحية. بعد أن حطمته رحلت وتحدثت عنه لشخص آخر. تحت النواح، ظهرت الغطرسة لفرانسوا. قال: هذا يعلمك أن لا تحذري.

مصطحبة إياه إلى عيد ميلاد بعد انفصالهما، لاحظ فتاة جالسة في زاوية الساقين فوق بعضهما والسيجارة باليد، شعرها مقصوص وكانت تناقش. كانت تنتبه لكل جملة وتتفحصها بإخلاص وتعمل علـى الإقناع أكثر من أن تكـون على حق. قال لها صديق: "إميلين أنت مزعجة" ونهض ليحضر كأسـاً. شرح فرانسوا أن عليه الرحيل غداً إلى أفريقيا الجنوبية. ولو لمرة واحدة، لم يستخدم فتنته والناس؟ كانت رائعة للنظر، رأسها غريب، ذقنها إلى الأمام، عيونها مسطحة، جمال هادئ، وتبدو فتاة جيدة يمكن تعلم أشياء معها وإقامة علاقة جديـة مبنيـة على الثقـة... حوّلـت نظرها ببطء وهي ترى تكشـيرة فرانسوا. قال إنه يتكلم مثل المسلسلات ثم حياها بإشارة من رأسه وابتعد. ضمن مجموعة من المتهكمين، رأى فتاة تنظر إلى المدفأة وهـي حالمـة حيث توجد صورة طفل. تسـاءل فرانسـوا: أنت! ثم خرج مع شـقيقة المزعجة، فتاة قبيحة متسـامحة تشـيع النميمة أنها عذراء.

عائلة غريبة الأطوار

كان آل لاغولاي يشكلون عائلة عجيبة. لم يكن عندهم تلفزيون. كانوا يستمعون إلى إذاعة فرنسا الموسيقية ويعيشون في منزل مساحته 400م2 في جادة ساكس التي لم يسمع بها فرانسوا خلال وجوده في باريس لمدة سنتين، ولم يشاهد أيضاً منازل بهذه المساحة. تقع منطقة ساكس قرب الأنفاليد في حي معزول حيث يقيم أشخاص مجهولون: ذهل فرانسوا عند وصوله هذا الصباح بسماع مذيع على التلفزيون، قال فرانسوا إنه لو سئل لقال إنه كان يعيش في ديزني لاند. كان يوم تسوق في ساكس واشترى آل لاغولاي ست قطع كوسا وثلاث خسات. كانوا بخلاء. وحتى لو لم تكن والدة فرانسوا تطبخ، كانت الثلاجة مليئة بأشياء لا نأكلها. وقد وجدت بنات لاغولاي صعوبة في الحصول على غرفتين في المنزل بما أن غرفتين مؤجرتين بالسر لطلاب من المقاطعة بتوصية من أصحاب. كانت مدام لاغولاي جالسة في الصالون وقد قادته إليها سيدة قصيرة. كانت شاحبة، خدودها ممتلئة ونظرها صافي، وبدأت مدام لاغولاي بالكلام بصوت أجش شبيه بصوت الرجل: "هذه أنا التي كنت عام 1966 في صورة لسيسيل بيتون متكئة على صيوان مستدير لصالون ماي فير تعبث بأصابعها بعنق تمثال. بعد بلوغ سن الستين يعود الرجال إلى طبيعتهم ويتحولون إلى حيوانات. هناك نوعان: المجترين الذين يسمنون مثلي، والحشرات التي تتجعد مثل

الإمبراطورة أوجين". نهض ظلّ قرب المدفأة، احتاج فرانسوا بضعة ثواني لمعرفة أنه كلب كبير توجه إلى الطرف الآخر من الصالون ودار ست مرات حول نفسه وعاد إلى الجلوس ونام لسانه متدلي جانباً. "هل أنت خطيب الخجولة حفيدتي الصغيرة؟ فرانسوا دو لاموت"، ووجهت نظرها باتجاه صورة إطارها فضي لرجل يضم يديه كما لو كان يحاول حماية كنز.

صدر صوت ووصلت سيدة قالت: "أنا والدة إيمانويل وأعتقد أنك صديقها" وقالت الجدة: "لقد اخترعوا حرف الشدة للأشخاص مثل كنتي، إنها تضعها حيث لا توجد شدة". أجابت الكنة ضاحكة وابتسمت الجدة لفرانسوا قائلة: إنهم لطفاء لإبقائي معهم، فالكبار الذين ينتقلون يشبهون النبات الذي يذبل: يموتون".

لدى علمها أن فرانسوا قادم من تاربس صرخت الكنة: "يا للحظ"، وبدأت الكلام عن الريف. وجدها مغفّلة، ولم يتكبد العناء لشرح أن تاربس ليست في الريف. لطيفة لكن ثرثارة، لا تستمع إلا لعباراتها: "مثل معظم الباريسيين أنا كحلاء ولا أعرف الريف". وجدها سخيفة. وتابعت: "باريس، يا عزيزي باريس بحد ذاتها أهرب منها كباريسية. ووفاءً لوالدتي الذي أمضى وقته وهو يقول ما هو سيئ. مشاعر مبتذلة تجعلنا مربوطين إليها مثل الكلاب أو خوفاً من عدم التعبير عن شيء آخر. ونعتقد أننا أحرار!" وجدها مجنونة. هل تضبط إيمانويل من هذا الجانب الرثائي بينما المزعجة إميلين تشبه والدها الذي لا نراه أبداً؟" قالت زوجته: تاجر الأثريات هذا، يقيم خلال أيام الأسبوع في شقة قريبة من متحف اللوفر ويمضي نهاية الأسبوع في منزلهم في سومور. هذا خطيبك! قامت إيمانويل

بحركة تملق أمام جدتها ثم جلست وهي تحرك رجليها. "كنت في الباص، كان هناك رجل يمسك الحاجز وفي مواجهتي سيدة، زوجته انحنت لقراءة عنوان كتابي. معتقداً أنها تقترب منه، ضربها برأسه بحنان. بدا لي أنها فوجئت وأن الانفصال التي كانت تريد إبلاغه له تأجل لعدة أيام"... عاش فرانسوا عدة أسابيع مع هذه العائلة، واستقر في غرفة إيمانويل. فرانسوا: فرانسوا دي لاموت، ابن طبيب نسائي متقاعد من تولوز (كان التقاعد ضروري في حالة التدقيق)، متخرج من المعهد العالي الوطني للطيران والذي قرّر بعد الملل من الدراسة (نجاح كبير عند مدام لاغولاي الأم) أن يتسجل في العلوم السياسية. أوصلته إحدى الأختين التي كانت تمر من هنا بالسيارة: رأته أكثر من مرة يخرج من البهو الكبير وهو يتناقش مع طالب بدا أنه صديق حميم والذي التقاه منذ خمس دقائق وكان يطرح عليه أسئلة عن استئجار غرفة.

عند الصباح حيث كان مفترضاً أن يتابع الدراسة، ذهب تاركاً إيمانويل مع أهلها في دوفين حيث كلية العلوم السياسية. في المقاهي، كان يدخل في حديث مع السواح ويختلق شخصيات خلال عشر دقائق، بهلوان في سيرك الشتاء، مدير معرض فنون، صاحب محل كلاب للسباق، مصمم سيارات، ابن أخ أمير إيطالي. كانت الشخصية الأخيرة تعجب الأميركيين. رآه ناقماً ووجده مدعياً: أصبح صبي برودواي جواداً يتحدث بلهجة جافة. في المكتبة العامة لمركز بومبيدو التي كان يحتملها لا تشبه المكتبة، قرّر فرانسوا التركيز على النبل، العربات، السباق وأثريات القرن التاسع عشر في حال التقى بأحد بالسيد لاغولاي، ففي أحد الكتب وجد لقب أمير

فانكالانزا. يمكن إيجاد الصحف أيضاً في مركز بومبيدو وبالأبيض والأسود، بالحجم الكبير، ومنها صحيفة المدينة التي تتحدث عن المدن الأجنبية. وكذلك نيويورك، فخلال غداء مع أصدقاء إيمانويل اخترع ابن عم له في منهاتن وإجازة في لونغ إيلاند إبان حداثته. كان هناك رجل يتحدث عن استديو 54 خالطاً مع الجانب الباسكي: كان الأول ملهى ليلي والثاني مطعم. ابتسم فرانسوا ابتسامة ماكرة.

في صحيفة سيتي، صورة للموضة: بزة من السموكنغ مرمية على ذراع كرسي للممثل بوغارت، وكأس ويسكي مسكوب على الطاولة. شعر فرانسوا بخفقان في القلب: الأناقة، اللطف، الحياة المحببة. نسيت أنني أحب الملابس، تساءل فرانسوا وقام بتوبيخ إيمانويل بلطف. كانا مستقليان جنباً إلى جنب في السرير الكبير للغرفة. عبر إطار النافذة الأبيض استقرت غيمة بشكل البريوشة في سماء باريس الزرقاء. كان فصل الصيف، تدلى نهدا إيمانويل الكبيران إلى الجانب مثل الشراب. كانت أكبر منه بخمس سنوات ولم تكن جميلة لكنه لم يشاهد قط جسم مشابه. كانت ناعمة، متماسكة ومتألقة، كان يشعر أنه يداعب مكتباً من الخشب المطلي. في السرير، كانت هذه البشعة الخجولة تصبح شرسة. كانت تداعب فرانسوا وتقوم بكل الأشياء التي يمكن تصورها. اشترى بدلة من عند كينزو. وجدته متفاخراً لكنها لم تجرؤ البوح له، كانت تصبح خجولة عندما تنتهي العلاقة في السرير. قالت المزعجة لفرانسوا: "لا نضع مناديل خلال النهار" غير خائفة من خسارة رجل جميل. اشترى أخرى وأخرى وقمصان وجوارب قالت المزعجة: "لا جوارب سوداء" وأعطته إيمانويل اسم "صاحب الأربعين بدلة"

دون أن يعرف إذا كان إطراء أم لا. كانت والدة الفتاتين تعاملهما بلطف وتفهم وتسامح.

أخذته إيمانويل عند "ليب" محل الجعة في بولفار سان جرمان. انتظرا طاولتهما خلف رجل يضع إيشارباً أصفراً طويل. همست وهي خجولة: "أقول إن الإيشاربات هي أسلوب الرجال المعقّدين". لم تجحظ عيون فرانسوا مثل ابن الضواحي الذي يرى ممثلاً وصحافياً من التلفزيون: اعتاد أن يكون ضجراً. خلف ثنائي من السياح، ابتسم له بلطف عندما أرسلوه إلى الطابق الثاني، ظهر رجل التقاه فرانسوا في حفلة. مدّ الرجل يده لتحية فرانسوا وهو ينظر إلى جانبه. همست إيمانويل قائلة: فرانسوا داريه هل هو اسم أول؟ لكنه لا يعني شيئاً - قال لها: إنه اسم - لكن ماذا يعني؟ أقول لك إنه اسم: صمتت. وجد المدير صنفاً جيداً. لهذا الشاب ذي الأنف الشبيه بالسكين فقادهما إلى طاولة في الصالة الأولى. أخذت إيمانويل لائحة الطعام، وضعتها على الطاولة ونظرت إلى جانبيها، انحنت نحو فرانسوا وتجرأت أن تضع جانباً الورقة الصفراء التي كان يختار منها الأطباق وقالت: داريه؟ استقام ثم ضرب بيده على الطاولة وقال بصوتٍ عالٍ داريه مثل كلب التربص لأنه يبدو أنني أبسط وجهي إلى الأمام عندما أنصت. هل أنت مسرورة؟ خفضت رأسها. عند نهاية الغداء، أرادت أن تدفع ليصفح عنها لكنه بحركة قوية قال: "عند آل دي لاموت لا تدفع النساء". ابتسمت. كم كان لطيفاً! شكرته. أجاب أنه ليس هناك مشكلة.

كانت عملية رعايته من قبل آل لاغولاي تزعج فرانسوا. وجد فرانسوا نفسه عرضة للانتقاد وهو ينظر إلى المرآة في صالة جادة

ساكس رغم أناقته. تساءل: "عزة نفسي" كانت هذه الكلمة موجودة في قاموسه. "عزة نفسي" كان ينشرها حوله. طلبوا منه الملح، كان شرفه في خطر. نكرة من آل لاغولاي يغيظه. كانت الجدة وحدها بمنأى عن انتقاداته. كانت تقول أشياء جدية ضمن عباراتها القاسية. سعلت، وعلّقت قائلة: "الأمراض هي باب الموت. قال لها: "أردت أن أصبح فناناً" وردت: "تمنيت أن أصبح منتجة" لم تكن حساسة إلاّ إذا كانت تسخر مني؟ هل عليَّ أن أكون نزقاً؟ شرفي! شرح أن لديه فواتير لتسديدها. أعطته ورقة نقدية فئة خمسمائة فرنك.

البالاس

كان مسحوراً ببالاس. لم تكن إيمانويل تحب علب الليل، ذهب لوحده، ادعى أنه معتاد قبل أن يصبح كذلك. آه، لقد سمع العبارة المذلة: "إنها حفلة خاصة". وبينما وصل خمسة مدعوين جدد، بغيضين ومهمين دخلوا بسرعة البرق. أكثر إذلالاً: "كلا". كلا بهذه الطريقة، بسيطة جافة ومحققة. والأسوأ أيضاً: "أنت لا". شعرنا فجأة بتضامن مع عبيد النظام القديم. كان موقع البالاس في شارع مونمارتر المفاجأة الأولى. لم يكن حي مونتمارت، شارع علب ليل لأنها موجودة في شارع سان جرمان، أو في المنطقة الثامنة مثل الإيليزيه - ماتينيون. تفاخر فرانسوا أنه زبون في الأخيرة ونسب إلى نفسه نكات سمعها في الحفلات: لقد شاهد أميرة من موناكو ترقص على الطاولات، ومايك جاغر يصفع جيري هول، وسيرج غينسبورغ يقول كلمات بذيئة لفتاة جميلة. في نهاية إحدى رواياته، قال له صديق لإيمانويل: هل دخلت إلى الإليزيه - ماتينيو؟ لم يدخل فرانسوا فقط إلى الإليزيه - ماتينيون بل طلبوا منه الشراكة، وكال بالنكات على صديق إيمانويل بحيث شك بشكه. فكّر فرانسوا أن عليه تلطيف إحدى القصص عوضاً عن رواية عشرة مثل الزهر، أنا أتعب من رفقة هذه النساء. بين مطعم عربي وبائع أشرطة جنس، كان البالاس مسرحاً مهملاً حوّله متعهد عروض إلى علبة ليلية محافظاً على شكله المسرحي.

الفكـرة الأولـى الجيدة: كانت فترة مرحـة حيث الجميع يريد أن يتباهـى. الفكـرة الثانية تكمن في اختيـار الزبائن. لم يحصل في تاريـخ هـذه الأماكن التي كانت تعج بالناس، أن خُلط الميسـورون والجشعون، الأغنيـاء والحالميـن، الشـانزليزيه وباتينيـول، الأنيـق والسوقي. عندما لا نكون مشهورين (نردد أن مغني عالمي معروف منـع مـن الدخول، لكن لم يحصل ذلك سـوى مـرة للحفاظ على خصوصيـة المـكان، لقد طردت عالمة بالفراسـة المغني بأسـلوب متعالـي أكثـر من كارمن لأنـه تحدث معهـا دون تكليف ثم عادت دون ضغينة وقبلته على فمه وكان اسمها جيني بيلير، يكفي أن تتمتع بروح جميلة أو بالعدائية لتدخل. في العمق، إن ما يميز البالاس هو الطموح، طموح للاستـمالة، طموح للتألق، طموح للمرح، طموح للنوم مع إحدى المشـاهير لتذوّق طعم ذلك، الاعتقاد أنك مشهور والسخرية من كل شيء. طموح سخيف، لكن كل شيء محسوب. لـم تكـن لديها أية نيّـة نفعية. ومن مهندسـة الديكور إلـى المتعهد التونسـي، الرقـص للجميـع. إنه الديسـكو، موسـيقى مكروهة من المتمايلين، موسيقى للرقص؟ خيانة للتمردا!

كان الديسـكو يرقـص وكان الإنسـان الجـاد يمتعـض. سـمع فرانسـوا صوت الموسـيقى عند فتح الباب. لماذا تخلت عنه جيني بيلير هذا المساء؟ وضع فرانسوا المسؤولية على تسريحة شعره. لقد قصّ حلاق من منطقة الهلال شعره تاركاً خصلة تتدلى على الجبين، أم أن بدلته الموغلر ذاتَ الكتافيات والمقورة التي كان يرتديها مع بنطلـون لـه ملاقط وقميص من طراز ماو؟ ليس مسـتحيلاً أن ذلك حصل عند وصول الوريث الشاب لسيارات سيمكا الذي يتنقل منذ

عدة أسابيع حاملاً كاميرا تصوير، وأن جوني بيكوزي أخذ صورة لفرانسوا استرعت انتباه جيني و"أنت"، قالت وهي تشير بإصبعها نحو ذلك الأشقر الصغير.

كان البهو الطويل بجدرانه السوداء يخفق مثل قلبه، بقوة أكبر كلما اقترب من الباب المزدوج في العمق. خرج ثلاثة أشخاص تاركين انبعاث بعض الموسيقى. بوم، بوم، بوم، تذكّر فرانسوا احتجاجات جده ضد هذه الموسيقى الجديدة: "عندما نرقص، نرقص كثنائي!" من جيب سترته، سحب نظارات شمسية عدساتها شبيهة بطابة الروغبي، وضعهما ببطء ثم عاد للسير ببطء أيضاً. بوم، بوم، بوم، كان أحد الأشخاص الذي وصل إلى محاذاته ممثلاً مشهوراً. تنحى جانباً ولوّح بيده خلف ظهره، ضحك مرافقوه، بوم، بوم، بوم، اجتاز فرانسوا الباب على وقع عبارات "أحب أن أحب". تحت ما كان في الماضي مسرحاً كان هناك حوالى ثلاثمائة شخص يرقصون. عاشقو الديسكو، كانوا يتمايلون على وقع تحرك المغنية. انتقل إلى هنا، انتقل إلى هناك وهو لامبالي، يستقي المعلومات بنظرة حيادية. كانت هناك لمبات مضاءة تحت الشرفات، لكن الإضاءة الرئيسية كانت مؤمنة عبر مجموعة من لمبات النيون التي تبدو وكأنها تتصارع.

في الجهة المقابلة كان البار تحت إشراف مجموعة من الشبان الذين يذهبون ويجيئون باستمرار، نشطين وجديين وصامتين. انتقل إلى الطابق الثاني عبر درج، كان هناك على الدرجات رجلان يتبادلان القبل بينما ثلاث نساء واقفات تتناقشن دون اهتمام. اقترب فرانسوا من الحاجز المطل على الصالة، نظر إلى الراقصين: كانوا يبطئون

مع وصول الأغنية إلى نهايتها بينما تبدأ أخرى، كان بعضهم يدخن سيجارة وينفجر من الفرح ملوحاً يديه في الهواء عندما تبدأ أغنية أخرى. قال فرانسوا، لسيدة صغيرة شقراء لاحظ نظرتها القاسية عبر عيونها الجميلة، وهو يرفع صوته: "أتمنى أن يضعوا أغنية "فتاة الصين"! أجابت: ولما ليس مايكل جاكسون؟ ارتطم أحدهم بمؤخرته، استدار لكن لا أحد. قام بجولة في الطابق، كان الجميع يدخنون، يتناقشون ويتبادلون القبل. توقف قرب كنبة، تحت الضوء كان هناك فستان من الحرير الخفيف لونه رمادي حافظ على لمعانه داخل المادة عبر سيل من اللمسات. لاحظ أولاً الفخذ بسبب حركة من يد ناعمة لامعة: كان القماش يحيط بها مثل الأسطوانة الناعمة والسلسة، رخام تحول إلى نسيم. سيدة سوداء كبيرة ترتدي فستان قصير من الجلد الأحمر، أحد أكتافها عاري واقفة أمام رجل لا تترك لفرانسوا رؤية سوى أطراف الأقدام وجزء من الجسم ومقدمة ذراع وتلك اليد التي تفتح السترة لأخذ شيء من الجيب الداخلي، رأى القماش من الداخل ولونه رمادي قاتم. خطا فرانسوا خطوة: كان الرجل في السبعين من العمر ويضع نظارات كبيرة مستطيلة وخدوده متهدلة مليئة بالتجاعيد الكبيرة، كان يتلمس رجلاً من الأنتيل يرتدي الساتان. نظر إلى فرانسوا وقال بصوت واضح: هيا بنا لنرقص، صفعه رجل الأنتيل بلطف على خده. بدأت السوداء تتمايل على صوت كارما شالون الذي ينبعث من الحلبة وسط الصيحات. قال أحدهم: "بوي جورج هنا" وحصل تدافع وفوضى عند الحاجز. "بوي جورج هنا، بوي جورج هنا!" سأل أشقر متصنع: "وإن يكن، ماذا تريدون منه هذه المطرقة؟" لم يعد هناك اهتمام ببوي جورج. نزل فرانسوا

ونظـر إلـى الناس يرقصـون بطريقة بطيئة لا يعرفها. سـألته شـقراء تضع دبوس في أذنها: "ألم تر كارل؟". في الطابق السفلي، منتظراً دوره للذهـاب إلـى دورة المياه، رأى السـوداء التي ترتدي فسـتان الجلد الأحمر تقبّل رجلاً ظهره إلى الحائط، كان الرجل يدلك رأسه المحلـوق، عند طرف المغسـلة كانت امرأتان تتنشـقان الكوكايين، صفع رجل إحداهن. كان هناك شاب يبكي. لم يرَ فرانسوا من قبل أشخاص يتصرفون بهذه الطريقة الغريبة مع القليل من الانزعاج. عند صعوده، صادف الشـقراء الصغيرة ذات النظرة القاسية وهي ذاهبة. قال لها: "لقد وضعوا أغنية مايكل جاكسـون. تاركة الشـاب الذي يرافقهـا يبتعد في البهو سـألت فرانسـوا: "هل تأتـي غالباً..."، "أنا صديق فابريس - وأنا أيضاً - لديّ زجاجتي، هل نلتقي غداً؟ بعد غد". عند البار، اشـترى زجاجة بسـعر خمسمائة فرنك المال الذي أعطته إياه مدام لاغولاي وعرض كأسـاً على النادل. إنه لا يشـرب أثناء العمل. قال فرانسوا وهو ينحني فوق البار ويدس قطعة نقدية بقيمة عشـرين فرنـك في جيب النادل: "بصحتـي على أي حال!". وزّع عدة أوراق نقدية لبائعة السجائر ولمفرغ خفية عن جيني بيلير الجالسـة. بالنسـبة للباقـي، لـم تره إذ إن فابريـس إيمير خرجت مع فرانسوا وهو أشقر، لطيف، فوضوي، تاجر، مخترع البالاس.

دائماً محتذٍ وجاهز للذهاب

مع استمراره في معاشرة إيمانويل، عاد فرانسوا والتقى بالسيدة الصغيرة ذات النظرة القاسية. لم يتباه: لقد عرف فتاة حدثته بتهكم عن الرجال: "إن ثقتك تضحكني! إنني أخرج مع شاب جميل يشرح لي بعد معاشـرتي أننا ضعفاء، نحن النساء عاجزات عن فعل شيء لوحدنا وأنني سأكون ضائعة دون رجل معي. وأنا، بينما كان يشرح لـي أشـياء مهمة، كنـت أفكر بالطريقة التي سـأتبختر بها لعشـيقي. فـي الواقـع، عليّ الاهتمام بابن عم مصاب بالسـرطان لا وجود له ثلاث مرات في الأسـبوع؛ وأغادر سريري حيث أترك شاب يسخر من التفوق للانضمام إلى سائق دراجة يقيم على بعد خمس شوارع من هنا، خطر موجود". نام فرانسوا أيضاً مع السوداء صاحبة فستان الجلـد الأحمر مرة واحـدة. كانت كندية. ولدى تفكيره جيداً، رأى أنـه لـم يقابـل أي كندية أو كنـدي من جهة أخرى. كان ما اكتشـفه صعب التصديق.

من بين الأمور الأخرى، عبر متابعته للسوداء إلى مطعم حيث تلتقـي بالرجـل العجـوز لبالاس وجماعتـه (كان رومانسـياً معروفاً حسب قولها له) وكل وسط يمكن تسميته باسمه. فمثلما كان يلتقي بلاعبي الركبي، كان البرودواي موداً جداً بكلمات: برنارد، جان مي، تيتوف، أوليفيه، كي كي، باتريس ولكل منهم قصة شائعة من الحركة والعواطف وكذلك العادات، كان بالاس، باتريس مود، بابيت، هيلين،

جان شارل، عز الدين، غريس، ديانا، جيرار، إليزابيت، لولو، تاديه، جيني وغي. أشار فرانسوا إليهم خلال عشاء لاغولاي. أغاظه جحود المزعجة، لكن أخيراً، تساءل كأنه يعرف فابريس بما أن صورته عن طريق جوني بيكوزي ظهرت في مجلة بالاس. شرفي! بما أنه ليس لديه أصدقاء أو علاقات حساسة تهتم لهذا الإعلان الذي يجهلون وجوده خارج إطار ضيق، استخدمه للدخول إلى بالاس مع ثنائي من السياح ميسورين. وبسبب الحاجة لتجميلهما، اصطحبهما عند حلاق في الهول وإلى محل ملبوسات حيث حصل على عمولة مرة أو مرتين وللحفاظ على المصداقية، أتم مجموعته الثلاثية بفتاة خجولة أو شخص مجهول التقطهما من الشارع. اتفق معه عامل بار على زيادة فاتورة المشروب وسائق ليعطيه جزءاً من عمولته في التاكسي، وفّر له ذلك أمسيات بقيمة 4 آلاف فرنك. شعر بعض المتنزهين بعد بضعة سنوات أنهم عاشوا في البالاس السنوات الأخيرة اللامبالية في أوروبا الغربية بعد الحرب. قال أحدهم: "الثلاثينات السعيدة" وقال آخر: "أكانت هذه هي السعادة؟". نظر فرانسوا لهذا الهذيان باحتقار: "الأشياء موجودة هنا للاستخدام إذا لم نستخدمها استخدمها آخرون"، قال ذلك للسيدة الصغيرة صاحبة النظرة القاسية. كانت إيمانويل تراجع دروسها وهي تفكر بالزواج. في السيارة، دلّها فرانسوا على إعلان للشامبو في مؤخرة باص: "هذا أنا" كان الممثل الذي غطت الرغوة وجهه جزئياً يشبهه. "هذا أنت؟" كان مجرد سؤال: كانت خائفة من خسارته عند ليب، لذلك قررت تصديق كل ما يقول. شرح لها قصة الشعر التي تغيّرت مع فَرْق على الجانب وسوالف قصيرة، إيقاف دراسة العلوم السياسية

وهذه الرواتب التي ستسـمح لي بمعاملتك بالنبيلة، عزيزتي. كانت المائدة زاخرة وكمية الطعام قليلة بأسـعار غير معتدلة جعلته يشـعر أنهم يعاملونه كسـائح، لكنه حسـب أن هناك العديد من الموظفين فـي الشـهر إضافة إلى الإيجـار واعترف أنهم لـم يـروا ابن الذوات جاهلاً مثله للطعام الجيد. كل أم جديرة باسمها مهما كان مستواها الاجتماعي تعرف كيف تحضر الكبدة في الجنوب - الغربي. سألته إيمانويل: كل أم جديرة بهذا الاسم: "هذا غير معقول؟". كان يفكر بالتجارة. ترك بقشيشاً كبيراً للخدم الذين كانوا يتهكمون في المطبخ لكنه كان مع ذلك سـعيداً، أخ يا باريس، قال ذلك وهو يفتح باب سيارة BMW للسيدة الشابة.

عند ظهر أحد الأيام، مرّ بين بسـطات السوق متجنباً الأرصفة النائمة لجادة ساكس. كان موعد السيدة لاغولاي الشابة التي كانت تقوم بنفسـها بالتسوق خوفاً من سرقة الخادمة وكانت تجادل حول الحسومات قبل الإقفال. "أهلاً فرانسوا، كيف حالك، هل تضع لي سـت قطع فيليه سـمك غير كبيرة. وبالنسبة لموظف رمي الرمانات يجب أن أهتم به!.. شـبيهة بالجاهلات التي تصدق أنها من خلال معرفتها بجهلها هي معذورة وتنتهي بأن تكون فخورة، مدام لاغولاي المشغوفة ببخلها تعترف بغرور مؤلـم بذلك، مقتنعة بأنها تحمل صفة غير محببة. قرّر فرانسوا الانتقام من ابنها.

كان إيميريـك لاغولاي يحرك شـعره الأبيـض الذي هو دليل دراساته وشرح أنه من بين 14 ألف متخرج منذ تأسيس الكلية أصبح 11 بالمئة رؤسـاء أو نواب رؤسـاء للمؤسسـة و13 بالمئة جنرالات و24 بالمئة مدراء وعند توظيفه سـوف يطلب راتب 18 ألف فرنك

في الشهر. يوم أحد بعد عودته من غسل ثيابه في محل جوي أون جوساس حيث توجد كليته سخر من القادمين الجدد.

لم يعتبر فرانسوا ذلك موجهاً له لأنه يعرف أن شقيق إيمانويل والمزعجة يحبه كثيراً، أضف إلى ذلك، لا يعتبر ذميماً رغبته مغادرة محيطاً غير سار. عند المساء، في السرير الكبير على شكل سفينة سوداء في غرفتها، قالت له السيدة صاحبة النظرة القاسية: "إن الورثة الذين ليس لديهم سوى الاستفادة من سلطة آبائهم، ينظرون بمرارة للأشخاص الذين يأتون إلى عالمهم كقوة عاملة ويسمونهم بالقادمين". ما وسم توقف احتيال إيميريك لاغولاي أنه إضافة إلى تقليده للآخرين، كان يعتقد أنه ماكر. مع التسامح الذي كان بالنسبة له علامة لياقة، شرح لفرانسوا كيف يقوم بأعمال "من خلال التموضع ضمن هامش معيّن من المساواة". كان عاجزاً عن الكلام بطريقة أخرى غير التورية بلغة المؤسسة الفرنسية. لم يكن هذا ما أثار فرانسوا بل اللهجة. رأى أنها لهجة مغفل. قامت إيمانويل بتخليصه من العادات السيئة ولامبالاته إذ إنه لم يكن يفكر القيام بأعمال حسنة، بل تابع وهو يمزح إضافة إلى ما كان يسميه إيميريك "الخشونة". قالت له إيمانويل الساخطة وهي تتحدث ببطء أكبر من المعتاد وهي تطرد الذباب بيديها الكبيرتين: "لست بأي حال فظ!". أولاً كل رجل لديه جاذبية متحركة مثلك ليس فظاً، رجل جماله جامد، لا أقول ذلك. من جهة أخرى فإن جماله سخيف وليس فظاً حسب رأيي. إنه مثل السوداء التي أريتها لي يوم أمس على شرفة المقهى، عيناها نصف مغلقة مع بسمة كبيرة. كانت جميلة للسخرية... بأي حال أستطيع القول... أنت تعرف، أخي

لطيف لكن كما تقول إميلين، لا نطلب منه قدرة كبيرة للتحليل... قالت المزعجة التي كانت نازلة إلى قاعة الطعام لأخذ الخردل: إنه أحمق. بواسطة ماذا، عزيزي فرانسوا، ليس مبرراً استخدام أسماء من مقاطعتك كما تفعل. توقف عن الكلام عن رولز، وريتز وآل روتشيلد! – قال إيميريك الذي جاء يأخذ غسيله من الغسالة – هذا من المقاطعة – ردت عليه المزعجة: "اخرس أيها الغولاي".

سأل فرانسوا إيميريك: "كيف لا تعرف؟" كان إيميريك يعرف دائماً وأجاب: "أجل، لقد أبلغوني". كان فرانسوا يريد إقناعه بتجارة الورق الكندية. كان ذلك سينفع مع طالب نجيب لكن ليس مع حمار!.. كان إيميريك أكثر تصلباً من المعتاد، ليس بسبب الشك لكن بسبب البخل. قال فرانسوا لعامل البار الذي يعرف تقليد اللهجة الكيبيكية: "إنها تحفة فنية". ببدلة غير منسقة وجناح في فندق جورج الخامس نسي الأخير صباه. كان إيميريك يعبس بشكل دائماً. سرق فرانسوا صورتين من مجموعة السيد لاغولاي وذهل عندما باعهما أنهما لا تساويان الكثير. فيكتور هيغو، جان كوكتو، كان من المهم دراستهما في المدرسة! قام فرانسوا بإخراجهما من إطارهما واستبدلهما بنسخ حضرت بسرعة على أوراق مغمسة بالشاي.

استمرت مدام لاغولاي الأم بإعطائه قطع نقدية فئة خمسمائة فرنك لأجل قول ذلك لكنتها البخيلة. قدم لها فرانسوا شيئاً ما بالمقابل، قصة، استشارة. بصفته ابن طبيب انتحل بعض القدرات المعتدلة، سيقوم بتفحصها في معرض الفناك حيث يواجه تحدي سرقة أسطوانات لرميها في سلة قمامة في ساحة الأبرياء. كانت إحدى القصص تتحدث عن فرانسوا ساغان التي عرفها رومانسي

البالاس. كان رجلاً بدا لفرانسوا من النوع الذي يموت من التهذيب: "خلال الغرق، يعطي مكانه في قارب النجاة لسيدة وهو يقول عفواً – قالت لاغولاي الأم، الأفضل أن تكون صبية، صادف فرانسوا أيضاً ساغان في كازينو دوفيل عندما سقط فيش على الأرض، أمر لا يحدث أبداً. بدقة: قالت ساغان أوه، صغير ضعيف ومنزعج، التقط فرانسوا الفيش وقال: "هل تريدين أن ألعبه لصالحك؟". وجدت ذلك لطيفاً وقد ربح. وقد قالت: "بالطبع فقد أعطيتك إياه". وقد أمضى يومين جميلين في شقتها في النورماندي (لكن دون علاقة غرامية). نقلت مدام لاغولاي الأم القصة إلى صديقة لصديقة ساغان التي نقلتها بدورها إلى الروائية الرومانسية. وردت ساغان أنها صادفت العديد من الناس وقال العديد منهم أنهم عرفوها، فكرت بشكل سطحي أن فرانسوا كان عشيق شاب كانت تحبه وقالت "هذا ممكن". اقتنعت مدام لاغولاي الأم برأي فرانسوا أنها مريضة وأخذت موعداً في المستشفى لإجراء فحوصات. جاء ممرضان من جزر الأنتيل لاصطحابها وهما يناديانها "بالسيدة الصغيرة". دسّ فرانسوا قطعة نقدية في جيب كل منهما: أصبحا لطيفين خلال لحظة. التفت إيميريك نحو صديقته الصغيرة، فتاة شابة ضعيفة وصل معها من جوي أون جوساس ولأنه ابن أمه وبخيل وجدها جذابة لأنها ضعيفة، بينما وضعت نقالة جدته في سيارة إسعاف محاطة بالفضوليين قال لفرانسوا إنه تحدث عن مشروع الورق الكندي مع صديق مطّلع على التعاون مع السوق الأميركي الشمالي: أيّد الصديق وقال إنه يريد الدخول في الشركة.

انتظر فرانسوا حتى إغلاق باب سيارة الإسعاف وقام بتحية

مدام لاغولاي والتفت نحو إيميريك. بارداً، رمق صديقته الصغيرة بنظرة ارتياب ثم عاد بنظره نحو الرجل الشاب. لم يقل شيئاً. وعندما قرّر الكلام، قال أربعة جمل جافة. لم يحافظ إيميريك على وعده بالكتمان، خرج من الصفقة وإذا جرى الحديث معه حولها لا يعرف عما يتكلمان. لا يمكن الثقة بالهواة. تمدّد وجه إيميريك الجميل.

قام فرانسوا بأخذ المرأة صاحبة النظرة القاسية إلى شقة مدام لاغولاي الفارغة بينما كانت إيمانويل وأختها في المدرسة ووالدتهما في بنك الطعام. جالت السيدة ببصرها في المنزل وقالت: "سوف أعطيك سعراً". بعد بضعة أيام حصل فرانسوا على أربعمائة ألف فرنك من إيميريك التي تظاهر برفضها بشدة وأخذها نتيجة إصراره. لم يرَ ابن لاغولاي محفظته تنتقل إلى يد فرانسوا دون ألم في بطنه. وأفسد للحظة القناعة بعقد صفقة جيدة بإعطاء فرانسوا نقوداً أكثر من المتوقع. وقبل الرحيل ذهب فرانسوا لرؤية السنغالية في المطبخ. وكانوا يقولون لها "مطبخك" لمدحها وكانت تقول "مطبخي" متفاخرة. كانت تعمل حوالى ربع ساعة ثم تستخدم أحمر شفاه السيدة وتبصق أحياناً في الحساء. قال لها فرانسوا: "ليس للانتقام، ابصقي في الوسط، لا يجب أن تكوني لطيفة. هذا يتعب الظهر ويخدمهم". لم تفهم كل شيء لأنها لا تفهم الفرنسية جيداً، بحجة أخرى أن مدام لاغولاي الصغيرة لا تدفع لها جيداً. لم يحدثها فرانسوا أكثر لإفهامها. مفتشاً في حقيبة الظهر، سرق البطاقة البرتقالية. كانت هدية الوداع الوحيدة لصديقة إيميريك الصغيرة التي أهداها رزمة من عند هرميس لإغضاب صديقها. في رسالته، قال إنه ذاهب إلى الولايات المتحدة وهو يقبّل الجميع. لا كلمة

خاصة لإيمانويل، مقرراً الاحتفاظ بذكرى منها سرق حركة (عضّ داخل الشفة). اتصل بمدام لاغولاي الأم للاستفسار عن وضعها. قالت له إنهم نسوها لمدة ساعة في البهو ممددة على سرير نقال ثم توقفت فجأة واستجمعت قواها وقالت بصوت ضعيف على غير العادة: يترك كل شخص الأمور تسير على أعنتها بشكل جيد أو سيئ بسبب يأسه. انتظرت لحظة ثم أضافت: "أنا بحاجة إلى بيضة نمبرشت في كأسها الفضي".

العالم القديم ينهار، فرانسوا

قريـة مجمعة في باريس عـام 1860، توزعت بلفيل على أربع مناطق خاصة المنطقة الحادية عشرة والمنطقة العشرين. معفية من الضرائـب إبـان النظـام القديم، شـهدت بلفيل تزايد العلـب الليلية والحانات الريفية خلال القرن الثامن عشـر حتى قسمها المزارعون العامـون عبـر جـدار ارتفاعـه أربعـة أمتـار: وجـد بعـض أصحاب الحانـات المقيمـون في باريس أن عليهـم دفع ضرائب على النبيذ. وهكذا جعلت الوقاحة الإدارية التجار الصغار ثوريين ولولا لذلك لأيـدوا لويس السـادس عشـر. كانت بلفيـل دائماً حيويـة اقتصادياً وتجـذب الأجانـب. شـاهدنا فيها الأميركيين أو مـا تبقى منهم عام 1918 واليونانيين الذين طردوا من آسيا الصغرى عام 1920 من قبل الأتراك، بينما وصل الإسبان الجمهوريون الهاربون من الفاشيين عام 1939 وكذلك اليهود في كل العصور. ما رأيناه بشـكل رئيسي بدءاً من السـتينيات من أجل ممارسة مهنة عمال السكك الحديدية التي تركها الفرنسـيون الكسـالى، هم العرب. لقد تزايدوا مثل الحانات الريفية وفق قانون جمع الشمل العائلي.

كان هـذا الحديـث الذي يزعج فرانسـوا، والـذي حصل على رصيـف شـارع أونفيْـرج من قبـل رجل شـعره أبيض يرتـدي بدلة برانـس دي غـال. كانوا يفتتحون معرض مفروشـات عشـيقته ذات النظـرة القاسـية فـوق التلة. عينا فرانسـوا غائرتان مثـل الباندا: لقد

لعبا منذ ساعتين على احترام الأشياء المقدسة. قالت له: زيت، مراهم، عطور كلها عدة مطبخ ولا يبقى سوى أن أطبخك". وبما أنها لا تعرف الطبخ، كان تصحبه إلى المطاعم كل مساء حتى بعد اجتماعات الملكية المشتركة التي كانت تأخذه إليها للمشاركة. لم يجد ذلك مثيراً للاهتمام. كيف نترك النساء العجزة تتعب من النقاش حول الآلات الرقمية لتقترع بشكل أفضل قبل خمس دقائق من انتهاء إيجار القاعة على قرار حول الأعمال الكبرى حيث يتم دفع 2 بالمئة القانونية للعمولة. كيف نتظاهر بالاستماع باهتمام لذاك العنيد الذي يوافق على كل ما اعترض عليه عندما يفتر غضبه. كيف الرد على الحلاق الموسوس الذي انتسب إلى جمعية أصحاب الأملاك ويستطيع طرح فكرة خطرة ومفيدة: "لماذا لا تنضموا إلينا في المجلس النقابي، سيد تشيبوكجيان؟". اختار فرانسوا بسرعة تلك السيدة النشطة التي تزيده عمراً بسبعة عشر عاماً ومهنة للطلاب الطفيليين أصحاب الشعور المتسخة، قالها بظلم مبرراً اختياره. وأيضاً، في بعض الحالات، كان لديها نقطة عرق على عنقها الذي يعجبه.

تساءل فرانسوا: "كانت إحدى فترات التمركز الشعبي المتتالي في بلفيل إبان التمدن العثماني في وسط باريس الذي..." إن رجال السلطة وكذلك هذا العضو المهم في نقابة الوطنية لوكلاء العقارات يعرفون كل شيء، ولكن ما يعرفونه بشكل خاص هو الملل: أنظر إليه الآن، الكأس بيده، يستمع بينما يتكلم آخر والذي يعرف أيضاً. محتقراً ابتسامته المصطنعة، اعتقد مدعي المعرفة الذي يرتدي ملابس برنس دي غال أنه حقاً عبقري وعاد المتفاخر ووقف

أمـام فرانسـوا. واجهه فرانسـوا بقصة. كان بروسـبير كلافيري أحد أعمـام والدتـه القدامى، نجار مفروشـات في منطقة سـانت أنطوان "على بعد خطوتين من هنا حسبما أعتقد". أجاب البرنس دي غال: "بالطبـع مـن هنا أو من هنا على بعد كيلو متر طيران عصفور". مأخوذاً بجمال امرأة مسـؤولة عن بيع البياضات في شـارع بلفيل، بروسبير... أعطى فرانسوا عشر فرص لمقاطعته ثم قام برواية أطول قصـة للقـروي الوحيـد في تاريخ فرنسـا الذي أصبح من فرسـاي. فـي الداخل، وتحـت الإعلانات المزينة لكريسـتو، على الرصيف، حيث سـكان الحـي يحيطـون بالمدعوييـن بطريقة عدوانيـة أحياناً وكانـوا يناقشـون ارتفـاع محتمل لأسـعار العقـارات. كانت باريس الأقل غلاء من العواصم الكبرى، سـوف يعود اليمين إلى السـلطة فـي انتخابات 1986، جريئة كانت عمليـة افتتاح هذه الوكالة الثالثة مـن قبـل المضيفة التي كنا نهنئها علـى "مقالها في الفيغارو". مقال مدفوع من قبلها ويخفي بالكاد العنوان: إعلان قامت بنشره الوكالة الإعلامية للصحيفة. لقاء عشرين ألف فرنك حصلت على صورتها ضد إطار وهي ترد على أسئلة اقترحتها بنفسها وكانت تقترح "بلفيل مـكان مثالـي للاسـتثمار". قال زميـل لها: "أنا ظهـرت ببرنامج مع فيليـب بوفـار على القنـاة الثالثة ودفعت خمسـون ألف فرنك لكن مع مقدم برنامج مشـهور". قال أحدهم: "من كان مشـهوراً" أضاف الآخر: "لماذا الإهانة!". بوفار، رأيته ذات يوم يسـأل هيرجيه: "في تاناتـان وبحيـرة سـمك القـرش" إضافـة "إلى سـمك القـرش ماذا فعلـت". قالت عشـيقة فرانسـوا: "هـذا كله غالي". "هـذا غالي مع المـال الـذي تكسـبينه؟" "عندنـا نحـن الإيرانيين، لا نعرف سـوى

البكاء" ردّت عليه. وهكذا عرف رفيقه بذهول أنها إيرانية". "ماذا، أنت إيرانية؟". كيفما كان نغطي الثقوب بالجهل عوضاً عن الخيال. "أجل: لارجيليار اسم عائلة زوجي السابق. أما بالنسبة لروكسان فهو اسم إيراني ويمكن أن يكون فرنسياً بسبب سيرانو دو برجراك وقد اخترته لأستبدل به اسمي الحقيقي شيرين الذي يعني باللغة الفارسية "حلوة". بكل حال، لم يكن يناسبني". كان شاب ضخم يستمع إليها باهتمام. لم يكن يتعدى العشرين سنة وكان ملفتاً بأسلوبه في النقاش العقاري: كان يرتدي معطف نصفي فوق سترة بنية وبنطلون رمادي وحذاء أسود وشعره مصفف ومضغوط بسبب قبعة الدراجة. كان روكسان تعلمه أساليب النقاش مثل: "اشتريت بالضبط نفس الشقة"، "نسيت ما اتفقنا عليه سيد مارتان" مروراً بالشك بالأفكار السيئة: "توقف عن الاعتقاد أننا نغشك بالنسبة للأمتار المربعة! ليست الأمتار المربعة التي تحسب لكن السعادة التي نحصل عليها بالدخول في ملكية جديدة". إذا عاند المشتري ضد حركة وذكر بذاك الشيء الذي وعد به، يكفي أن تستقيم وترد بصوت مهان: "بأي حق تقول ذلك؟" يجب استحضار الأخلاق مثل المسدس، قالت روكسان دون حسبان قبضة إذلال جسدي إزاء السيدات المسنات والأشخاص المهذبين. وخلصت إلى القول: "أن تكون مهذباً لا يعني أن تكون عفيفاً. في الأغلب العكس صحيح: التجميل الأخلاقي يسمح بفعل ما نشاء. مع الفلاحة والمرعى، هذا اختصاص فرنسي. "نحن المهاجرون علينا التكيف مع عادات البلد المضيف". قال لها رجل عجوز يرتدي معطف أسود لا يتحدث معه أحد: "صباح الخير مدام لارجيليار" كان مالك بنايتين في الحي

الذي تديره روكسـان. وانطلقت في مونولوج أكثر شـمولية. بدأت عبارة "شـاذ" تدخل في قاموس المهنة بينما تلاشت كلمة "جامد"، لم يتحرك العجوز الحزين مثل الأرمل إلا عند كلمة "إيجار". "بكل حـال ليـس عند كلمة كاتب عدل!" قال أحدهم من بعيد. في نفس الوقت، كان كاتب عدل يتهكم على الوكلاء العقاريين خلال عشاء بينما مدعو آخر، قاضي، يذم المحامين، من جهة أخرى كان محامي يهاجـم القضاة قرب صيدلي الذي بـدوره يحتج على الأطباء بينما محلل اجتماعي يهاجم الجميع وفيما بعد يمدحهم. إنها المدينة.

جاذباً إياه بيده للبرنس دي غال الذي لا يرغب بالرحيل بينما لم يبقَ أحد، قادت روكسـان فرانسـوا نحو سـيارتها. كانت سـيارة صغيرة ومتوترة. بعد جولة على الجانب لتفقد ما بدا خدشاً، قالت: "إنه مغفل بطريقة لباسه بقدر الذين يرتدون أحذية بشكل بلوطة". لا مجـال للمزاح فبمجرد انطلاقها: العنق ممدود، العيون جاحظة، مرتعشـة مثل الكلب، بدت شخصاً آخر. الروكسان المثالية. رجل. كانت تقود ببطء، بدقة وحذر. عند إشارة حمراء أدارت الراديو. كان فرانسوا ينظر إلى واجهة ملابس. تساءلت: "ما هذا الكريم بالسكر". قاطعت آلان شـانفور بكاسـيت وكانت تغني "ضرب فوني بثيلمانيا الغبار" وقامت بضرب مقود السيارة بأصابع اليد أترى فرانسوا لقد دخلنا في عالـم جديد. سابقاً كان الناس من المستفيدين. اليوم كل يعمل لنفسه والأفضل يربح! بدأت تانتشر هذه الثورة في بريطانيا عام 1979 وتبعهـا ريغـان في أميركا عام 1980 ولـزم الانتظار حتى عام 1984 فـي فرنسـا، لكن حصل ذلك: أصبح العالـم إدارياً! وللتعبير بشـكل رمزي، حلت CD محل الأسـطوانات السـوداء، وكان عليّ

تجهيز السيارة. انتهت السبعينيات.

ظهـر مخلوق خلف زجاج السـيارة، ضخم، قذر ويلف حوله غطاء طفل مع أننا في فصل الربيع. إنه متشـرد، صرخت روكسـان متوترة.

كان هؤلاء المتشردون من صنف جديد، موظفون فقدوا عملهم في سن الخمسين ولم يجدوا بدلاً عنه، أزواج دمرهم الطلاق حيث اتهمتهم نسـاؤهم بالشـذوذ، وعمال مناجم الشمال لم يجدوا حتى وظيفـة بـواب وكان الجميع يتزايدون في باريـس. كان وجهه يملأ الزجـاج. كانت امرأة، شـعرها معقد ونظرتها مثـارة. لم تكن تتفوه بكلمة ولا تمد يدها. أضاءت الإشـارة الخضراء! انطلقت روكسان بالسيارة بسرعة. اجتازت بضعة شوارع دون التفوه بكلمة ثم قالت بشـدة: "العالم القديم انهار، فرانسوا! إننا سنشكل ثنائياً والمستقبل لنا!".

لم ينتظر ذلك المساء ليفهم أن روكسان طماعة. لقد طرحت عليه أسئلة بأسلوب واضح بينما بعد زيارته لشقة آل لاغولاي قال لهـا إنـه وريث عقـارات. قال إنه سـريع في اكتشـاف نقاط ضعف الناس. والأفضل استـخدامهم قبل أن يسـتخدموك وتركهم قبل أن يتركوك. لا تسيء تقديرهم: فحتى لو مرّت بلحظة انفعال، فروكسان قوية، في النهاية شخص بمستواي.

أدارت التلفزيون، في برنامج Psy-show، قامت مقدمة البرنامج بسؤال رجل مطافئ الذي قال إن زوجته تخونه مع سائقي شاحنات عابرين، "كبرياء البؤس، البؤس الصغير، ويبدو أنه بؤس جان جاك روسـو". قالت روكسـان وهي تلوّن أظافرها. مـدت يدها القصيرة

أمام عينيها وتفحصتها وتابعت: "ماذا يفيد الزواج؟ أن يكون لديك شـخص يدهن المرهم على ظهرك على الشـاطئ. وإذا كنت خائفاً من مصيرك كجثة عليك إغماض عينيك".

نظر فرانسوا إلى السقف. ثمان طبقات من الصمغ ونضع عادة سـت طبقات، قالت روكسـان ذلك، كانت شـقة موضبة حيث كل شـيء في موضعه وقامت بتوضيبه. لم تحرك أي من ملابسـها من الخزانة ليضع ملابسـه، كانت ملابسه موضبة في ثلاث حقائب في آخـر غرفـة الأصدقاء موضوعة على الأرض وعلى حمالة اشـتراها وركّبها. كانت مشاهدة التلفزيون في السرير بالنسبة لفرانسوا مساوية للمـوت. تصوّر نفسـه إلى جانب روكسـان بعد مئة سـنة جامدين، شاحبين، يغطيهما الغبار والتصفيق ينبعث من التلفزيون مع صوت المطـر الـذي يتوقـف ثم يتسـاقط مجـدداً دون توقف. بعـد أخبار المسـاء، التقطـت كتابـاً، يختلـق المحبون الخداع مـن أجل حماية حبهم، قال فرانسوا وهو ينظر إليها، قاسية ومجتهدة، تقرأ إلى جانبه، اختفى صوت التلفزيون ورياء جشعها هو القراءة. وضعت الكتاب على ساقيها ويديها على الكتاب: "إذن كان عندك عم حرفي في حي سان أنطوان؟ في السيارة، فكر بما سيجيب إذا طرحت عليه السؤال. شرح وهو في حالة حيرة، فقد حقق تقدماً منذ الأيام البسيطة حيث كان يخالـط المحتفليـن. بالقرب من هؤلاء النـاس الذين ترك لهم عمومـاً ذكرى افتتان بشـاب جميل متفاخـر لكن محبوب بحيث لا تحقـد عليـه الفتيات اللواتـي تركهن دون كلمـة (كان لديهن رجل جميل، أجمل ما توقعته). وتعلّم أن الأشـخاص العاديين يضيعون في ملايين التفاصيل عندما يروون شيئاً ما. إن الحياة معقدة وتوحي

بالذنب. لو أتاحت روكسـان له الفرصة، لاسـتخدم وهو يتبعها إلى شـقتها كلمة "سـنونة" وبعد بضعة أسـابيع، توقف عند واجهة تاجر موبيليـا ويكـون قد زرع في عقله الباطن أنه حصل على هذا الجد. جعلها حديث فرانسوا غير مبالية. كانت ترغب اللهو بلعبة الاحترام. قالت: عندما له: عندما نكون نملك الجمال مثلك، لا يحق لنا عدم النجـاح فـي باريس. ورد بخشـونة: "لسـت لعوباً - لكـن من قال ذلـك عزيـزي؟" وبازدراء عرضت عليه مشـروع بلفيـل دون البوح بكل شيء.

لوكست

أعاد صينية الإفطار إلى المطبخ، قبّل يدها وذهب إلى سوق الأشياء القديمة في فانف. اشترى علب كاملة من الصور القديمة ووضع لها إطاراً من الفضة قبل أن يضعها على المدفأة الصغيرة المصنوعة من الرخام في الاستديو الذي استأجره بالخفاء عن روكسان في حي لا يعرف فيه أحد. "الجدة شارلوت والعم لويس الذي كان سجيناً عام 1971 وابنة العم إيميلي قبل زواجها من الماركيز باسْتر". مجموعة أخرى كانت موجودة تحت زجاج مربوط بملاقط من المعدن: العم بروسبير... والأم الطيبة إيفون أرملة تاجر خردوات ليون..." كانت هناك لوحات على الأرض، موضوعة قرب الجدران: طلب منه رجل التقاه في مقهى الاحتفاظ بها بعض الوقت ثم اختفى. إضافة إلى عدد ضخم من الأوراق النقدية في صندوقين اشتراهما فرانسوا من تاجر مجوهرات في سانتيه ووضعها بنفسه في الصندوقين، "انظر ماذا حصل لإبهامك؟ - لقد أَحْرَقْتُه وأنا أبدّل شمعة الـ BM.

في نهاية بعد الظهر، شارع سان دنيس، كان بقال الهول يحضّر عشاء عيد ميلاد جوليان كلارك، شارع كينكابوا، كان باليساد الباسيفيك يستقبل ممثل شركة كحول جوز الهند الذي ترغب كل الفتيات احتساءه في الماليبو شارع ستيوارت، في الموفيدا، وكان تقني يصلح جهاز تلفزيون يبث طيلة الليل أشرطة فيديو سباق

الثيران التي يشـاهدها الباريسـيون دون نقاش والكأس والسـيجارة بيدهم، في زاوية شـارع سـان دنيس وسـاحة الأبرياء، كانت ممثلة كوميديـة تأمـل بـدور فـي الفيلم القـادم لجان جـاك بينيكس تنتظر صديقة على شـرفة مقهى وهي تسـتعد لسـحب أوراق في الداخل (كانت جالسة قرب لوحة سوداء حيث توجد يد مرفوعة مقسمة إلى نقاط مثل بقرة عند الجزار). مرّ فرانسوا تحت قناطر شارع فيرونيري قرب مقهى لوكست. حتى ذلك الحين، كان المقهى الباريسي مكان للتفاهة غير المتبادلة منذ عام 1880: طاولات مسـتديرة من الرخام المزيف، كراسـي من الخشب. في الستينات حاولت موجة محددة اسـتخدام الفورمايكا، لكنها لم تصمد وآخر مقهى استخدمتها كان في شارع مظلم قرب البلدية في باريس القديمة اسمه "عند العجوز" حيـث كان عـازف أكورديـون أرجنتينـي ضجر يـوزع أوراق بيضاء مكتـوب عليها أغانـي قديمة تحت أنظـار المديـرة المتلألئة، امرأة عجـوز تضم يديهـا وتراقب القاعة وهي تتحرك على كرسـي. فكّر صاحـب لوكسـت الطلـب من مهندس ديكور شـاب وأنشـأ فيليب سـتارك مقهى لا يشـبه غيـره. بعد سـنوات من الانحطـاط، أصبح حي الهول بعد إعادة بنائه على الموضة وهو قرب الباستيل، وكان لوكست مكان لهو فرانسوا، حوضه ومجده. قال مدير المقهى الذي كان يحدثه بتواضع: "مرحباً فرانسوا". كان أحد اكتشافاته خليع أنفه طويل يجول في باريس. بأسلوب خجول، قال له فرانسوا: "أنا في تاربـس – آه ما هذه المزحـة. كان هذا الرياضي الذي يرتدي جينز قـد وصـل إلى محطـة قطار مونـت بارناس منـذ 12 دقيقة. من أي جنـوب هـذه اللهجـة؟ أنا أميّز وليـس من وقت طويـل الفارق بين

المناطق. حسناً، لقد رحلت ولم يعد هناك شيء أراه في هذا البلد المريع. كم هو سخيف هذا الشخص! إنه منعش مثل الربيع، قال صاحب الأنف الكبير بلهجة قوية: لقد فقدت لهجتي كلياً وشرح وكأنه يخاطب شخصاً أنه سيفعل هذا، سيفعل ذاك وخلال خمس سنوات سيصبح رئيس مجلس إدارة الشركة ومتزوج من مغنية. كانت لديه فكرة جيدة للانطلاق: أشرطة الفيديو. قال فرانسوا: ربما لديّ صديق. ردّ صاحب الأنف الكبير: هل أستطيع مساعدتك. قدم له فرانسوا مستورد أشرطة يخزن بضاعته في قصر واز. اقترح على صاحب الأنف الكبير حضور تسجيل فيلم ينظمه. وجد صاحب الأنف الكبير وسط مشهد جنسي. قال صاحب فرانسوا: "إنه يشك بنفسه لذلك اقترح عليّ مشاركته لأن لديه علاقات في الأنتيل، ليس هناك أخلاق في التجارة. وافقت" وبعد أربعة اشهر أي الليلة السابقة لبعد ظهر اليوم من الربيع حيث كان فرانسوا يزيح ستارة لوكست، سأل صاحب الأنف الكبير أين ماله، ردّ صديق صاحب المكان وهو رجل ضخم ملتحي بطريقة مزعجة: "لقد وجدت الشرطة المال عند إحدى النساء والمزعج أيضاً أنها وجدت 300 غرام من الكوكايين. أعطني بعض الوقت وسأدفع لك". هرب صاحب الأنف الكبير وهو يغمغم. قال وأثار عاصفة من الضحك: يبدو أنهم رأوه في بوتسوانا مختبئاً في حانة. كان فرانسوا على موعد في مقهى لوكست مع ابن صاحب بنك في ستراسبورغ الذي جاء لخيانة زوجته ووعد عشيقته بالطلاق. كانت زوجته شابة لكنها أنجبت له طفلين جميلين، مليئين بالحيوية. كانا يشعرانه بالكآبة. مقترباً من سن الخمسين، قرّر أنها فرصته الأخيرة ليتمتع بالحياة. عندما خرج

من مقهى لوكست، سارع فرانسوا إلى مقهى الأصدقاء وقال: "لقد نجحت في استعارة نقود من موظف بنك". وقام بتمويل مشروع الأشرطة لصاحب الأنف الكبير. قال صديق صاحب القصر: "هذا أخلاقي، بعض الناس لديهم الكثير من المال بحيث يشعرون أنهم بحاجة لخسارتها". وأضاف صامت لم يستطع السكوت: "كونه موظف بنك، فهو يستخدم مال الآخرين". شرح فرانسوا أنه حتى لو كان هذا الرجل ذهب لإقراضه النقود فلأن الأمير تشارلز من عائلته. "آه إنه الأصغر، الأمير إدوارد"، تمتم الصامت. لقد وضعوه في إدارة الشؤون الإنسانية كما لو قيل: "حاميها حراميها". باختصار، تابع فرانسوا، قائلاً باختصار للصامت: "لقد منعوه من القيام بكل شيء وتصرف نتيجة الاستفزاز". سأل الصامت: "هل نعرف لماذا يقوم الناس بهذه الأشياء؟ هناك أسباب، نعم، لكن الأسباب نفسها تؤدي إلى تأثيرات مختلفة لدى أشخاص لديهم نفس الحياة. ربما يوجد ابن آخر لصاحب بنك يزعجه أبوه ولا ينتقم بالقيام بحماقات، كل شخص يضع المايونيز بنفس المواد ولا يوجد مثيل لها - قال صديق صاحب القصر: "بكل حال إن البيض هو ما يكسر". صدرت ضحكات.

قدمت روكسان القهوة لصديقها الذي تقابله واستمرت بالعيش مع فرانسوا. سكرتير عام للشركة التي يعمل فيها، كان يزودها بمعلومات سرية حول العروض عندما يبيع عقار وتقوم بإعطائه عمولة. كانت تبلغه كل شيء عن فرانسوا طالبة رأيه. لم يكن له رأي. كانت تقول وهي توجه له ابتسامة بنوية: الرجال آثار، قبعات من قش. وهي تتخلص منهم بعد أن يقدموا عروضهم للمسؤول

عـن العقـارات في البلدية. ناظرة إليه وهو يشـرب قهوته برشـفات قصيـرة وهو يطالع الصحيفة الاقتصادية فكرت: ما سـيحل به دون مؤسستها؟ هل سيكون قادراً على ما تجعله قادراً عليه؟ أنا، وكيلة عقاريـة مفاوضة، لديّ ثلاث وكالات في بلفيل. هذا الفتى الصغير فرانسوا يعتقد أنني لا أعرف حساباته، لكنني لن أتخلى عنه قبل أن أستفيد منه بطريقة أو بأخرى من شقته في جادة ساكس".

واجـه فرانسـوا فـي مقهى لوكسـت مقاومـة. كان رجل قصير ضخم العنق ومحدودب مثل قدم الخنزير يرتدي لباس أزرق باهت. جذبت كرافتة فرانسوا الرجل. ذلك اليوم، كان يرتدي كرافات رمادية منقطـة من الحرير السـميك. كان جان بيـلاس ابن مزارع كرمة في بـوردو أو مزارعـة كرمة: "قالت لي والدتي..." مع عينيه الزرقاوين ورموشـه الطويلة فهو يشبه العجل. كان صوته يصبح متأوهاً عندما يصعـد وكان يرتفـع وينخفـض غالبـاً عندمـا يروي شـيئاً فعله. من مواليـد منطقـة النفوذ في تولوز، لم يسـمع فرانسـوا سـوى التهكم على أهل بوردو واحتقر هذا الرجل. منذ عدة أسابيع، حاول جمعه بفنان، "صديق كيكي بيكاسـو" الذي سـيقوم برسـم بطاقات النبيذ لوالدته للقرن القادم. كان طالباً التقاه فرانسـوا في لوكسـت واعداً إياه بخمسـة آلاف فرنك إذا تمت العملية وطلب من جان بيلهاس مئة ألف فرنك. وتحت صدى قرقعة الصحون وصدى المناقشـات وصوت موسيقى الموجة الجديدة تساءل فرانسوا إذا كان جان يقوم باصطحابه عن جبن أو عن حيلة. نهض وقال: "أرفع قبعتي" ومدّ له يده. أمسك بها بيلهاس باسترخاء وهو مضطرب. "بكل صدق أرفع قبعتي. أنت قوي" قالها فرانسـوا وهو يدفع مئتي فرنك للمشـروب

ونهض للخروج.

دخـل رجل مغمـوم. لكن ما العمل مع رجل مغموم؟ إقلاقه. فهو يحب قلقه وأصبح فرانسوا ستارك القريب البعيد لمصمم ديكور المقهى، مفتش شرطة، إدارة المخابرات العامة "لكنني لست هنا في الخدمة" مما يعني العكس. أعاد نسخ أساليب شرطي ظريف خلال مهامه في بار الأصدقاء حيث لم يعد فرانسوا راغباً بالذهاب بسبب الضحكات. كان الشبل من منطقة بريتانيا وقد جاء للبحث عن دعم فـي باريس من أجل مشـروعه لكنه لم يكـن واثقاً من النجاح. قال فرانسوا: "ربما أستطيع مساعدتك".

ماتت بسبب النحافة

أعطى فرانسوا موعداً لروكسان في شارع ماريوف وهو حي أكثر جدية من الهُول. على بعد خمسين متراً، كان سواح يجولون في الشانزيليزيه، وكان الميسورون يفطرون هنا. كان أحدهم مصحوباً من رئيس شركة كبيرة، دخل إلى أحد أسرار الحي في وضح النهار، مطعم إدغار بينما كان فرانسوا وثلاثة رجال أعناقهم غليظة يخرجون. كان فرانسوا قد استأجر صالة في الطابق الأول (إحدى الصالات التي لم يدفع إيجارها) ودعا الرجال الثلاثة، كانت روكسان التي جاءت على الموعد الساعة الثانية جالسة غاضبةٍ في سيارتها. أعطاها إشارة سرية وتابع حديثه مع الأكبر سناً من الرجال الثلاثة الذي حياه بخشونة محركاً رأسه ودخل إلى سيارة ديلمير. فتح السائق بابها وركب الآخران سيارة مرسيدس ولا شيء يدل على أنها سيارات مستأجرة. سألت روكسان: "ماذا يجري؟ لديّ شركة أديرها إذا كنت لا تعلم - لا شيء، لا شيء، أردت فقط اصطحابك عند بائع المجوهرات من أجل عيد ميلادك. "بعد اختيار الساعة وهدوئها عادت فسألته عما حصل وهي تقود بلطف. أجاب: لديّ دين لعب، أنا بحاجة لمئتي ألف فرنك نقداً. في اليوم التالي، أعطى الرجل العجوز رأيه لروكسان: بما أنه يملك ثروة عقارية، هذا الفرانسوا، اقرضيه المال مقابل وصل أمان.

لا شيء محزن مثل عدم التشابه، فكّر فرانسوا المسرور بمجيء

المـال وهـو ينضم إلـى بحار في لوكسـت. كان بـارون كيرميديك صاحب رأس الأسـد وقلب الكلب الصغير عالماً أيضاً. لقد وضع شـهادة فـي المؤسسـة الوطنيـة للملكيـة الصناعيـة (وقـد أظهرهـا لفرانسـوا) من أجـل حماية اختراعه، طريقة لمراقبة سـمك القرش عند الشـواطئ. رغم غمه كان حريصاً ورفض مشـاركة فرانسوا في تسـويق "رادار سـمك القرش" مفضلاً عدم إشـراك أحد في شـركة معرّضـة للخطـر، بالمقابل شـبه مفلس بسـبب أبحاثـه عرض عليه شراء لقبه. جاء لقب البارون مع أراضي كيرميديك، لست كبيرة فهي عبارة عن 12 هكتار غير صالحة للزراعة لكنها جعلته بارون. بارون مقابل مئتي ألف فرنك قال فرانسوا، بعد مفاوضات لحسم خمسين ألف فرنك وقد حصل على اللقب. سأشـتري اللقب بسـتماية ألف فرنك وقد وضع شرطاً المشاركة في تسويق الاختراع، وافق البارون ووقع موافقاً على استثمار صغير بقيمة خمسين ألف فرنك أحضرها فرانسـوا في مغلفين وضعهما في الجيوب الداخلية لسترته الرمادية التي اشتراها بنصف الثمن.

كانت المزعجة عند لوكست؛ أعد جواباً لكل هجوم لكنها مرّت بجانبه واحتقرته بشـكل علني وذهبت للجلوس مع أصدقائها وهي تتحدث بقوة. لم يكن كيرميديك هناك، ذهب فرانسوا للجلوس وراء مجموعة من المتسـكعين الذين يظهـرون إعجابهم بفرعون مذهّب قرب نافورة الأبرياء.

كان يحـرك يديه خلف ظهره مثل عصفور المدينة، وكان نافذ الصبـر عندمـا رأى كيرميديـك يدخل مقهى لوكسـت. جعله ينتظر وتساءل إذا كان لا يعرف المزعجة بالصدفة ثم انضم مترفعاً، هادئاً

ومبتسماً. نظر إليه كيرميديك بوجه مضطرب. نظر فرانسوا نظرة عابرة نحو الباب. لم يكن سوى الندم على التأخير وكان كيرميديك يتمتم قائلاً: "اعتقدت أنك لن تأتي". فكّر فرانسوا: "كنا اثنين وقاما بالعمل". ترك لوكست وهو ينظر إلى المزعجة في الزاوية.

مستلقياً على السرير إلى جانب روكسان، كان يستمع إلى شرحها لعملية بلفيل. بعض المنتخبين، بعض رجال الشرطة، بعض أعضاء الإدارة المالية يريدون التخلص من العرب في بلفيل. كان الصينيون يعجبون الناخبين. كانوا كتومين. خلال جولتهم في المنطقة الثالثة عشر كانوا يشغّلون الأتراك في غرف مساحتها خمسة أمتار مربعة لكنها كانت أقبية. والأتراك مع الصينيين شيء ظاهر. إنهم لا يقفون بالصف في مركز الخدمة الاجتماعية عندما يصدر قانون المساعدة المالية ولا يحدثون ضجة. قالت روكسان وهي ترفع صوت التلفزيون للاستماع إلى ما يقوله الوزير: "كم هم حمقى هؤلاء العرب". وكانت جزءاً من الذين لديهم بعض الرغبات كما تقول. منذ بضعة أشهر، باعت بلفيل للصينيين وكان هناك الكثير من المال، خارج النظام المصرفي الفرنسي. وإذا كانوا يقترضون فذلك وفق نظام تونتيني، دولارات قادمة من هونغ كونغ لا يريدون الاعتراف بها. قالت روكسان: "يبيضون الأموال أم لا أمر لا يعنيني، عندما يشترون، يشترون مثالثة. يأخذون منك تجارة المنطقة الثالثة عشرة بشرط أن تبيعهم تجارة المنطقة الحادية عشرة والخامسة عشرة لأنهم لا يقدرون الانفصال عن أبناء عمهم". في الشهر الماضي قامت ببيع برج في زاوية الشارع وبولفار بلفيل: وقد استقروا في المنطقة السادسة وأنشأوا كازينو سري في المنطقة الثانية

عشـرة ومركز لتدخيـن الأفيون وللدعارة بين الاثنيـن. إجرام مركّز وهادئ، سعادة للشرطة! واستخلصت: "وهكذا كيف ستصبح بلفيل خلال بضعة سنوات حي صيني".

اعتـرف فرانسـوا بأن كيرميديـك لعب به وأنه اعتبر نفسـه في الوقـت عينـه ضعيفـاً. "رادار لسـمك القـرش! لمـاذا لـم أصدقه؟ عندمـا كنـت صغيـراً، قام رئيـس الجمهورية بتخصيـص اعتمادات ماليـة لطائـرات على الغاز - على النفط عزيـزي، قالت له دون أن تنظر إليه". هذا المسـاء في السـرير، منظّم التلفزيون بيدها، تابعت الكلام لكنها ظلت على نفس الكلمة. وعاد إلى ذاكرته مشهد موجود منذ زمن طويل، منذ 12 سنة. كان قد سرق قداحة على البنزين من محل أشياء قديمة. اعترف بذلك لأمه. بطريقة لامبالية، نفخت دخان سيجارتها جانباً وتابعت النظر إلى وريد داخل ساقها. لاحقاً، خلال غـذاء عنـد جدته مع النسـاء، وبينما كان يلصق صـوراً على الدفتر لأجمـل سـيارات العالم عمدت إلى السـخرية قائلة: "السـيد يقوم بجمـع الفـن، لقد سـرق قداحة قديمة من عند إسـتيف! مع أشـياء مماثلة يمكن تأمين المستقبل! ما هذا الأحمق!". ضحكت النساء. خفّض رأسه لكنها تابعت الضحك. قالت روكسان: "وهكذا". لما يطلـب منهـا معاودة رواية قصتها ولم يرو قصته مجدداً أيضاً والتي أعدها ليأخذ منها مبلغاً إضافياً من المال.

اتهم فرانسـوا بالهرب من العرب في المنطقة الحادية عشـرة، وقـال آخـرون أنه هرب من الصينيين في المنطقة الثالثة عشـرة. لم يكن أي من الاثنين لأن روكسـان لـم تشـركه سـوى سطحياً بعملية بلفيل بما أنها قبل كل شيء قد جعلته يحمل رسالة لوكيل صيني (لم

يتسن له الوقت للمرور إلى شقته لمعرفة ما يحوي المغلف، لكن من خلال سماكته فالأمر يتعلق بالمال). رحل بسبب الصيدلي في المنطقة الثانية عشرة. قبل بضعة أشهر كان ماراً في الحي وصادف صيدلية قريبة من الشقة حيث أمضى الليلة في باريس. وقد دعاه الصيدلي وآخر لطيف لشرب كأس عند المساء. أحضر فرانسوا المال نقداً لشراء الدواء وتكفل بتأمين بائعين لتسويقها من بيت لبيت. ليلة رحيله نشرت مجلة الباريسي صورة ومقال: الصيدلية قامت بتركيب حبة دواء قاتلة الهدف: "ماتت بسبب النحافة" (M.X كانت تعمل اختصاصية لأمراض الغدد والتغذية ونجحت في خداع العديد من الزبائن بحبة التنحيف المزعومة. متضمنة مكوناً درقياً بكمية كبيرة أثارت لدى العديد من النساء ظواهر خفقان قلب تصل أحياناً إلى ارتفاع الحرارة مع تقيؤ وإسهال. في حالات عديدة، حصلت ست وفيات بسبب التسمم بالمادة الدرقية، يتعلق الأمر بست مقيمات في المنطقة الرابعة عشرة والسادسة عشرة والثامنة. في الواقع، قامت الصيدلية X بوضع نظام عمل يغطي كل العاصمة. يبدو الأمر أننا أمام شبكة منظّمة على الصعيد الوطني. قامت الشرطة بالتحقيق". أخذ فرانسوا كل الملابس التي يستطيع أخذها من عند روكسان وحاول جاهداً النوم في الاستديو. وعند السادسة صباحاً كان على الطريق إلى أورليون. هكذا ترك باريس وهو مستعد للخروج من لعبة الورق، فرانسوا أستور، فرانسوا دوما، فرانسوا أندرسون، فرانسوا ساسيراجي، فرانسوا دوبارديو، فرانسوا روتشيلد وغيرهم من الأسماء التي يريد.

في بلاد الشُقر

لدى وصوله إلى نيويورك، لم يتطلب الأمر منه أسبوعاً لمراجعة المجلات وقراءة الإعلانات ليستنتج أنه كونه أسمر لا يستطيع النجاح في بلد الأشقر النموذجي. قام الحلاق بإعطاء لون أكثر نعومة بلون الخشب تاركاً السوالف قاتمة أكثر طبيعية وإذا أخطأ في الحلاقة فلن تظهر. بعد بضعة أيام، عاد فرانسوا واشترى بعض من محلوله واستخدمه طيلة الفترة التي عاشها في الولايات المتحدة. بعد بضعة أشهر بدأ مزين فيدال ساسون يطبّق معادلة جديدة على الطريقة الأميركية من خلال إظهار بعض الدهشة للحظات. لقد أذهل الالتزام بالعلاقات التجارية فرانسوا منذ وصوله إلى مطار كيندي: لدى شرائه علبة كوكا كولا ثم تبديل رأيه لدى رؤيته علبة عصير تفاح، رأى البائعة تبدلها دون إزعاج وهي تبتسم وتقول: "في خدمتك سيدي" قال للمزيّن الذي لم يصدقه لأن فرنسا هي بلد الملكة ماري - أنطوانيت والذي شرح لفرانسوا أن أهل نيويورك أكثر فظاظة من كل الأميركيين ويتفاخرون: "عندما نصل من باريس نجد الحمال محبباً". الأميركيون يضربون الفرنسي لأن زجاجات العصير أكبر والسيارات أكبر والعضلات أكبر مما في فرنسا. كان هناك تثاقل في مشية الرجال. بدوا أكثر ضخامة، أكثر وزناً وأكثر مرونة أيضاً مستعدين للقفز. ذات ليلة، جلست سوداء كبيرة تحمل مجموعة من أكياس البلاستيك في مكان المعاقين في باص ذاهب

إلى الجادة الســابعة فلمحته أمامها في الطابق الأول لمبنى زجاجي وهو يضع فولار على رقبته وينزل على درج متحرك.

كان معـه نقـود. كان معـه مليون فرنك، ألفي قطعـة نقدية فئة الألـف قـام بوضعها في الفندق في تولوز لتدخـل في الحقيبة التي كانت ثقيلة في ممرات البيرينيه. متجاهلاً صديق جده، المتنقل بين فرنســا وإســبانيا مثل أجيال مـن عائلته، ترك معـه مبلغاً في محفظة إيميريـك لاغـولاي، ذهبت الحقائب بالقطار إلى برشـلونة. مرّ كل شــيء دون مشـاكل على المراقبة قبل 11 ســبتمبر 2001، أنت تذكر الأيام السعيدة التي كنا نستقل فيها الطائرة مازحين؟ للتوفير، نام في مركز YMCA في الشـارع 32، مقابل مركز الحزب الشـيوعي. ظنّ فرانسوا أن الحزب الشيوعي محظور في أميركا. أطلعه الحلاق على شيء أكثر أهمية: فندق شلسي كان أسطورياً. قال فرانسوا: "إذا كانت هذه هي الأســاطير أفضّل الحشـرات. بكل حال هي موجودة. لقد رأيت بعضاً منها بينما أصحاب المليارات يغلقون عليهم غرفهم مع مجموعة من النساء البيروفيات وهذا لا يثيرني. في النهاية، أصحاب العمل سيئون، قال ذلك وهو عائد إلى YMCA حيث ترك أغراضه: يتحدثون عن الفرنسيين. لم يصدق الملياردير أنه فرانسوا بارونبوام ابن موسـيقار باريسـي. عاب قساوته على نيويورك وهو ينظر للمرة المئـة للإعـلان الكبير بالأبيض والأسـود لعطر كالفـن كلاين على النصــب المقابل. متمدداً علـى الرمل، كان رجل ضخم يضم صبياً صغيـراً إلـى صدره العـاري وهو ينظر إلـى السـماء "Eternity for Men". باستثناء ناطحات السحاب والعضلات ما الذي يجعل هذه المدينـة مختلفـة عن أوروبا؟ آه، أجل لسـنا مثقليـن بالأعباء، فكّر

هـذا الرجـل الذي لم يدفع الضرائب في حياته أو أتم عمل منتظم. كان جاره الثالث بار SM بسيط جداً لدعوة الصيني، لقد أوصى به صيني آخر أرسلته روكسان إليه بمهمة. قال فرانسوا للصيني: أعرف نيويورك جيداً وأعطاه الآخر رقم هاتف ابن عمه أو صديقه على ما يظن. كان السـيد لي يسـتورد ألبسة الجينز المصنّعة في الصين عبر شبكة معقدة تبدأ في فونكوفر إحدى أهم نقاط هجرة الصينيين إلى أميـركا الشـمالية والتي أصبحت معروفة جيـداً بحيث جرت مراقبة حدود سـياتل بشكل جيد، وكانت هذه الملابس تعبر باستمرار من كندا لتصل إلى الولايات المتحدة عبر نيويورك، كان لدى السيد لي أموال لتبييضها وكان فرانسوا أندرسون تاجر عقارات في مجموعة كوركوران (بطاقات مزيفة كلفت خمسـين دولار). جعل السيد لي يشرب الكونياك حتى أفقده صوابه، كان لدى الرجل ثلاثمائة ألف دولار لوضعها في التجارة القانونية. لم يقبل فرانسوا سوى التكفل بخمسـة وعشـرين ألفاً. كان هذا أحد أسـاليبه بعدم الاهتمام سوى بمبلغ محدّد من المال مرة واحدة.

تعلّم الإنكليزية خلال بضعة أسـابيع. يمكن اللفظ كيفما كان في الولايات المتحدة واللكنة الفرنسية بدت لذيذة كما في صالون الشاي في أوتيل بيار حيث كان يذهب غالباً بعد الظهر. كان هناك شاب يجري مقابلة معه وقال فرانسوا: أنا مع النخبة. كان يستخدم باناش بالفرنسية وكلمة جان جورج التي عرف فرانسوا بسرعة أنها تعني شيف المطبخ جان جورج فونجيرشتان، كانت صحافية Vanity Fair تجلس، ركبتاها مشدودتين على طرف كنبته وكانت تحدثه عن "المتشرد"، مقارِنة فرانسوا بهذا الشاب قالت الخادمة التي تقرص

خدها: "الفرنسيون متحمسون. هذا ما يميزهم عن بقية العالم. ويجدون أنفسهم متفوقين. إنهم مدّعين! واضعاً مخيلته قيد العمل، اختار فرانسوا في لعبة الورق اسم فرانسوا كازيراجي ابن عم زوج أميرة موناكو الذي جاء يستقر في منهاتن والذي... أصبحت الصورة واضحة، أدار رأسه بطريقة شاردة كما لو خرج من الغوص في مقال مهم في النيويورك تايمز وحيا الصحافية. وبينما تابعت مقابلتها ردت له التحية بيدها. ألقى الشاب نظرة على فرانسوا وانحنى نحوها. ردت بصوت عالٍ: "بعض الطموح الاجتماعي أظن!" أقول رجل طموح. استنتج فرانسوا المعنى الحقير لعبارة طموح اجتماعي التي قالها الشاب وهو يحرّك رأسه إلى الوراء ويقفز على مقعده يحمحم.

عند المساء انتقل إلى فندق ساحة التايمز لتجنب لقاء الصيني ندم على عدم معرفته اللغة. إن المشهد الذي سيقوم به نحو هذين الحقيرين كان حاسماً. قاده بيان وجده عند مدخل بقالة إلى غرفة صغيرة رائحتها سيئة من إيطاليا الصغيرة. كان صوت المكيف يصدر صوتاً محبطاً، كان بلجيكي يدعى لوك لديه لحية يستقبل الزبائن وهو يتحدث اللغة بصعوبة، في ساحة واشنطن بعد تجنبه الاستجابة لأسود صادفه وعرض عليه الحشيش بصوت عالٍ، مرّ بطالب من جامعة نيويورك نصحه بآخر الذي أرسله إلى أستاذه وهو من تكساس وقد دفع له بسخاء. شعر بالخجل للتجول في العاصمة سيراً على الأقدام. اشترى سيارة فورد موستنغ، موديل حفظه من فيلم بوليسي حضره في طفولته، توقفت شابة مارة وهو يخرج قائلة: أوه، سيارة فورد موستينغ! هل هي لك؟" رفعت رفيقتها

عينيهـا نحـو الأعلى، تخيّل فرانسـوا نفسـه يوم الأحـد وهو يتناول الطعام مع عائلة الفتاة ذات الحواجب المنتوفة والتي يعمل والدها جراح تجميل معروف وطلب منه الزواج من الفتاة لكنه رفض بحجة ارتباطه مع معدّة سـيناريو من هوليود، عندها سـألته إذا كان يعرف "أن السيارة للسود". ودعاها لتناول كأس معه. قالت صديقتها: "هل هذا موعد؟ أنت تعاكسني؟ هل دوللي بارتون تنام على ظهرها؟". رحلت الفتاتان بعد تحية مهنية. فسّر فرانسوا العبارة. أجابت المرأة من تكسـاس: المغنية دوللي بارتون بدينة ولذلك تنام على ظهرها للضرورة وهذا سؤال يعني: أي سؤال!".

تلفزيون في الغرفة. الكثير من القنوات، شاهدها لليالي كاملة متنقـلاً مـن واحدة إلى أخرى بصبر، قنوات سـياحية تعرض الجزر الخضـراء في المحيطـات، قنوات تاريخية تعرض سـيرة جنرالات الأنكلو - ساكسون في الحرب العالمية الثانية. قناة مقابلات حيث يجلس مقدم برامج وراء مكتب يطرح أسئلة على نجم جالس على كنبة. كم بدوا مسرورين! إمكانية إعطاء رأيهم وهـم يضحكون ويدوي التصفيـق. ثـم هناك قنـوات تحقيقات مع جرائـم وجرائم وأبحاث وأبحاث. القانون صنعه الأقوى ويكفي أن تكون إلى جانبهم.

قام ببعض الخدع، القليل منها. أخذ ذلك بعض الوقت. الريبة والدقـة هما عملة فرانسـوا، قـال ذلك في المكتبة في الشـارع 42. لو علم الباحثون؛ في الاسـتديو في باريس، قام بتزييف عقد كاتب عدل. اسـتلهم ذلك من عقد منزل بورديز الذي سـرقه مع إعلانات موجودة في جارور المطبخ وسـرق أيضاً رخصة قيادة والدته. هل تنبهت لذلك؟ اسـتلزم الأمر شـراء طابعة ووافق على الورق الكبير

الحجـم لأن العقود تكتب على أوراق مزدوجة، اشـتراها بالحسـم ونقداً. اكتشـفوا كل شيء مع جهاز الكومبيوتر. كان فرانسوا يحذر المؤامرات. وبما أن جهاز FBI اعتقل رئيس بلدية واشنطن وبحوزته مخدرات وشرح أنها عملية مدبرة: ألم يسلم رئيس بنما نوربيغا نفسه للأميركيين قبل أسـبوعين وكان يعمل لصالحهم. أخطأ الصيني في شـارع القنـال ثـلاث مرات نفـس الغلطة وصرخ أمـام احتجاجات فرانسـوا قائلاً إنه هو الذي أملى عليه وطالب فرانسـوا بماله. وجد فرانسوا مهاجراً روسياً عبقرياً في بروكلين. والآن المكتبة العامة في نيويورك للقراءة والمراجعة. هذا ما ينبغي عمله للتحول إلى أمير!

خرج المثقف من مكتبة سـان مارك ووقّع على عريضة قدمها له شـاب أشقر لصالح أبناء بيلاروسيا المضطهدين ثم وجد توقيعه مسـتخدماً لحجـز فـي فندق في أتلانتا سـيتي في الليلـة التي ادعى فيهـا أنـه متحدر من رئيس الوزراء البريطاني بالمرسـتون في ملهى أوريللي في الشـارع 61 بين الجادة السادسـة وبرودواي ونجح في لفـت أنظـار سـتة إيرلنديين صفقوا له، أمـا الفرنسـية المتكبرة مثل الثور وهي عضو في محيط مادونا فقد أخبرها أنه فنان في تصميم القمصان ورفض رسم نموذج لها وعرّفته على عضو في الجماعة باع له لقاء عشـرين ألف دولار مشروع محفظة صغيرة للـ CD تحتوي علـى لباس داخلي مـن الدانتيل وغلافه بحيث فكرا الحصول على عقـد إعلاني مـع قناة الملابس الداخلية النسـائية أسـرار فيكتوريا، نيوروشـيل. انتقل إلى هذه الضاحيـة من نيويورك مقتفياً أثر الغني. مرّ أمام بائع دهانات، دخل للاستعلام، لأن صاحـب فندق نيويورك أجابه أن عليه إعادة بناء الغرفة على نفقته إذا كان يشعر أنها قذرة.

كان مسـؤول معسـكر يونيون يعطيه نصائح عندما دخل ابنه وحياه. كان الممثل مات ديلون، وكان عمله قد شهد فتوراً منذ قيامه بتمثيل فيلـم رامبـل فيش عام 1983 لكنه أصبح معروفاً وإمكانية أن تصبح ذات شأن في الولايات المتحدة حيث يعشق الناس العائدين. مدحه فرانسوا دون أن يغشه حول معرفته لأفلامه. قبل الممثل أخذ صورة معه بينما كان لديه موعد مع ديمي مور. لكن لم يكن لدى فرانسوا كاميـرا ولا والـده وكذلك الممثل. ربما لا شـيء أكثـر إحباطاً من الحصول على ما نريد، قالها فرانسـوا وهو عائد إلى نيويورك لكن الأكثر إهانة هو عدم الحصول على ما نريد.

اشترى صورة لجورج بوش الأب وقعها الرئيس الأميركي بنفسه فـي غرفة بعد عـدة محاولات على الصفحـات الممزقة الممزوجة بالماء والملقاة في الحمام: "إلى فرانسـوا مع أجمل تحياتي". كان فرانسوا قد قطع نموذج عن توقيعه في مجلة التايم. أدار التلفزيون. قال: كل مساء عندما يعود الناس إلى بيوتهم يحوّلهم التلفزيون إلى فلاحين جالسين صامتين مغفلين. إنني أصبح خاملاً.

الباب الذهبي

كان قد حجز في وسط سان فرانسيسكو: وفي الوسط لم يجد سوى المكاتب، حي صيني وجادة من محلات الملابس ومن البيوت المهجورة ومحل للجنس وتجار. في جادة كولومبوس مقابل مكتبة مفتوحة حتى الساعة العاشرة ليلاً، دخل إلى بار ضيق ومظلم فيه كونتوار طويل مثل زلاجة التزلج حيث لم يعرف ما يطلب. قال إنه سيشرب الكحول. ثم طلب جين تونيك. أجابه عامل البار بطريقة وقحة: "جين وتونيك بالتأكيد سيدي". بينما كان يملأ الكأس تابع حديثه مع الزبون المجاور: من خلال صوته والكلمات التي يتفوه بها كأنه يعلقها على حبل غسيل مثل نقاط الاستفهام، عرف فرانسوا أنه إنكليزي. كان الأميركي يكتفي بقول: "حصلت عليها سيدي، حالاً". يفضل الأميركيون الأسلوب الأنيق على الاجتماعي. فوق الكونتوار، على شاشة التلفزيون، كان ممثل كوميديا يروي أنه عندما كان طالباً لعب في مسرحية لشكسبير وأنه أثناء "التطهير النفسي"... يحب الأميركيون أيضاً الكلمات المبهمة حسب رأي فرانسوا. بينما الفرنسيون يعممونها. لا يعرف الأميركيون ذلك، كونهم أسياد الإمبراطورية، لا يهتمون للشعوب الحليفة ويتركوهم ينجحون عندهم إذا أرادوا.

دخل إلى فندقه وشغّل التلفزيون ونام مشوشاً بسبب الكحول. أحلام بشعة، عند الصباح، كان الجو منعشاً، صافياً وساطعاً. تاركاً

حقيبة المستندات وحقيبة الملابس في غرفته، نزل مع حقيبة النقود التـي أصبحـت أقل ثقـلاً نتيجة التحويـل من الفرنك إلـى الدولار وكذلك حقيبة إيميريك لاغولاي. أصبح ذلك مفهوماً شـيئاً فشـيئاً حيث فقد اسـم العائلة كل قدرة على الاسـتحضار فقط عندما كان فرانسوا يردده وبما أنه يردده أعاد جمع عناصر يعرف أنها مجتمعة، صعـدت ذكـرى مصورة ومؤثـرة لابن لاغـولاي إلـى ذاكرته. قال فرانسوا: هيا لم يفعل لك شيئاً. عندما كنت متورطاً بموضوع البارون المزيف كيرميديك، ظللت منزعجاً لمدة يومين بشـكل رئيسي ضد نفسـي، يحصـل لنا ما نريـده. الخير، لا أحد يتمنـاه لنا وإذا حصل لا يسـتلزم سوى شكر أنفسنا. الشـر، الجميع يتمناه لنا وإذا حصل فيعود ذلك لعدم انتباهنا. يمكن أن نخدع بسـبب سذاجتنا، حمقنا، ذنبنـا، تسـرعنا، إعجابنا أيضاً. الناس يضجرون وأنـا أقدم لهم غير المنتظـر، الأفضل والأروع. إنني أسـليهم، أفتنهم. الفتنة مقنعة، إنه نـادر جداً الذهول منهـا: نحن لا نفكر بمعارضتها، ليس فوراً. كان لـديّ الوقت للتمضية. لا ننسـى الخوف إنه إلهة العالم. بين هذين الفندقين في نيويورك، استأجر غرفة في جادة أمستردام. أخيراً غرفة: بهو حيث وضعت المؤجرة سـريراً صغيراً وخزانة مقابل مئة دولار في الأسـبوع. أرملة، كانت تحافظ على شـقتها بسـعر الشـاي غير المحلى التي تشـربه طيلة اليوم، حيث تجر كآبتها وقميص الحمام الباهت من السـرير الملتف على شـكل الصدفة، الذي لم تقرر أبداً النوم بوسـطه بعد موت زوجها، حتى عـام 1970 عندما لم يتجاوز العقار مع الزمن الماضي المحتمل. كان المسـتقبل يبدو لها حزيناً والحاضر ليس سـاراً. وجعلت فرانسوا يقسم بتقديم نفسه على أنه

ابـن أختهـا إذا طرحت عليه أسـئلة: إذا اكتشـف موضـوع الإيجار من الباطن سـوف تطرد. كل صباح عندما يذهب وكل مساء عندما يعود تقول له: "لا تنسـى؟" خلال النهار كانت تشرب الشاي وهي تشاهد التلفزيون، "إنه سلواها". كانت تروي غالباً أنها تعرفت على ميل جيبسـون عندما كان شـاباً ورأى فرانسوا أن كل شخص يصنع الكمـادة التـي يسـتطيع بالاختراعـات التي يريد. خلف شـخصيتها الجريئة، كانت هذه المرأة الجميلة محطمة بالخوف. فهم فرانسـوا السـبب عندما صادف رئيسة مجلس المالكين في المصعد. متعالية وعدائية سـألته عمن يكون. أنا ابن أختها، وكم تدفع لها؟ أنت ابن أختهـا إذن؟ وكـم تجعلـك تدفع لهـا بصفتك ابن أختهـا؟ لم يبلغ فرانسوا الأمر للسيدة التي آوته وبكل حال طلبت منه الرحيل عارضة عليـه دفـع جزء من الإيجار غير المسـتعمل. وافق. بعـد فترة، عاد ومعه باقة من الورد. أشـعلت سـيجارة وأبلغته أنها أجرت شخص آخر طردته بعد بضعة أسابيع. ما العمل؟

كانـت تملـك القليل من المال ولا تكسـب شـيئاً وقـد تركها أولادها. قبل تركه نيويورك فكّر فرانسوا مجدداً بها. ولعدم إجابتها علـى الهاتـف ظنّ فرانسـوا أنها في السـوق. في أحد الأيـام، بينما كان على بعد بنايتين من جادة أمسـتردام عاد لتفقدها. لقد وجدها البواب ميتة أمام التلفزيون. ظنّ فرانسوا أنها ماتت من الخوف. وأنا أكسـد. هل أنا الفاسد الذي تخشاه والدته، تنتظره وتأمل به؟ أغلق صندوق السـيارة بقـوة. وضع إلى جانبه حقيبـة إيميريك لاغولاي وذهب لزيارة الشوارع في المدينة.

سـوف يشـتري ملابـس جديدة لكنه لـن يدفع بواسـطة بطاقة

الائتمـان فهـو بطل الأيـام الخوالي. رأى رجلي شـرطة، كلا إنهما من المشـردين القذرين أصحاب الملابس البالية. عاد أدراجه. كان عندنا أسـتاذ من 1968 لكن مما كان اسـمه؟ يجب سؤال كلافيري الصغيـر فلديـه ذاكـرة مفتـش الضرائب كمـا كان يقول بابـي باكو. سـوف أبني له أكبر قبر. سـوف يرون ما هو السـيد! اسـم الأسـتاذ لاتابـي، لافوركاد؟ كلا لافوركاد كان أسـتاذ الرياضة الماويّة وكان لطيفـاً، ناعمـاً، ليبرالياً ولم يصبح مرعباً إلا عندما يبرر الاغتيالات. إنـي أتذكـر لوبيج، كان أسـتاذ علـم اجتماع ينتقص كل شـيء ولا يعطي دروساً إلا ليظهر بلزاك نكرة بسبب خطأ في قصة رومانسية. أتسـاءل ما هو مميّز بالأبوة؟ هذا ماركت ستريت حيث عدت؟ في النهايـة هـذا الشـارع قـذر إذا أردت، بكل حال كل شـيء متشـابه، البيوت من الخشـب المطلي من نفـس المصنع في نيويورك، يعني أوروبـا القديمـة. والغريـب أنني تذكـرت فجأة سـانجو التي كانت تعـرض فخذيهـا البيـض مثـل الموزاريللا وقد أصبحـت هي أيضاً صاحبة شركة. الصغيرة سانجو، كانت تلقي محاضرات عن الجوع في العالم ولا تقرضك أبداً نصف دولار للشـوكولا. ودائماً ضمن مجموعة، مجموعة صغيرة متماسـكة وشرسـة. لم يكونوا شـجعاناً للنجاح في هذه الفوضى.

كان قلبهـم بيدهـم والسـكين بالأخرى أما أنا فوحيد وسـوف أنجـح لوحدي. الطريق تعبر الحديقة العامة ومينو؟ مينو؟ كان هذا الكلـب لطيفـاً ومجنوناً مثل بقية كلاب المرعى، كاد يموت دهسـاً بواسطة سيارة بينما مدام عبادي جالسة في الصالون... لكن ما هذه الغرائب التي تجول في رأسي بينما كنت هادئاً؟ لا أريد أن أعرف

شيئاً. كلا لا أريد الذهاب ولا سبيل للعودة، اللعنة.

بعد خروجها من النفق، كانت السيارة منطلقة على جسر الباب الذهبي، وجد فرانسوا نفسه صغيراً، كان حلقه متشنجاً. ذهبي، لماذا يسمونه الجسر الذهبي؟ إنه أحمر مع أبواب من المعبد الأسيري. لقد شاهدته ملايين المرات بالصور، بالسينما، على التلفزيون لكن لم أتصور أنه بهذا الحجم والقوة والمتانة. كان المحيط يمر تحته مثل ممر صخرة العذراء في بيارتيز الذي كان يرعبني عندما كنت صغيراً، كنت أنادي أمي وهي تدخن سيجارة بعيداً وهي تمزح مع والدتها، كلا، يجب المرور ومن المستحيل العودة، كفى! عند نهاية الجسر، توقف عند الطرف، خرج من السيارة وتنهد بعمق واضعاً يديه على فخذيه. كانت سان فرانسيسكو من الجهة الأخرى تقول له إن مدينة على الشاطئ هي نصف السعادة لكنه لم يسمع ذلك. بكى ثم عاد إلى السيارة وغادر سان فرانسيسكو.

في السيارة

في الداخل، في أميركا، لا يوجد سوى السود أنيقين، قال فرانسوا ذلك وهو ينظر إلى أسود يجتاز الطريق في الزحمة التي تسير بها السيارات ببطء على طول شاطئ ماليبو.

لاحظ تقدمه نحو جنوب كاليفورنيا من خلال أول شجرة صبار وأول نخلة وأول سحلية وأول راكب للأمواج. بدأ ذلك على شاطئ بيسمو، وكلما تقدم من لوس أنجلوس كان الطريق يعج بالسيارات المفتوحة أبوابها وحيث الشباب يتبادلون الحديث. وعندما أعلنت الإذاعة موسيقى روك قديمة، سارع إلى تغيير المحطة كونه يكره كل ما هو قديم. هذا غير موجود، إنه كسل، خيال، شائعات رجال يريدون إقناع أنفسهم بأن ماضيهم جميل. كان الأسود الحليق الرأس يرتدي قميصاً وردياً وبنطلوناً من المخمل وجزمة أعجبت فرانسوا بشكل خاص، إذ إنه يجد العلة في اللباس الأميركي في الأحذية. "يمكننا فعل أي شيء في الحياة سوى انتعال أحذية مريحة". كان الأسود يتقدم وهو يتراقص مثل الجذع. بعد قفزه إلى الجهة الأخرى تجنب تمزق بالعضلات بلامبالاة. دخل إلى جادة إلى جانب الطريق. قرأ فرانسوا اللافتة "بولفار الغروب". "بولفار الغروب"؟ لكن هذا شارع هوليود على ما أظن؟ برشاقة وحذر تسلل عبر الازدحام واستدار ثم دخل الجادة التي تصعد نحو حي السينما. قرأ الرقم 17883 ووصل إلى هوليود عند الرقم

8000 بعد ساعتين ونصف. خلال هذه الفترة، اجتاز محطة استحمام للطبقـات المتوسـطة وغابة وحـي للأغنياء حيث يتـم الدخول إليه عبر ممر على جانبيه شجر النخيل، مجموعة من الأحياء المنفصلة عـن بعضها وموصولة بهذا الطريق عبر انحدارات وصعود ومفارق وحصن فندق شـاتو مارمون المأخوذ بين لوحتين عرضهما عشـرة أمتار لمسلسل تلفزيوني وأخرى كبيرة لكنزات إيطالية. على بولفار هوليود كانت هناك مجموعة محلات للأدوات الكهربائية وللجنس يديرها باكستانيون جبليون. إذا كانت هوليود عكس ما تصور بشرط أن لا تزعجـه. بالنسـبة للخضـرة النابتة بين حجـارة الأرصفة، فقد تعـوّد علـى ذلك في نيويورك وقد وجد كل ما تتهم به هذه المدينة لذيذاً. إنها ليست مدينة، أجل، أجل، لقد سمع النكات، الكثير من الضواحي لمدينة واحدة، طرقات وصول إلى المطار متعددة وكانوا يتحدثون عن ذلك في هذه اللحظة في الإذاعة. مستمع يقهقه على الهاتف متسائلاً: كيف يمكن العيش في مكان الطقس صيف في عيد الميلاد؟ أليس مشابهاً لبيت لحم؟ الظلم لا يقاس، هذا مبدأه وقوته بمـا أن ذلـك يجعله صعب النقض. ليس لديهم الكثير من الشـرف حتى يسخروا من أنفسهم بهذه الطريقة!

بعد باريس وأناقتها السيئة، نيويورك وقساوتها، سان فرانسيسكو وجمالها القذر، وجد هنا شـيئاً جديداً متحرراً. لقد اسـتطاع سكان لوس أنجلوس التخلص من العقلية القروية التي تجعل من هذه المدن ثرثارة. كانت هناك ثلاث نسوة عجائز في نهاية مجدهم المتداعي، مجموعـة تثرثر وتحسـد الفتاة الجميلة اللامباليـة التي تركض نحو المسـتقبل، لـوس أنجلوس. اللامبالاة، أخيراً. وقام فرانسـوا بعمل

رائع، قاد سـيارته طيلة أربعة أيام دون أن يخرج تقريباً من السـيارة حيث جال في المدينة وعلى شـبكة الطرق السـريعة، وكانت هناك فترات ازدحام لكنه كان مسروراً. فقد كانت هذه الطرقات السريعة واسـعة وعليها إشارات لا تحصى وكانت سيارته تجاور السيارات الأخرى التي تتقدم بسلاسـة وتنفصـل ثم تعود فتتجمع. لم يرَ أبداً شيئاً أجمل من هذا. تاركاً الطرقات السريعة، دخل المدينة لمحاولة فهـم الشـكل، مـدركاً أن لا شـكل لهـا وأن هذا الأمر هـو نبوغها. بالطبع، كان للمدينة وسط لكن الوسط الجنوبي كان مرتعاً للسوقيين السـود والأميركيين الجنوبيين. اجتاز المنطقـة بدون قلق وصادف رجال شـاحبين مثل عرب بلفيل، وليسـت الخدعة هي التي تصنع الجريمة. إنها تجذب الأنظار إليها وهناك الكثير من الجرائم يرفض المجتمـع رؤيتهـا لأنها غيـر مرئية. في الأحياء الراقيـة، يقتل الآباء أطفالهـم ببـرودة وأولاد يقتلـون آباءهم باحتقار، رأسـماليين بدون شفقة وعمالهم بدون حماية، عمال غليظين وورثة مضطربات. من يحاسـب جرائم القسـاوة؟ إنها تحصل بأدب متناهي وببرودة كبيرة دون إزعاج للراحة. لا نحاسـب الغلطة بل نحاسـب ضجة الغلطة. اجتاز ودياناً وفوجئ بوجوده في أماكن متوحشـة على بعد مئة متر من الأحياء المتحضرة وتجاوز شـاحنات وتجاوزته السيارات ومن الجهة التي بجانب السـائق شاهد قدم عارية لفتاة وانتظر بصبر إلى جانب السـيارات السـوداء ذات الزجاج المغطى والتي تهتز تحت وطأة الموسيقى مثل أعضاء الحوامل. خرج من سيارته لشراء الوقود وأحيانـاً لا يخرج لتناول الطعام ويسـتخدم الطعام السـريع، غسـل وجهه ونظّف أسنانه بالمياه المعدنية ونام في الموقف. ذات صباح

علـى إحدى التلال التي تطل على المدينة، اسـتيقظ مفكراً: "كوب مـن هـواء المحيـط ولي لوس أنجلـوس". خرج محـدودب الظهر مثـل القـوس، فرك خـدوده وأدار الراديو وظلّ واقفـاً مذهولاً أمام الضـوء الأصفـر الذي يغطي المدينة. إنه التلوث بدون شـك، لكن ما هذا اللون الجميل! ثمرة خيال الرجال. هكذا هي المدينة. مكان يتجمعـون فيـه لاسـتثمار أحلامهم بشـكل يتعارض مـع الريف مع المقاطعة حيث لا توجد سـوى البسـاطة. وسـيلته كانت هنا؟ ليس بالأسـلوب بل بالمكان. ماذا يحتاج؟ بعض المال وشـخصية نهائية والبطـل الذي تمنى دائماً أن يبرزه. لكن كيف تصرف كلمة يبرزه؟ كان سعيداً أنه لم يعد يصرف الفرنسية جيداً، أنجيلينو حقيقي مستعد للنجـاح. فـرك أطراف عينيه وصك أسـنانه وفتح شـفتيه وجحظت عيناه وترك يديه تتأرجحان أمامه وقفز أربع مرات وهو يحرك أكتافه وصـاح مثل الغوريللا وذهب ليقيم فـي أقرب فندق خمس نجوم، الكـراون بلازا المؤلف في أربعمائة غرفة. "وعندما أصبح سـعيداً، أصبح مسرفاً". جنيفر.

فرانسوا دوبارديو

من غرفته، شاهد السيارات عن علو أحد عشر طابقاً وهي تملأ الوقود الواحدة تلو الأخرى وبسرعة ثم تعود إلى الجادة، مع مصابيحها المشعة مثل الأفلام الناقدة. محطات وقود، مطاعم للوجبات السريعة، بائعو سيارات أكثر من الكنائس: تقدموا، أميركيون كنتم غجراً عندما غزوتم الغرب وغجراً تبقون وأنتم ترغبون بالتنقل فيه باستمرار. عندما أدار التلفزيون على جنبه قرأ ورقة صغيرة مكتوب عليها: بريتني اتصل بها 97899(415). كانت الورقة موقعة من فرقة زبلين. اتصل فرانسوا وقال: صديقي عضو في فرقة زبلين ترك لي رقم تلفونك وقال لي إذا مررت بلوس أنجلوس عليك مقابلة بريتني. جاءت بريتني، فكل صديق لفرقة زبلين مرحب به ولم تكن حذرة. في السرير وبينما كانت توضب شعرها وكان يضع الغطاء على بطنها، شرحت لفرانسوا أنها ليست فتاة تحت الطلب ويستطيع الاحتفاظ بنقوده. "ما عدا ذلك إنك تعجبني أيها الأشقر الجميل" وضربت طرف أنفه بأصابعها ذات الأظافر المطلية بالأبيض. هذه المرأة ذات الثلاثين عاماً والتي تعمل مصممة ألواح للتزلج وللتجذيف علمته عن المدينة! الأماكن التي يذهب إليها، الأشخاص الذين يتعرف عليهم، كانت تأمل كسب الكثير من المال بمجالها الجديد "في النقش الأثري".

بعد ثلاثة أشهر تقريباً، ركن فرانسوا دوبارديو في كانون

درايف، سيارة الكورفيت الحمراء التي اشتراها بثمانية وثلاثين ألف دولار ودخل إلى بوتيك سكالا الذي وصفته بريتني أنه أفضل مطعم في بيفرلي هيلز. بحث عن اسم إسباني في جعبته بسبب قربه من المكسيك، لكن إسباني، لكنه إسباني بجزء منه وكان يؤلف جيداً ما هو منفصل عنه كلياً ولا يمكن للعواطف أن تفسد مخططه وليس الإسبان الذين يجعلونه يتطور في كاليفورنيا. هل يعني اسم دوبارديو شيئاً ما؟ قامت الفتاة التي قادته إلى طاولته بإضافة لمسة من الازدراء على لباقته لكن ذلك لا يعني شيئاً لأنها رأت أن هذا حق يعطيها إياه عملها، كانت الفتاة التي أخذت الطلبية لطيفة لكن بما أن الأمر من صلب مهنتها كان من الصعب التخمين. حسم فرانسوا أمره، ضع علامة زورو فيعتقدون أنك كذلك. وبما أن سلاح جيرار دوبارديو كان ضحكته المدوية زوّر كذلك ضحكته المدوية بصراحة. هذا يعطي الفرصة للذين يتحدثون عنه للتحليل: "هل رأيتم كيف يقلد عمّه؟ من الصعب العيش في ظل نجم..." وأقنعوا أنفسهم بأنفسهم. تحدث بقوة ورفض طبق من الطعام. بعد ذلك ببضعة أيام دعا بريتني التي كان سرورها واضحاً وقدم لها الكوكتيل واستمع إليها وابتسم لابتسامتها. قالت له زبونة: "أنت تشبه عمك، كيف جرى تصوير الفيلم الأخير الأميركي لجيرار دوبارديو؟

على الطاولة المجاورة كان هناك رجل أشقر يرتدي قبعة من القش. ويقال إنه إذا فتح قميصه سيخرج دفق من الشعر الغاضب. كان يناهز الخامسة والستين من العمر، عيناه زرقاوان، ضخم، وطويل وقوي البنية. دون حراك، كان كأسه أمامه مثل عمود الإشارة تحيط به يداه مثل الحواجز. كان ضعيفاً مثل الباب. قام فرانسوا

الـذي رآه مـن قبل بأخذ معلومات عنـه. كان يرتدي ملابس فخمة وهو عشيق أميرة إيطالية. كان أنفه كبير، في النهاية إيطالي، إيطالي - ألماني - يوناني مع نفحة بلجيكية. كانت عائلته من كونكورد في المساشوسيتس. كانت هناك تجاعيد على وجهه مثل نهري دجلة والفرات. اسمه جيري ماكسويني!

"جيري ماكسويني"! لم يلتفت الرجل أمام استفهام فرانسوا. كان رساماً. كان يرسم لوحات جرى الاعتقاد أنها اختفت ولا يعرف من الرسم سوى المعارض التي توجد بكثرة في أسبن، بورتوريكو وغيرها. كان جيري ماكسويني يرسم لوحات لأصحاب المليارات كمـا يرغبون: صور لهـم. كان يعرف التصرف، حضور واثق، ذوق دون غلط وعندما يضع لوناً فبنعومة تجعله يندم أنها ليست الأفضل. إنه لا يقاوم. في شبابه، رسم رسماً تجريدياً على طريق بولوك لكن ذلك لم يكن سوى أسلوب معارض للأسلوب الكاليفورني: متباهياً بنقـده، بـدأ يبيع بأسـعار غاليـة وحالياً تقوم محـلات ذات جمهور كبيـر بنشـر مقـالات مـن خمس صفحـات لفنـان لوحته متوسـطة الحجـم تبـاع بمئة ألـف دولار على الأقـل. لم يكن واثقـاً أنه بعد موته، سيصل السعر بسرعة إلى سعر لوحة الفنان الحقيقي، أنظر في "الغازيت" السعر الذي وصل إليه المنفر... آه، ما كان اسم الرسام فـي الخمسـينات والسـتينات الفـظ ذات الأسـلوب الجميل، الذي كان يرسـم الشـقراوات والربطـة الوردية على شـعورهن ونهودهن بارزة على غلاف القصة البوليسـية. لم يكن ماكسـويني منفراً، كان محبطاً. كان محبطاً بحد ذاته بالتخلي عن شخصيته. أوه، هذا لا يتم عن طريق شيطان يبرز اقتراحات مشينة من فم نتن، كلا، كلا، لكن

عبر قبول صامت وصبر الموج الساعة التاسعة مساءً وهو يضرب قصراً من الرمل. كانت رسم ماكسويني سطحية مثل الشاطئ. كان الذكاء يتسلل تحته ويجرحه بدقة متناهية. وبما أنه مهذب، كان يكظم غيظه. تقدم فرانسوا، القوات في مكانها والطائرات في الجو والمدافعة مذخرة وقوات النخبة متقدمة: لم يرد ماكسويني تاركاً إياه محتاراً ومغتاظاً، عندما عاد فرانسوا إلى الجلوس، التفت الرسام نحوه ورفع كأسه.

ابتسامة فرانسوا. انتظر الرسام بضعة لحظات ثم قال بصوت خافت: "الغليظات تنجح لأنها تستخدم الأدب، أدب غيرها". ما هذه التلميحات؟ تساءل فرانسوا. هل هذا موجه لي؟ حذر! كان الرسام ينظر إليه بعيون ثاقبة. قال فرانسوا: "إنه شاذ" لكن كلا: صباح الخير أيها الأشقر لقد نجحت في جعل مئة عام من الزمن تتكلم؟ همست بريتني وهي تقبّله بأذنه. في أحاديث الفصل التالي، كسب اسم "الرجل الذي جعل ماكسويني ينطق معتاداً على صمت الرسام واندفاعه العابر، تخلى عن إيجاد معنى. بشكله كبحار، كان ماكسويني دنيوياً. لكن أحدهما لا يلغي الآخر وكان يذهب إلى البحر في سفينة وكان يشاهد المجاديف تغيّر اتجاهها وبيده كأس. لقد عرف تقريباً كل الملذات واكتشفها ولم يعد يبحث عن شيء". يعتاد الدنيويون على الملل، قالت بريتني لفرانسوا الذي شبههم برجال الأعمال. إنهم يحبون ذلك ويعملون وفقه: يلي تثاؤبهم الكبير نجاحهم الكبير. هذا حتى يستيقظوا". كان ماكسويني يرغب تذوق لذة جديدة، بشرط ن تكون بمتناوله ويكون لها طعم نتن. أخذاً فكرة عن فرانسوا، أبقاها سرية ليكون لها طعم أقوى، نسي

مع الوقت كيف كانت وأصبح فرانسوا مدعواً مستمراً إلى مآدب آل ماكسويني في طرزانة.

في حقيبة مستنداته، كان هناك مقال من مجلة مع جمل محاطة بالقلم تقول إنه في هذا الحي الشمالي من هوليود (الوادي) اشترى مخترع شخصية طرزان الروائي إدغار رايس بورو مزرعة بفضل نجاح كتابه الذي أعطاه اسمه عام 1919. كانت ملفينا ماكسويني جالسة في وسط الطاولة مقابل المقعد الفارغ لزوجها الذي وصل ماشياً ببطء والكأس بيده. كان فرانسوا على الطرف، لكنه كان هنا. كانت ملفينا متحمسة له. كانت تمر لأخذه معها في السيارة كرفيق تسوق. عزة نفسي، فكّر، ثم صعد. وفق طريقته بالفصل التام لشخصياته مع الناس الذين يهتم بهم، لم يقل شيئاً عندما عرف أن ملفينا وكيلة عقارية من خلال نشاطاته المفترضة لمجموعة كوكران في نيويورك ونشاطات روكسان الحقيقية في باريس. كان جزئياً مهتماً بأظافرها المطلية باللون الأبيض، وتساءل إن هذه الأظافر المستطيلة ترمز إلى شيء في هذا البلد. فكرت ملفينا مفتونة بالذي تكلمه: أيها الفرنسي الذي يبحث عن سبب في كل مكان. كان يبحث أيضاً عن المال حتى لو بقي معه ما يكفي للعيش سنتين على قطار مناسب، ملفينا، ابنة موظف زراعي كسب أول مليون دولار في سن الثامنة والعشرين وقرّر أن يجعل ابن أخيه ممثلاً مشهوراً من الفراغ. أوكلت ملفينا لفرانسوا بيع بيت وقام بذلك خلال أسبوع وأعطته عمولة. أثار ذلك فرانسوا. إن العالم الموازي للعمل يعرفه فرانسوا مثلما يعرف الروسي في كراسينورسك أن البحر موجود. قال ماكسويني لملفينا: يجب أن تنتبهي لكنها كانت زوجته الثالثة وهو زوجها الرابع، عقود

الزواج السرية ولم يكن مستاءً إذا استخدمنا عبارة قوية لرجل يبحث عن المبالاة وهو يراقب أعمال ما يسميه الحيوان الجديد الأليف لزوجته. محبة للعموميات مثل الفرنسي، مثل فرانسوا، مثل رجل ربما، بكل حال تحبها وتفكر بفرانسوا: "إنه دائماً متيقظ ويجهد أن يكون هادئاً لكن ذلك ظاهر بأن الفرنسيون متلهفون، هذا ما يجعلهم خلاقين دون شك. تصور مخططاً غير منتظر وفعالاً لبيع المنزل. نحن لا نعرف أبداً الخير الذي يقال عنا وهكذا تحقق الرصانة إحدى جرائمها بحرماننا من اللذة: كان فرانسوا يشك دائماً إذا كانت ملفينا تحبه لشيء آخر غير أسلوبه. قدمت الخادمة في أوتيل سان بيار تقريراً غير مشجعاً ضد المقيم ولم يعرف بذلك. قادته جيري ماكسويني إلى أماكن لا يعرفها مصمم ألواح وكنا نرى الشاب يضحك وينفق في سوشي بار، باروان، في ركسبوري، كانت علبة الليل المفضلة عنده كينغ كينغ لكنه كان يذهب إليها قليلاً ويجبر نفسه على الذهاب إلى أماكن يستطيع فيها مقابلة المهمين. كان يوزع البقشيش، أوراق نقدية مطوية يضعها في الجيوب أو الأيدي بالسر، للأشخاص المفيدين خاصة أنه كان يمسك بالصغار باحتقار. "لوس أنجلوس ساحة معركة وعليهم ربحها".

كان بين ضيوف آل ماكسويني ثنائي إنكليزي شاب تمنت ملفينا بيعهما منزل في ماليبو بقيمة مليوني دولار. كان الإنكليزي يروي قصصاً يسخر بها من نفسه لجارته، سيدة عجوز ضعيفة، أنيقة تضع مجوهرات مزيفة وكحل على الجفون مما يجعلها مثل المومياء. لاحظ فرانسوا أنها لم تخلع قفازاتها الجميلة عندما جلست إلى الطاولة. بكل حال، الأغنياء مسلّون وقباحتهم سحرية. أعاد نظره من

الماضي إلى الحاضر والتفت نحو الإنكليزي وكله أذان سامعة.

كان هذا عشاؤه الثالث عند آل ماكسويني وأنه بفضل لوس أنجلوس أصبح أكثر بدانة مما كان عليه وبدأ يقوم بالرياضة. للمرة الثالثة أجاب أنه ترك فرنسا لأنهم بلد المساعدين حيث المبادرة الفردية ممتحنة من حكومة تسرق 55 بالمئة من الثروة الوطنية. هذا كثير؟ وضعوا أمامه عصير التفاح وإبريق من الكريستال مع نظرة غنج من ملفينا. انتبه بالكاد وتابع حديثه عن فرنسا بحيث فغرت المرأة فمها وسألته لماذا استقر في أميركا. أجابت جيري ماكسويني بدلاً عنه ببطء: الناس الذين يحبون بلداً أجنبياً لا يحبون بلد، إنهم يحبون حلم". تابع فرانسوا، "كانت كاترين دونوف اللذيذة تقول لي في كان... وهو يقلب ساعة الرولكس في يده. كان المدعو الذي يهمه بعيداً. كان رجلاً يحاول التخلص من قميص مخطط ياقته ضيقة. أراد فرانسوا درس بدقة تصرف هذا الكائن الذي يقاطع كل ملاحظة على مواضيع مثل الأدب والرسم والفنون للرجوع إلى ما يعتبره جدياً: المال. كان يعمل بالتلفزيون. عند الخروج إلى الحديقة قالت جيري لفرانسوا: "هناك أشخاص مهمين لكن رأيهم غير مهم" تمّ استدعاء رجل التلفزيون لأمر مهم وتوجه فرانسوا نحو ريشار شبكة. كان فرانسوا يحدثه عن جده الإسباني الذي فرغ من بناء قبر له بقيمة 15 ألف دولار وأعطاه بطاقة مع رقم هاتف مباشر لجناحه في الكراون بلازا.

من نافذته، لاحظ أنهم بدلوا الإعلان في طرف الجادة، وعاد إعلان العطر Eternity for Men. قام بعد نقوده، وفي أسفل حقيبة إيميريك لاغولاي كان هناك سلاح، أسود صامت. وضعه في الخزنة

مع علبة الرصاص الثقيلة. إلى جانبه كان هناك خمسة آلاف دولار اقترضها من صاحب محلات الزلاجات، زبون لبريتني لم يعد يراه. إن الخمسة عشر ألف دولار التي اقترضها البارحة من ملفينا أعارها اليوم لرجل سيعيدها إليه مع فائدة ألفي دولار الشهر المقبل. لقد استخدم زبون لملفينا وقع له شيك بقيمة عشرة آلاف دولار مع تعهد بإيجاد منزل له بقيمة أربعة ملايين دولار. وعندما جاء ليطالبه بالمال أجاب فرانسوا: أي مال؟ لقد نسي الرجل الطلب منه توقيع طلب بحث وحفاظاً على سمعته لم يشتك. ارتمى فرانسوا على السرير جالساً ثم اتصل برقم اللجوج الصغير. كان هذا الطالب الفرنسي في كلية التجارة الذي يمضي سنة استعارة في لوس أنجلوس يدخن الحشيشة مع متسكعي هانتنغتون بيتش. مفلساً، أعلن أنهم سرقوا شيكاته الأميركان إكسبرس التي أعطته إياها والدته في حال الضرورة والتي قبضها نقداً. وبما أنهم أخذوا صورة عن الشيكات، أرسلت نسخ عنها للمحلات التجارية حيث تطبيق القانون سطحي وبما أنه لم يعد قادراً على الاستمرار طلب من فرانسوا ألفي دولار سلفة. أعطاه فرانسوا النقود بشرط أن يوقّع الطالب رهناً لسيارته التي تبلغ قيمتها عشرة أضعاف والتي ستعود ملكيتها لفرانسوا إذا تخلف الطالب عن الدفع. رنّ الهاتف، قال: أريد أن أسأل أين جرى دفن بابي باكو. أعلن التلفزيون نتائج الانتخابات. لقد تمّ انتخاب حاكم أركنساس رئيساً. ظهر على التلفزيون MTV حيث كانت نيرفانا تغني: "رائحته مثل المراهق". رفع الصغير السماعة، أغلق فرانسوا السماعة. ماذا أريد؟ ماذا أريد بالضبط؟ اتصل بملفينا. حسناً، وافق على الإقامة في منزل برانتوود الذي ذهب صاحبه إلى أوروبا لمدة

سـنتين والذي طلب منه الحفاظ عليه. إنها سـتدفع لفرانسـوا وقد وافـق. كان المنـزل مؤلفاً من ثمانية غرف وسـت حمامات وصالة سينما ومسبحين واحد في الخلف والثاني في الحديقة.

أربع وعشرون ساعة مع جنيفر

أصابه الحب ثلاث مرات. ثلاث مرات في يوم واحد بفارق ثلاث ساعات. عند الثالثة بعد الظهر شاهدها في المسبح التابع للفندق. كانت ترتدي بيكيني شعرها مربوط تطفو على الماء وظل زائح في العمق. أثاره القوام واليدين والجسد والملامح الطفولية لهذه المرأة الراشدة، وبشكل خاص نهديها، نهدين طبيعيين نادرين في هذا العصر، هذا البلد، وسوف تخبره يوماً ما عن مهنتها. انتبه لطريقة تحركهما إلى الأطراف ببطء وثقة وإنسانية عوضاً عن البقاء منتصبين مثل الأجراس. عندما قفزت إلى الماء أصبحت خطاف. تحرك شعرها تحت الماء مثل المكنسة. جلس على طرف المسبح ونظر إليها تصعد محاطة بفقاقيع بيضاء. تحت الدوش في خضم الشمس، انفجر الماء حول رأسها مثل السهام، كانت تغمض عينيها وتفرد شعرها وتنشفه بمنشفة لفتها مثل القبعة. كان شعرها أسود وانعكاساته زرقاء، عيناها كستنائية. عند السادسة مساء، التقى بها في أحد بارات الفندق ترتدي قميصاً أبيضاً وعلى جوانبه أربطة وتنورة قصيرة وردية وحزام في وسطه بقرة وجزمة غربية من الجلد الكستنائي. كان شعرها موضباً تحت قبعة من الجلد الأبيض كبيرة. عند الساعة التاسعة والنصف رآها في علبة الليل التابعة للفندق حيث كانت تغني. هنا أغرم بها، كانت تغني وقد أثارته.

عندما نتساءل إذا كنا نحب، نحب. تساءلت جنيفر إذا كانت

تحب فرانسوا. كانت مسممة بجسده. كان عقلها يردّد لها: أنت تحبين أناقته كونه فرنسي. كان جلدها يرتعش عندما يقترب من جلده. يمكن أن نصبح مهووسين بالجسد. كانت تدخن، وكان الدخان يخرج من فمها مثيراً. كان هو أيضاً معجباً بجسدها. كان يرغب في وضع إصبعه على خدها البيضاوي والممتلئ ليرى الجلد يعود إلى مكانه، طبيعياً، مطاطاً وهادئ. متمدداً على جنبه، كان ينظر إليها ممددة على بطنها ملتصقة به على المنشفة الكبيرة التي وضعتها على الرمل. لا شيء أنعم من البحر عند السابعة صباحاً. المسمّرون ليسوا هنا وكذلك الأطفال والمجذفون، لدينا شعور أن العالم استيقظ لنا وأن اليوم لذيذ والمستقبل جيد.

في علبة الليل، رقصت وكأنها نائمة. في موقف السيارات، أدار الراديو وفتح الأبواب ورقصا بصمت وهما يبتسمان. عندما أدناها منه كان شعرها يلامسه، تركت يدها الأخرى ترفرف أفقياً. كانت الكحول تناسبها، وكانت الأغنية الناعمة "لا حليب اليوم" تتخذ صدى مأساوي. كانت تتحدث عن لحظة لطيفة يجب الاحتفاظ بذكراها للأيام المستقبلية الصعبة، لأن الأيام الماضية الصعبة لا يمكن مواساتها. لنرقص، لنرقص، إذ إن امرأة يمكن أن تصبح عاهرة. قطب حواجبه وهزّ رأسه وقالت بدورها: هيا لنرقص، لنرقص! ثم قطبت حاجبيها بدورها ثم قالت: أنت تؤلمني عندها قبّلها. سيارة مكشوفة، هي النصف الآخر من السعادة. توجها نحو البندقية في صباح دون ضباب وبينما يقتربان من المحيط، كان النسيم يداعبهما ويعيدها إلى رشدها ويسكره، فكّر: يا إلهي، يا إلهي أعتقد أنني لم أكن أبداً سعيداً والدليل أنني أقول يا إلهي

مـع النقص في الإيمان عندي. يا إلهي، أعتقد أنها المرة الأولى... فالسعادة ستهرب. المرة الأخيرة التي تحدث فيها عن السعادة كانت مع ملفينا، الليلة الســابقة عند المســبح، كانت ترغب به بقوة: "يريد الناس أن يكونوا سـعداء لذلك فهم بائسـين". أجاب وهو مسـتاء. "عليك أن..." رحل، نادته، لم يرد على الفور. لم تكن حبيبته، أليس كذلك؟

وضع يده اليمنى على كتفها الأيسر وبيده الأخرى رفع خصلة الشـعر المتدليـة علـى عين جنيفر. إنهـا تملك ابتسـامة مميزة، وأنا أعرف أنني أقول حماقة لكن هذا غير مهم، فما أريد قوله بعبارات أخـرى، أحبـك. كانت كلماتـي ثرثرة، والحديث معـك عن مهنتي كمضيفة في الأمسـيات، ألفت أغنية لأقنعك أنني أستحق انتباهك. قـال بصـوت حالم: "الحب يجعل الإنسـان أحمـق" أجابت: "هذا مؤكد. لكن الحقد؟ إنه يجعله ذكياً - على الأقل يجعله ماكراً قالها بصـوت خافـت. آه، ألـم تلاحـظ النعومة التي يقودنـي إليها الحب ويجعلنـي موضـع إعجاب مـن قبلك!" الحب ابتزاز. قرّر فرانسـوا تغيير أسـلوب حياته، دقيقتان لذيذتان سـاهمتا فـي تغيير 0.00001 بالمئة مما كان عليه. لم يكن المزيج قوياً: عاد فرانسوا القديم. عاد الحب يهاجم. زادت النسبة المئوية. إنني سأتزوجها.

في الطريق إلى مكتب ملفينا ماكسـويني، محرجاً لأخذ زميلة لجنيفر. كان لدى باميلا نهدان مستعدين للقفز في سلة بيسبول وكان من مصلحته البقاء مهذباً كما جذره حبه الأبدي منذ أربعة وعشرين سـاعة. صعـدت زميلتها التي ترتـدي معطفاً إلى السـيارة وامتلأت سيارة الكورفيت بأشياء نسائية. كره فرانسوا هذه المرأة الشابة التي

أدارت رأسها نحوه وأظهرت وجه طفل صغير، مربع، شعره قصير، شفاهه ناعمة، نظرته باردة. ابتعدت عن السيارة نحو صالون التدليك مترنحة مثل مالك الحزين على قدميه الكبيرة البيضاء. ممسكاً بها بيدها، كانت جنيفر التي بدلت ملابسها بعد العرض ترتدي بلوزة سوداء وبنطلون وحذاء من الجلد الأسود. إنها تريد بأي شكل اصطحابه إلى مصارعة ثيران في المكسيك، قال ذلك لملفينا. لم يظهر علينا أنها مصدومة، اسمها جنيفر جوردان في العرض واسمها المكسيكي الحقيقي كريستينا دياز وهي غيورة. لم تشعر ملفينا بأنها مهانة بل بدت مسرورة لأجله، غضب وقال: سأتزوجها. أظهرت ملفينا سعادتها وعانقته. أخذ مفتاح منزل برانتوود بارك وهو يدمدم ثم أضاع ساعتين في الازدحام ليلتقي بالطالب الصغير الذي أعطاه موعداً في بار كلفير سيتي: إنه سيقرضه المال لكنه سيقصّر المدة، يصبح بعدها مالكاً لسيارته. وصلت سيارة BMW إلى يمينه، موديل جديد لونها نبيذي وكان السائق يرتدي نظارات سوداء وقميصاً من هاواي. حسناً، لن أتزوجها لكن يمكننا أن نرى ماذا يحصل إذا أعجبها المنزل. انطلقت سيارة BMW وبقيت خلفه. ما هو موديلها؟ 325؟ إنها أكبر مني بسنة واحدة واستطاعت مثلي الخروج من جذورها وستتركني أعيش على مزاجي. وبما أنه لا زال بعيداً عن كلفير سيتي وكان قد وعد جنيفر بأخذها إلى صالون التدليك، توجه نحو المخرج وترك الخط السريع.

كان المنزل لمثقفة يهودية غنية من نيويورك شبيهة بالكلب الأفغاني. امرأة جميلة، جميلة جداً في الستين من العمر، شعرها أبيض يغطي رأسها، عيناها جذابتان عند الاقتراب منها. كانت

ترتدي فسـاتين طويلة وجوارب. لا ينقصها سوى القلنسوة لتصبح إمبراطورية فارسـية، قال فرانسـوا وهو ينظر إلى الصورة الموجودة فـي البهو. قالت له ملفينا علـى الهاتف: "لماذا هي متواضعة؟ لقد كتبت اختبار منذ ثلاثين عاماً أثارني كغيري من القراء. وهي جميلة طبيعياً وهذا أمر نادر في كاليفورنيا حيث تضع النساء المساحيق على الوجـه. إننـي أرى قدوم مرحلة غريبة حيـث نصبح فيها مخلوقات ويهـزأون منـا. "أيـن ذهبت الجدات مـن العصر القديم؟" نتسـاءل ونحن نشير بالإصبع إلى النساء العجز اللاتي سنصبح. اعتقدنا أننا نبعد الموت عندما نتزين لكنه سـيعرفنا رغم ذلك، والرجال ليسـوا أفضل منا. صادفت كيرك دوغلاس ونتيجة العمل، أصبح محدودباً، عيونه متهدلة. تجعل عمليات التجميل لوحات بيكاسو مشابهة. يقال إن الموت يرمز إليه بشكل هيكل عظمي أقول لك: الموت هو حفرة صغيرة". فكّر فرانسـوا، إن الكحول لا تناسـبها. كان عندها بار من خشـب الأكاجو فـي مكتبها، جداره مغطى بلوحات بيوت رسـمها زوجها ورسـم قصور الأغنياء إضافة إلى رؤوسهم. أجاب فرانسوا ملفينا: "حسناً، سأبقى". ذهبت جنيفر وباميلا لزيارة الحديقة. اتصل مجدداً بملفينا. من غير الممكن الاحتفاظ بهذا المنزل له وحده، إنه يحتاج إلى موظفين. أجابت أنها ليست كونها مثقفة وتتمتع بنجاح قديم تسـتطيع الحصول على منزل مشـابه: لقد ورثته عن عشـيقها، مصور معروف مات حديثاً بمرض سرطان في العين. حسناً أجاب فرانسوا: "إن مساعدتك تتصل بنا". ألف مرة، ألفا مرة جنيفر عوضاً عن هذه النساء صاحبة الأفكار.

"جنيفـر، جنيفر، باميلا!" اسـترعى انتباهه شـكل غريب في

المسبح الملحق بالمنزل. التقط بصعوبة الحية بواسطة شبكة استغرق عدة دقائق لإيجادها. ماذا يفعل بحية ميتة؟ رماها في سـلة القمامة التـي أمضى وقتاً طويلاً لإيجادها هـي أيضاً، في صالة طعام عارية مثـل محـل أدوات تجميل فاخر وليس دون شـعور بعدم الاحترام. حية في سـلة القمامة؟ غطّى عينيه بيده ثم نظر إلى منزل المسـبح، المسـبح الثاني في الأعلى. قال للمساعدة التي وصلت وهي تلوح بالمفاتيح: "إنهما هنا، هيا سـننزل وسـيلحقان بنا. كيف تفسد يوماً في لوس أنجلوس. تمضيه في السيارة. لقد أخطأ في شارع برانتوود بارك، هنا منذ بضعة أشهر اكتشف المدينة. اتجه إلى بوندي درايف مع همهمة الفتيات. غضبت الفتاتان عندما قارن عناقيد البلح المتدلية من شجر النخيل ببقايا القرد. سوف أتزوجها.

عند المسـاء ذهبوا إلى حفلة موسـيقية لفرقـة إنكليزية جديدة أوصـى بهـا الإنكليـزي عنـد آل ماكسـويني. وجد فرانسـوا بمغني ديفين كوميدي شكل فأر تجارب. وبعد عزف مقطعين على البيانو فتح فمه وتحوّل إلى هذا الفم. فم كبير مظلم يبرز من هذا الجسم الصغير القصير يصدر عنه صوت أوبرا، واعظ في كنيسة معمدانية، كورس وزنه عشرين كيلو. تطلعت إلى الصالة وكان فرانسوا يستمع إلى الأغنية حيث فتاة شـابة تقص شـعرها بنصيحة قريبة سـيئة. لن أتزوجهـا. ضربـت نوتـة على ذكـرى قديمة جداً مـن الصبا، قديمة بشـكل لم تعد ذكرى، ذهب لملاقاة إحدى المنسـيات التي نسميها ذاكـرة. منعشـة مثـل الأمس، صعـدت صورة وملأت جسـده. كان نـادل البرودواي يقدم مشـروب SAS على وقـع أغنية تحمل نفس الاسـم. انتفض الجميع وصفقوا، متناسـين فرانسوا الذي كان حتى

هذه اللحظة مثار إعجاب.

عاد إلى لوس أنجلوس عندما كان المغني يسخر من الحب. ظهرت والدته من الخلف في يوم من الأيام عندما كان طفلاً طرح عليها سؤالاً أجابت عليه برفع كتفيها. صعدت صورة أخرى. استلزم إيقاف هذه الدوامة. صفق بيديه وأصدر صوتاً مزعجاً. توقف المغني عن الغناء وانتقده. صفق الجمهور. من الملفت أن الثقافة الاجتماعية للبشر مصنوعة من خلال تجمعهم في أماكن حيث يستقبل الغليظين أيضاً، قال فرانسوا: مدرسة، ليسيه، خدمة عسكرية. إنهم مدعوون في الواقع للتعاون مع المؤسسات في تدجين العقول المستقلة. الحضارة بربرية، يريدون أن أتظاهر بالتصديق؟ إنني أصدق لكن ليتركوا لي حصتي. المكر هو الحياة. سأتزوجها. لن أتزوجها. سأتزوجها. أجل يوجد عندها ليونة، لامبالاة، ليبرالية لا تمنعني من رؤية أنها تريد مساعدتي دون إغاظتي، يجب مع ذلك... باميلا... ماذا عن باميلا؟ هذا مثير هذه المنافسة. ذهب الثلاثة للسباحة في مسبح الفندق.

لن ننجب أطفال

ظهر مجدداً في المجتمع بعد ثلاثة أشهر. ثلاثة أشهر وثلاثة أيام: قرّر أن يشير إلى كل ما يفعله بالرموز. خلال هذا الفصل، بقي في منزل برنتوود بارك حيث انضمت إليه جنيفر بعد عدة اتصالات ولبضعة أيام. مارسا الحب ورقصا عند المسبح الأول، شاهدا أفلام عن طريق آلة سينما، شربا حليب مع الموز طلباه من عند جو في سان فنسان، أفضل إنتاج حسب رأيهما. كانت تقول له: "سوف أصطحبك لحضور مصارعة الثيران في المكسيك" كان يرد: "سوف أقدمك لعمي جيرار". أمام ضابط الهجرة لم تفاجأ بسماعه يقدم نفسه تحت اسم فرانسوا داريه. لقد قال لها إن اسم دوبارديو هو اسم مستعار. اتخذت هي أيضاً اسماً مستعاراً وفكرت أن كل أهل الصناعة كما تقول لتكون ضمن أوساط السينما يتخذون اسماً على الأقل. اسم غامض نوعاً ما، لكن باميلا كان جزءاً من المخلوقات التي تعيش في الغامض، في كل ما هو غير شخصهم دون أن يهتموا. كانت باميلا شاهدة على زواجهما. عادة مستعدة، وصلت في ملابس الرياضة مدعية أنها أخطأت بالموعد وصعدت إلى سيارتها دون استبدال ملابسها. كانت الأفلام التي شاهدتها أفلام عنف. كانت جنيفر تبحث عن موديلات لرقصاتها الساخرة وفكرت بعض الوقت بفكرة "المدمر الحسن"، لباس من الجلد، وصلت على دراجة نارية، أغنية لساد قبل أن تتخلى عنها دون

التفكير بها. لم يستأجر النينجا المكسيكي الذي كان مسلياً. لم يشأ أن يستأجروا له فيلماً صوّر في تاربس.

لـم تكن هـي أيضاً ترغب بأطفال وكان اتفـاق بينهما. وأدركا ذلك عند المسبح. أخرجت من حقيبة صغيرة من البلاستيك الوردي تحتـوي على صور الطفولـة، صورة والدها، صورة والدتها، صورة أختها والطفل المنتفخ ذات الرأس الصيني. كانت هي، قال: بصور العائلـة نـرى أن الأطفـال يجتاحون حياتنا. في صـور عائلة أهلك، أنـت وشـقيقتك موجودتان فـي كل مكان، مـع أجدادكما لا يوجد أحد. الأطفال شعب يجتاح شعب آخر. أجابت: "لو أستطيع صنع واحد على حدة" وقامت بحركة جافة كما لو كانت تضع شيئاً قرب أوراكها. كانت تخشى أن يفسد ذلك جسمها خاصة عندما ترى طفلاً فإنها لا تتحول إلى أم". قال: "جميلتي اللامبالية وهو يرجع الخصلة التي انسـابت على جبينه المنتفخ أنا أيضاً لا أريد طفلاً. لا منافس ولا أمـل أيضـاً. نحن نشـكل ثنائياً وليس عائلة. تكامـل بين اثنين. وسـنكتم نوايانـا إذ أنه بين الأحقـاد الدفينة التـي تتحرك في داخل البشرية، الأكثر عنفاً هي أحقاد الذين لديهم أطفال ضد الذين ليس لديهم. أنجز غضب الواجب ربما وانشغلوا على تغذيتهم وتعليمهم والعنايـة بهم إضافة إلى المـال والألم والوقت مقابل خمس دقائق من اللذة. يوماً ما، المجرمون الاجتماعيون الذين نمثلهم لم يعطوا العناصر المجددة... تثاءبت جنيفر: "هل تريني صورك؟ لكن ليس عنـدي صـور. ألم يأخذ لك أهلك صـور؟ - أخذ لي جدي صوراً وأنا صغير مرة واحدة وأنا في لباس الرغبي وأعطاها لوالدتي التي رمتها بعد بضعة أسابيع".

كانـت تحب فرانسـوا بعيداً عن أية اعتبـارات أخلاقية. كانت تداعبـه بأطـراف أصابعها خلال سـاعات. كان يسـاعدها في بعض الأمـور بعـد طلبات غير واضحة. لـم يعد ثنائياً بل مجتمعاً سـرياً. عانى من مرض معوي جعل منها ممرضة. وفي غياب أي اشمئزاز من الأمور المادية، كانت تعالجه. دام ذلك يومين، في اليوم الثالث، مرهقـة ذهبت لأخذ حمام شـمس مع باميلا. فـي اليوم الثالث من الشـهر الثالـث نـزل إلى سـوق برانتـوود وهو عبارة عـن مجموعة محلات تشـبه بيـوت الألعاب حـول باحة. كانت هنـاك النيويورك تايمز التي لم يشـترها ومنوعات، أسـبوعية السينما التي قرأها وهو يطعم فرانسـوا دوبارديو. وبما أنه سيمضي العطلة في لاس فيغاس لافتتـاح فنـدق إيميرالـد سـبلادور قـام بتصحيـح لون شـعره. قال وهو يضع المفتاح في باب سـيارته: لقد مضى الوقت. على لوحة إعلانـات كانـت هناك صورة رجـل وامرأة يتأرجحـان وجهاً لوجه علـى أرجوحة لدعاية لكالفن كلايـن، طرد هواء المحيط الضباب. سـائراً تحت الشـمس في شوارع برانتوود، صدم بسكون الأشجار. ميّز شلل أشجار النخيل اللذة الاصطناعية لهذه المدينة، اصطناعية كاملة بما أنها مطبقة على الطبيعة. خرجت جنيفر.

الصور القذرة عندما تكون مفرحة ترمي إلى إثبات أنه بعكس ما يقول التعسـاء، الجسـد ليس فرحاً، قال ذلك وهو يتصفح ألبوم الصور المهنية لزوجته. قدمت شكاوى ضد المؤسسة التي أصدرت الرزنامـة. لم يكن في الصور شـيء من الانحراف بل على العكس كانـت صريحـة ومضحكـة! قالـت لـه جنيفـر: "أنت لا تعـرف أن الانحـراف موجـود فـي رأس المتزمـت الذي يتصـور العيب الذي

يرفضه معبّراً عنه في كل مكان؟ إن المتزمتين غير حذرين. لقد عاملوني كامرأة شريرة، غير وطنية وكافرة. أنا التقية، جذابة وأنا أرتدي الملابس. أنت المنحرف مع اقتراحاتك أن نكون ثلاثة، قالت ذلك وهي تنهض من السرير حيث كانت ممددة عارية. قامت وهي تحرك تنورتها الجلدية الحمراء المتدلية على ساقيها واستبدلتها بالسيدة العذراء بقفاز بين نهديها المضغوطين بصدرية ونزلت. كيف لا تشعر بالبرد وهي شبه عارية حتى في الربيع الأبدي لجنوب كاليفورنيا؟ تساءل فرانسوا. وهكذا رأيت روكسان تخرج بفستان مفتوح في باريس الباردة بينما إيمانويل كانت تصاب بالزكام دائماً رغم ارتدائها المعاطف. قال بصوت عالٍ وهو يغلق الألبوم "امرأة تعرف نفسها جميلة لا تقهر". تطايرت فواتير قام بجمعها ووضعها في إناء الفاكهة حيث لم تضع جنيفر فاكهة أبداً. فتح فاتورة عشاء الزواج في الأورنجيري والتي لم يدفعها. ليس غالياً استئجار الباص لرحلة الزواج. كان باص جولة مغني الروك الإيرلندي، ذات النوافذ السوداء والمقاعد الجلدية البيضاء. كان فرانسوا أكثر فرحاً لعدم الدفع من عدم الذهاب: كانت جنيفر قد أخرت التاريخ، ثم ترددت وطلبت إذا كان بالإمكان اصطحاب باميلا وألغت دون أن تلغي وأفسدت المشروع الذي لا يرغب به. قال لها: "لديّ الكثير من المال لكنني لست غنياً". استمر في الإقراض مدركاً أنه كلما أقرض، كلما استطاع الاقتراض، خلال الفصل السري، قدم جنيفر على أنها مدرّبة رقص لسلوفاكي عابر كان ينوي تأليف كوميديا موسيقية في بلده، امتلك الشركة التي كان يديرها حتى الآن والتي أراد تخصيصها للزراعة. "يمكن القول بشكل مضاعف

أنه في مجال الملفوف" قال فرانسوا عندما اختفى موفراً مئة ألف دولار. رنّ جرس الهاتف، وهو أحد الأشياء التي يجدها متخلفة في الولايات المتحدة. والشيء الآخر كان شبكة الكهرباء. تأخر في الإجابة على الهاتف لأنه متأثر بهذه الذكرى، قال لجنيفر: "أين أنت بحق الشيطان؟ إن طائرة السيد شبكة تنتظرنا في مطار فان نويس بعد ساعتين". لم تحضر إلى لاس فيغاس. خلال ذهابها للتسجيل في النادي الرياضي في سان فنسانت مع باميلا، صادفتا أصدقاء دعوهما إلى حفلة في اليوم التالي في سان دييغو. "لقد سئمت من كل هذه النساء، سئمت" فاجأ استخدامه اللغة الفرنسية جنيفر أكثر من الصيحات. لم يدم ذلك سوى لحظة وأجابته ببرود: "أراك يوم الاثنين حبيبي".

يهود الشميتس في لوس أنجلوس

بعد العودة من افتتاح فندق إيميرالد سبلاندور، وجد رزمة مفتوحة على سريره ومكتوب على الورقة الحمراء بالخط العريض الأبيض "قف". ذهب إلى غرفة جنيفر التي كانت نائمة وشعرها منسدل على خدها. عاد إلى غرفته وأدار التلفزيون وقام بتعداد أغطية الثياب أرماني، فرساتشي، فيري وديور التي كانت تغطي السرير والخزائن والأرض. بدلة لم يستلمها، خمسة لم يطلبوا منه دفع الفاتورة عند التسليم مقابل ثلاثين، قدم له البائع خمسة قمصان وخمس كرافاتات. من باب الخزانة المفتوح، تسلى بالتعرف عن بعد على بدلاته العادية: الزرقاء مع خطوط رمادية التي تتناسب مع القميص المخطط بالأحمر. والأبيض من عند ترنبول وأسير، وهكذا دواليك. كانت صالة الحمام كبيرة بحيث لا يغطي البخار الباب الزجاجي، منحنياً على ركبته لغسل قدمه، أخذ دوش. فُتِح الباب. فرك عينه حيث دخل الشامبو، مدّ يده إلى علاّقة المناشف. لعدم وجود منشفة، وقف وتحدث إلى الخادمة، أخذ مشط من الخزانة في الحمام وتوجه نحو حافظة الثياب. كانت حقائبه منذ فترة طويلة في المخزن لكنه يحتفظ بحقيبة إيميريك لاغولاي كتعويذة وهي موضوعة على الرف الرئيسي. إنها مثلي قال فرانسوا: نراها ولا نراها. هذه الحقيبة هي صورة عني. ارتدى قميصاً قطنياً وبدلة وربط البنطلون بحزام من الجلد. في التلفزيون كانت ممثلة كوميديا

تمثّل. الضحك هو جبن. نضحك لنحصل على تفوّق وخلال هذا الوقت لا نتحرك. جنيفر لا زالت نائمة. بينما كان ينزل على الدرج الدائري توقّف لتفحص ساعته البلاستيكية المرغوبة في الولايات المتحدة والتي لم توزع هناك.

كان يمتلك ثلاث سيارات: "الكورفيت التي ينوي بيعها لشراء BMW325IX، الجيب شيروكي ومرسيدس 450. المرسيدس كانت شبيهة بسيارة الدكتور لاكرامب لكن سيارتي أفضل". عندما أصبح في قلب الازدحام، الحركة الأساسية للمدينة، تبسم من الفرح وقال: مدينتي، لقد وجدتها، ووجدت نفسي. وجدت زوجتي هناك. جنيفر وفرانسوا دوبارديو سعيدان باستقبالكم يوم... أجل علينا تنظيم حفلة. إذاعة عامة على موجة FM أبلغته أن معظم طرقات برانتوود بدلت اسمها عام 1916، العام الذي تزايدت فيه هذه الجماعة في لوس أنجلوس. أنجلينو حقيقي. لن يبني ريشار شبكة مركزاً تجارياً هنا. في سانتشوري سيتي على بعد شارع من بولفار سانتا مونيكا وضع مستطيل من الباطون فوق آخر. سأله اللاتيني المرتدي قميصاً مخططاً وقبعة صفراء: "ماذا تفعل هنا؟". "أنا صديق السيد شبكة المتعهد وقد طلب مني تسويق المحلات". أعطاه العامل قبعة وأرشده عبر الموقع.

كان أفضل مكان لشراء هدية لجنيفر، لدى جيري مانيان في روديو درايف: وسوف يذهب بعدها لإصلاح لون شعره عند الحلاق. بعد ذلك، يتناول الطعام في البيستروغاردن. حفلة مثل التي ذهب إليها في لاس فيغاس ندبغها مثل الجلد من خلال التظاهر والكلام قائلاً كنت هناك وذلك لثمانية أيام على الأقل. توقف

على إشارة حمراء. واضعاً يده على الباب حيث النافذة مفتوحة، اعتقد أن الأشجار تعكس على زجاج نظاراته الشمسية مثل الغلاف الذي اشتراه منذ بضعة أسابيع ولم يقرأه حتى الآن. أمامه في الجهة المقابلة كان ممثل شاب من مسلسل تلفزيوني يضرب على سقف سيارته البورش الحمراء على وقع أغنية "هل ستكون هناك" لمايكل جاكسون. أوقفا سيارتيهما في نفس الموقف حسب العبارة التي تجعل الفاتورة غالية واصطدما في المصعد والتقيا عند جيري مانيان. "مضحك، سلام! اسمي فرانسوا، سلام اسمي زاك، أوه، أعرف من أنت" وبعد ساعة كانا لا يزالان معاً.

كان الشاب يرتدي قميصاً مكتوباً عليه "الجميع يحب فتى غني" من لا يحب فتى غني في الواقع؟ تساءل فرانسوا. كان بنفس العمر تقريباً أضخم منه كثيراً. ناعم أنفه مثل عارضة مركب، شعره أشقر وعيونه ضاحكة. عندما أفكر أنه جميل! ضاعف رأس عنكبوت على مليون صورة تجدها جميلة مثل شارون ستون. نحب ما نرى. ولا حاجة أن يكون ذلك مميزاً، كلا، كلا، يكفي أن نراه غالباً. كم هو قبيح! جاءت ردة الفعل من شعور مكبوت عرفه قبل أن يتمالك نفسه ولا يفسده بتفسيرات خاطئة. ليس قبيحاً، إنه أكبر مني. مقابل رفاهيته رفاهيتي محسوبة، ثقيلة، عالية. شعر بسرعة بالبرد وقال: هذا المشهور يمكن أن يكون مفيداً لي. كان الممثل يروي له قصة حياته وهو يأكل. افترض فرانسوا أن زاك سيطلب منه رواية قصة حياته. وسوف يتحفظ فهو يكتشف أنه يعرف الممثل أكثر مما كان يظن. زاك لي، بطل مسلسل تلفزيوني عن غراميات المراهقين في سانتا مونيكا (وهو يأمل تمثيل فيلم حقيقي مع ديمي مور) وديفيد

مورالي حسـب اسمه الرسمي. ولد في فرنسا، خشي والده وصول الاشتراكيين إلى السلطة عام 1978 فأرسله إلى معهد في كاليفورنيا وبقـي هناك، لا يتكلم الفرنسـية بلكنة ويبحـث عن المفردات. بعد ثـلاث سـنوات من انتخاب ميتـران أدت أفكار والديـه الوقائية إلى انضمامهـم إليـه. فهم فرانسـوا أن الأمر يتعلق بمورالـي الذي كان لوالده أعمال معه لكنه تحفظ عن الاستفهام: "أنا أيضاً من تاربس"، جـردت الضرائـب جيرار موراليـي من أمواله وبـدأ بعمل جديد في لوس أنجلوس من خلال ماركة من ملابس الشـارع، علّمت الناس كيفيـة ارتـداء ملابس وهم لا يعرفون سـوى أسـلوب المحامي أو الريفي، لا شيء بين الاثنين أو اللباس المرفوع بحزام والذي يرتفع تحـت ضغـط الأفخاذ الكبيـرة أو الجينز الواسـع مع قميص ضيق. قـال ديفيـد وهو يضحـك: هذه المدينة لا تعرف مـا تدين به ليهود shmattès الذين فروا من الاشتراكية في فرنسا!

الشميتس؟ فكّر فرانسوا باللهجة الإقليمية نقول "وراقة": كانت جدتـي تقـول دائماً عن والـدي: "إنه يرتدي ملابـس مثل الوراق". الـوراق يمكـن أن يكـون يهوديـاً. نحـن مخلوقون لكي يسـمعونا. علـى الطاولـة المجاورة، ممثـلان متقاعدان لعبـا أدواراً في برنامج تلفزيوني هزلي يسـتذكران قصة قديمة. سـأل زاك: لماذا أهل الفن عندمـا يتواجدون حول طاولة يصرخـون من الضحك وهم يروون نكات غير عجيبة؟" حفظ فرانسوا ضمناً نكاتهم من أجل دوبارديو الضمني. لن يكرره على الأرجح. بعض الأشياء يجب معرفتها من قبلنا وليس من قبل الآخرين. يعطينا السر حجماً.

الانتقام

خـروج، مطاعم، بارات. ربيع أزلي بالنسـبة لحياته أيضاً. من وقـت لآخـر، كان يختفي. "لا أذهب إلـى الكازينوهات، لا ألمس المخدرات لا أعاشر العاهرات!" واثقاً مثل مدمن كحول لا يدخن، كان يعود نحو وسط لوس أنجلوس. أعطى موعداً للطالب اللجوج للحصول على سيارته وأرهبه بواسـطة رجلين قـرب حائط مغطّى بالنقوش الأثرية، في الأسـبوع التالي، أرسـلت والدة الشـاب نقوداً أعطاها لفرانسـوا. كان الوسـط الجنوبي يعاني من اضطرابات العام السـابق. أكثر من مرة، صادف سيارة تحترق قرب رصيف مترافقة مع لامبالاة رجل سمين يجر عربة تسوق مليئة بعلب فارغة. يقول البعض إنه دبّر زبائن لبار SM وقال آخرون إنه نظّم رهانات سـرية لمصارعة الكلاب، وقال غيرهم إنه أخذ أموال مخصصة لشراء أبر لمركـز معالجـة مرضى السـيدا. كان يعود من هـذه الجولات تعباً، نظرته شاحبة وجلده رمادي. قالت له جنيفر الجالسة على طاولة في صالـة الطعام تحمل زجاجة بيرة بيـن أصابعها: "تبدو وكأن عمرك مئة سنة". ضرب فرانسوا الباب، رفعت جفونها بحضور باميلا. "إنه صبي يريد أن تهتم النساء به لكن عندما تفعل، يثور".

للذهاب إلى ماليبو، ركب سيارة الشيروكي التي يحب إطاراتها الكبيرة وداخلها الجلدي. أعطى موعداً لزيارة منزل الإنكليزي الذي لا يريد بيعه لزاك لي الذي لا يرغب هو بشرائه. لقد أعاره الإنكليزي

المنزل خلال الأيام التي يعود فيها إلى بلاده. جعله فرانسوا يعتقد أنه ألغى بيع بيته المزعوم في برانتوود بارك بسبب ارتفاع نسبة الأزوت في الهواء كشفته منظمة غير حكومية. النزوة مفهومة دائماً عند الأغنياء الجدد. الأغنياء القدامى المتقززون يأكلون الجنبون بالفوسفات دون التفوه بكلمة. قال فرانسوا للإنكليزي: "أنا قادر على بيع بيتك. قال الإنكليزي لقد اشتريته للتو وليس لبيعه، وأنا صديق ملفينا ماكسويني. مع عادته التحدث بشكل مبطن، كان يفكر أن جوابه يحبط فرانسوا. اتصل به فرانسوا ست مرات لسؤاله إذا كان قد بدّل رأيه. قال الإنكليزي لزوجته: هذا هو الفرق بين الكبرياء والتكبّر. المتكبر مستعد لكل شيء. يتذلل، يتقبل الإهانات ليصبح كما كان في الماضي عندما يحقق هدفه. الفخور يتقوقع في رفض أقسى مما يسميه التسوية وكلما كان متفاخراً يصبح معزولاً ويصبح حصان بحر على كومة من القاذورات "لن أستسلم"". استسلم. كانت زوجته ترغب بالعودة إلى لندن. قال لفرانسوا بعدما سمح له بعرض البيت" "أنت لجوج". تساءل فرانسوا إذا كان ذلك يتضمن ازدراء، لكن الازدراء لا يهمه طالما لديه المفتاح. لم يكلفه ذلك سوى زيارة إضافية لملفينا بعد الظهر حيث كانت مع القطة تصدر تأوهات ربما ليسمعها زوجها النائم في مشغله المجاور.

كانت المرأة تتمتع بجمال البطة مثل مارلين ديتريش. منحنية على حوض السمك تراقب سمكة حمراء غاضبة. سألت بصوت شبيه بديزي في الرسوم المتحركة لوالت ديزني: "هل الوضع آمن؟" مستلقياً عند أقدامها كلب في عنقه حزام أحمر يؤرجح رأسه على جسد صغير. "سلام! اسمي غلوير". مدّت يدها وبحركة جافة

للشاب الذي انضم إليها في صف الانتظار. تمنى فرانسوا أن غذاء في هذا المطعم المتهالك سيسلي جنيفر لكنها قالت لا بعد أن قالت نعم عند الرحيل: كانت تفضل حمام الشمس في برانتوود مع باميلا. باميلا! تسامح غلوير ذكّر فرانسوا برئيسة مجلس أصحاب الأملاك فـي نيويـورك؛ بصوتها الواثق والمنطلق، كانـت تراجع أعمالها في المؤسسـة وتعطـي نصائحها لضيفها الذي لا يطلبها بشـكل علني. كانت من الأشخاص الذين يسميهم الأميركيون "بالألم في المؤخرة" وإذا قيل لهم يتفاخرون. الفظاظة آلهتهم.

قام فرانسوا بحركة ليتخطاها. في المسرح قالت: "أعتقد أن هذا السيد يستعد لسرقة مقعدنا، صحيح أنه إذا كانت الحجوزات منظمة بشـكل أفضل، لـم يكن علينا الانتظار!" خفض فرانسـوا عنقه ومدّ رأسـه جانباً مع ابتسامة منزعجة. ضحية، خروف، تضحية. تنشقت من مناخيرها الكبيرة وألقت رأسها إلى الوراء، الأمر الذي لم يزعج شـعرها الأشقر وهاجمت. كانت مرعبة. دقيقة، بعد مضي الدقيقة، انتصب فرانسوا. وبصوت ناعم جعل كل الزبائن ينصتون إليه. قال لهـا: أنـت تتحدثيـن بصوت عالٍ، أنـت غير مهذبة. أنـت تزعجين الجميع، أنت إنسـان آلي". متراجعة أكثر فأكثر إلى الوراء جحظت عيناها. مستخف مع الحقيرة، شرير مع الشريرة، فظ مع الفظة، تابع فرانسوا إساءة معاملتها. "لكن، لكن..." واستخلص: نحن منزعجون مـن الانتماء إلى نفس الجنس، اعتذرت بلهجة راضخة. كان محقاً بأن أكون دون رحمة. هل خافوا لأجلي، أشفقوا عليّ؟ اعتقد أيضاً أنهـا خافت. أميركية مجبرة على النجـاح. كانت تغلي من الغضب ولن تستمر إلا بضربات الوقاحة تجاه الضعفاء. هيا، هيا، كفى إيجاد

عيوب مؤثرة لا أملكها: لم يكن أحد رحيماً معي! ذهبت شاحبة إلى طاولتها، لم تتفوه بكلمة لضيفها المنزعج أكثر منها. كان بعض الزبائن يعارضون فرانسوا الذي كان دائماً صابراً. أنيقاً، تجاهل هذه الوجوه وذهب إلى الشاطئ.

متمدداً على ظهره، كوعاه في الرمل وهو يحرك أصابعه، كان معجباً بما يراه حوله. البحر، السماء، الشقراوات، البدينات، وطفل يضرب على مؤخرة دلو برفشه. عاد إلى الموقف وذهب يشتري لباس بحر ومنشفة ثم عاد ورمى المنشفة على الأرض وقفز إلى الماء. تساءل ويداه خلف رأسه وهو يمسك باللوحة لم أحظَ بدقيقة مرح منذ كنت في البالاس، كانت حياتي كما يقال عملية. أخذت قسطاً من الراحة بينما وجد فرانسوا دوبارديو وجوداً مستقراً. بانتظار ذلك انتقمت لصاحبة البيت! كانت لطيفة، هذه المرأة متنبهة دائماً معي وتسألني ماذا فعلت خلال اليوم ونسي زاك لي...

هاتفه لا يجيب. حسناً! لأول مرة أنسى عملاً لصالح نزوة. جلس في كنبة الإنكليزي، طاولة رمادية تسند الصورة ذات الإطار المعدني، مترين على ثلاثة، من اليافطة الإعلانية التي كانت سبب ثروة المالك. وضع فرانسوا قدميه على طاولة منخفضة من الإسمنت وضعت عليها نبتة أوراقها استوائية وأضاء التلفزيون. عند استيقاظه، اتصل بزاك الذي لم يكن في منزله. كان جائعاً ولن يكون العشاء الذي طلبته جنيفر سيشبعه عند عودته. توقف في بار في ماليبو يطلب عصير الصبار عرف ميل جيبسون الذي كان يرتدي جينز وقميص غير مكوي بشكل جيد، كان الممثل يمزح مع ثلاث نساء في الأربعين من العمر ترتدي الجينز تقهقه لكلماته ويضحك هو

أيضاً. هنأه فرانسوا على بصمات يديه التي رآها في التلفزيون منذ بضعة أسابيع والتي أضيفت إلى مجموعة المشاهير في هوليود. لم يفهم الممثل أنه ابن أخ دوبارديو لكن فرنسي: كنت في أستراليا مع سيدة لطيفة التي كانت ذاهبة للقاء زوجها الأميركي في نيويورك. إن السيدة التي يقيم معها والتي لم يصدقها التقت فعلياً بميل جيبسون. شعر بلكمة على كوعه. كان ميل يقدم كأساً له. انتهت السهرة بصورة لفرانسوا مع الممثل جنباً إلى جنب بينما الثاني يراقب ثلاث شقراوات تحمل زجاجة بيرة. ابتسم فرانسوا ورافقت النظرة البسمة. هو الذي جهد للحصول على صورة مع مات ديلون وستيفن سيغال حصل على واحدة دون طلبها مع ممثل أكثر شهرة. كان يضم ميل جيبسون كما يضم السعادة.

ذهب للرقص في الروكسي. قميصه مفتوح ويتصبب عرقاً وعنقه ساطع، سالت نقطة على ظهره وأخرى على أذنه مما يدعو إلى الاعتقاد تحت الضوء أنه يرتدي شيئاً لامعاً تحت القميص، الزجاجة في يده، لامس بطنه بطن شخص آخر، في الظلام لا نرى سوى الجسد. ظهور عارية ترقص خلفه، في الداخل تحت ضوء أزرق، فتح رجل عينيه كما لو أنه أمام اعتراف. كانت الحركات مبتورة نتيجة الضوء الستروبوسكوبي. فغر فرانسوا فمه وبسط ذقنه، جسدان سوف يلتقيان.

ذكريات عن غورفيدال

سـوف نذكـر أقوال رجل قابل فرانسـوا فـي كاليفورنيا والذي تضيف ذكرياته حتماً شيئاً مبتذلاً لفهم ماهيته.

غورفيـدال كاتـب أميركي ولد عام 1925 وعـاش لفترة طويلة في رافيلو. يمكن معرفته من خلال فيلليني روما (1972) على شرفة بالاس نافون حيث يدلي برأيه عن إيطاليا، طعن في السن لكنه ظلّ لاذعاً "أهلاً في غاتاكا" (1997) حيث يلعب دور رئيس مجلس إدارة شرير، دور أعجب هذا المعادي الساخر للرأسمالية. كان ينتظرنا في مكتبـه المرمم بعـد المؤرخ الإنكليزي ماكولـي في لوس أنجلوس حيث استقر بعد بيعه بيته في كامباني. بعد جلوسنا على كنبة، رأينا شاباً عارياً طويل الشعر يمر في الغرفة ويسير ببطء. ملاحظاً ذهولنا، التفت غورفيدال وقال إنه مرافقي ثم مال نحو فرانسوا مجدداً.

- المرة الوحيدة التي رأيته فيها كانت في فندق شاتو مارمون حيث اعتدت الإقامة عندما كنت أحضر لبضعة أيام إلى إيطاليا التي أوت العديد من أفراد عائلتي، إحدى أكبر أرسـتقراطيات الولايات المتحـدة، هـذا البلد الذي يعتبر نفسـه ديمقراطية لكنـه جمهورية. كان جدي والد أمي سـيناتور ألاباما. كنت أنا أيضاً مرشـحاً للنيابة فـي ولاية نيويورك حيث جون كندي صهري من خلال زواجه من شقيقتي نيني أوشينكلوس جاء لمساندتي.

- وفرانسوا؟

- إذا كنت ستقاطعني باستمرار... كان يعيش مع المكسيكية وصديقتها الشاذة الجميلة جداً والناعمة، امرأة. نجح فرانسوا في حضور الحفلة السنوية للأسبوعية. كان عضواً في الحزب الديمقراطي في كاليفورنيا، هذه العصابة التي أصبحت الجناح اليميني لحزب المال الذي يحكم البلاد، الجناح الآخر اليميني المال الذي يحكم البلاد، الجناح الآخر اليميني أيضاً كان يسمى الحزب الجمهوري. كان فيلم إيف (حواء) يعرض حيث خانت إيف هرينغتون مساعدة الممثلة الكبيرة مارغو شانينغ سيدتها وسرقت منها دوراً مسرحياً. قال لي صديقك فرانسوا الذي لم يرَ أبداً فيلماً بالأبيض والأسود من قبل خلال حفلة الكوكتيل: "ليس سيئاً أن يكون عندي طموح. المهم أن لا يخدعوك. إنه الفرق بين وزير وسوقي". كان فوضوياً يحلم بالتأقلم مع المجتمع. عندما حاولت معرفة أكثر عنه، الأخطاء التي ارتكبها بسبب الحب كانت الأفضل لكنه لم يعطِ شيئاً. حتى المزحة الصغيرة أو الاعتراف بالخطأ. العصامي بشخصه. إنهم رجال غير واثقين بأنفسهم وواثقين في نفس الوقت. كانت الحياة بالنسبة لهم صراع ولا يفهموها بشكل آخر. لا يعرفون الراحة أبداً. بمعزل عن ذلك، بدا لي هذا الشاب صاحب ذكاء متفوق عندما ينسى الدفاع عن قضيته. كوميدي كبير. أقول أيضاً؛ ممثل دراما. كممثل دراما، كان يختلق شخصيات وكممثل دراما كان يتقمصها ويكررها ويهذبها. وهكذا قدم نفسه كعضو في عائلة أستور وهي عائلة أسسها جزار يهودي في والفورد قرب هيدلبرغ استقر في تجارة الفرو في أميركا عام 1870 وأصبح أول ملياردير في أمتنا العادلة. ترك ثروته لابنه وليم باكهوس أستور (1875 - 1972) الذي عمل

علـى فـرض الضريبة على الدخل غير الشـرعي بواسـطة المحكمة العليا. كان صديقك فرانسوا يعلم كل ذلك. وعندما التقيته كان في مرحلة "دوبارديو" لكنه صمد على أمل مدحي وإبلاغي أنه قريب آل أستور. لم أكن مستاءً لتقديمه لمليونير مؤسس لعمل، شاب مغفل نجح فرانسوا في أخذ عشرات الآلاف من الدولارات منه.

- كيف استطاع خداع أشخاص يعرفون بعضهم؟

- إحدى حيله تشتمل على عدم تقديم شخصيات يعرفها الوسط الذي يحاول خداعه، لكن شخصيات تتفق مع أحلامهم. كان اسم فرانسوا أستور فعالاً بشكل خاص مع أصحاب المال ("كان يجب أن أتعرف عليك سـيد أسـتور!") والطامحين للسـيطرة ("كما تريد سـيد أسـتور!"). عندما كان يوقع على فواتير باسـم أسـتور، كانت دائماً مقبولة. والأحسـن أنه لم تحصل أي شـكوى ضده: وجازف برؤية اسمه مطبوعاً كجاهل لعبقري أميركا، كانوا يفضلون الوشاية بهم على أنهم كفار! وفرانسوا دوبارديو، الذي خدع باسمه خمسمائة شخص في لوس أنجلوس؛ كان عبقرياً.

- اتهمه صحافي باسـتخدام اسـم فرانسوا كساسيراغي لسرقة مهاجر إيطالي يعيش في مركز تقاعد.

- وكمـا قال بلوتارك: "مثابرة ثيوفراسـت لا تجعل هذه الثقة أكثر صدقاً من شخصية بومبيه التي جعلته مشكوكاً به، إذ إن طموحه لـم يكـن صغيراً وماكراً" تلاحظ هنا حلم الوشـاية لدى الصحفيين الأميركيين.

- كان ذلك في فرنسا.

- قال لي صديقك فرانسوا: "سمعت أغنية عنوانها: "الوطن هو

حيث يوجد الحقد". ولا يمكن قول ذلك إلا في الولايات المتحدة حيث عقيدة العائلة مسيطرة.

الهمزة

لم يكن زاك حاقداً فقط على فرانسـوا بل وصل إلى برانتوود وهو مبتسـم. قال: "إذا كان الأمر من أجل سبب بطولي لا يستطيع ميتش سوى القبول". كان ميتش الشخصية التي يقوم بها في مسلسل تلفزيونـي منقـذاً راكبة الأمواج ومرمماً الحب. أخفى عنه فرانسـوا موضوع الاستحمام على شاطئ البحر وأخّر المشهد مع غلوبر حتى بعد الظهر. "بدأ زاك يتكامل مع شخصيته كما أتكامل مع شخصيتي وقال إننا متشـابهان". قاده فرانسـوا إلى مكتبه. كان مكتب صاحبة البيت والذي أرسل مفروشاته إلى القبو، كتب في صناديق ولم يتكبد العناء في ترتيبها واستبدلها بكتب تتعلق بوكلاء العقارات في ملفات لامعة. واستبدل الكنبة ذات اللون المرقط مثل أسد البحر واستبدلها بمقاعد من المعدن المغطاة بقماش من الكاوتشوك وصور لشهادات مزيفـة. كان زاك يرتـدي قميص مكتوب عليـه "لا أحد يعرف أنني متوتر". قال فرانسوا: "قبل الكلام عن عملك عليك الاستماع لي". جلس فرانسـوا خلف المكتب الزجاجي لجعل زاك يلاحظ صورة الرئيس كلينتون ثم عاد وجلس إلى جانبه. "قل لي، يبدو أن لديك مشـروع عمل مع ميل جيبسـون؟" لم يكذب فرانسـوا الخبر. جيد، سـيئ، الضجـة هي ضجة، كان منذ إقامتـه في لوس أنجلوس يترك شائعة أنه ابن أخت رئيس نادي التنس في جنوب كاليفورنيا، وأخرى كان بموجبها أحد أصغر المستشارين الماليين عند ريوردان، لويس

وهادن، مؤسسة أنشأها حاكم لوس أنجلوس. قال لزاك إنه بالنسبة لميل جيبسون سوف يفكر. ورغم الاسم الذي يحمله، لم يختلط أبداً بالأوساط السينمائية وبقي في عمله في العقارات. صرخ زاك: "أنا أولاً، أنا أولاً!" ضرب علبة المحارم بيده ودفعها نحو فرانسوا قائلاً: "كلا، لن يتحول الأمر إلى يمامة". ماذا ترى؟ قميص - وماذا أيضاً؟ - قميص أسود؟ - كم أنت بطيء! قميص أسود مطبوع عليه بالأحمر في الوسط - إنه مثل الهمزة؟ - إنه أحمر - و؟ و؟ أحمر وماذا أيضاً؟ همزة على الكرسي - لقد ربحت مليون دولار؟

جاءت الفكرة لزاك ذات يوم عندما استاء فرانسوا من الأميركيين الذين لا يعرفون كتابة اسمهم. الهمزة في النهاية ليست معقدة! همزة مع كرسي!" قالت باميلا وهي مارة، وضعت يديها على وركيها ودفعت مؤخرتها إلى الوراء ونفخت خديها ورفعت عينيها إلى السماء وقالت: "أعرف، أعرف، أنت شخص كبير" ثم صعدت إلى الطابق الثاني. رفع فرانسوا كتفيه. سأل جنيفر التي كانت تلعب بمؤخرتها ترفعها وتخفضها: "هل هناك مستحضر مثل الفلايتوكس ضد الذباب، ليخلصني من باميلا توكس؟" "هذا الجسد! هذا الجسد! قالت له - وروحي؟ لا تتفاخر إنها روح الآخرين". كيف يمكن أن تكون شريراً إلى هذا الحد؟ تأثير باميلا بالطبع. كان يعرف منذ اليوم الأول وليس أمراً جديداً. في اليوم الأول، اليوم الأول الرائع، اليوم الذي كانت تسبح فيه في مسبح الفندق بدت له مثل زجاج أفقي. في المسبح الأعلى في برانتوود بارك فاجأهما وهما تتبادلان القبل. أذهله عنف المشهد. كانت جنيفر تغوص في باميلا وتلتهم فمها ويدها ممدودة تحت تنورتها

وتحركهـا بهياج. سـمع صوت الصفعة ثانيـة بعد الحركة. كان زاك يضرب بيديه على ركبتيه. فكرة ذهبية. "الهمزة الوصل فكرة هائلة. فكرة هائلة، صنعت في فرنسا. لا يثق الأميركيون بنا إلا في موضوع الموضة". لم يبلغ فرانسوا جنيفر أنه رآهما. صمّم أن يحولها نحو الرجـال. كانـت تتركه يأتـي معهما أحياناً لكن ليـس عندما يطلب، وتطرده كما استدعته. لم يكن الأمر سيئاً مع ذلك، إنه الشيء العزيز لعدة أيدي. مع ذلك... "هل تسمعين؟" سأل زاك. سوف نصنع عدة موديلات أخضر مع همزة بالبرتقالي وبنفسجي مع الهمزة بالفضي والأكثر ثمناً القمصان السوداء مع همزة بالأحمر. لماذا؟ غموض، النـاس يدفعـون ثمن الغموض. لم يتذكر فرانسـوا أنه منذ سـنوات خلال تجسيده لشخصيات عديدة ادعى أنه "مصمم قمصان". فكّر: لو كانت الحياة سهلة كما في القصص البوليسية، أدفع لقاتل مأجور ليخلصني من باميلا. قال زاك: والدي وأنا نرغب مشاركتك لإطلاق البضاعة وكما تعرف اسم فرانسوا في الولايات المتحدة هو مرادف "لفرنسي". ولا أحد غيرك أنيق بسبب الهمزة: فرانسوا فرانسوا، هو كمـا لـو كانوا يقدمون قطعة مجوهرات شـانيل في كل مرة. أضف إلى ذلك نستطيع مع أبناء عمك كاسـيراغي اكتساح السوق. فكرة جيـدة، أليـس كذلك فرانسـوا؟ الحياة لا تطاق. ففـي الوقت الذي اقترب من ذاته مع شـخصية فرانسـوا دوبارديـو، انحرف بعمله من خـلال تقديم نفسـه لـزاك كقريب لآل كاسـيراغي، لا يعرف لماذا، على سبيل المزاح، بصفته فنان، عن غباء. "فكرة جيدة، أليس كذلك فرانسوا؟".

ذهـل فرانسـوا من طبعه السـيئ. التجارة، المجازفـة، الرهان.

كيف لا نتأثر بكل هذا؟ كان فرانسوا يحب المال مع ذلك. وكان يعلن دائماً: "أنا أحب النساء، البيوت الجميلة، الطعام الجيد" قالت له باميلا في أحد الأيام: "تعرف أنك تحب النساء الجميلات! أما بالنسبة للطعام الجيد، عفواً، أنت لا تأكل سوى أطباق مثلجة". عزة نفسي، فكّر وفكّر بينما زاك ينظر إليه بابتسامة كبيرة وماكرة. لقد تجرأ على اقتراح مهنة وسيط، استعارة اسم، طفولي! وحتى لو قدّم نفسه كابن أخ الممثل الفرنسي العامل في مجال العقارات في كاليفورنيا، كان زاك يعرف أن قيمته أكثر من ذلك! إنه يجده سيداً بينما كان يعتبره مسكيناً في الأمسيات التي كان يعد فيها الأسماء المزيفة. تساءل: "ساعتين من الشمبانيا، 22 ساعة من العمل البيروقراطي على ضوء مصباح مكتبه، هذه اللحظة في ضوء النهار الذي يعطي انعكاسات على شعره الأشقر، فكّر: حياة صاحب محل لأكبر ممثل في العالم، هذا الممثل هو أنا، صانع قمصان وتجهل ذلك! أنت تجهل من أكون. عدم وجودي هو سبب وجودي. مصير مخيف، مصير مرعب!" متحمس وأخوي ردّد له زاك: المال، التجارة، العمل، الدولارات. كرهه فرانسوا إلى درجة عدم رغبته في العمل معه في تمثيلية كوميدية حيث يظهر فارغاً، محطماً والذي يعتبره في صميمه مثل الفطيرة المكسيكية. تجريد الابن مثلما كان والده مع جد زاك وتجريد الأب في الطريق؟ لم يعد يرغب التعامل مع هؤلاء الناس. سأل زاك: "وماذا عن همزة الوصل؟... تبدو مثل هرباغون يقول شريطي"، ردّ فرانسوا. "همزة وصلي، همزة وصلي!" في حفلة الأسبوعية، قدّم السمين القصير فرانسوا لغورفيدال الذي أعطاه بطاقته. تكهن فرانسوا أن ضعفه هو رغبة في الحقارة. وأنه

يحلـم باسـتثمار أمواله بنعومـة في تجارة غير مضمونـة إضافة إلى الذي أخذه من مصرفيين استثمروا الملايين في مجال الاستشارات الطبية عبر الإنترنت والذي باعه أيضاً بعدة ملايين.

بعد بضعة أيام، أحضر سوسيسن (اسمه تود سولوسكي) إلى المركز التجاري الذي يقوم ريشـار شـبكة ببنائه لصالح سنتشـوري سـيتي في صباح غائم اعتبره إشـارة حسـنة. "سـوف أكدرك أنت" وضعـا قبعـات العمـال علـى رأسـهما. ألقى فرانسـوا خطابـاً مليئاً بالمصطلحـات العمرانيـة والتجارية والماليـة والعقارية والمصرفية مـع بعض الجمـل المبهمة حيث يتحدث عن المال وسـاد شـعور أن قطعـة لحـم برزت بينهما. من أجل إذهال سوسـيس بالمشـاعر المتناقضة، أضاف بعض التجميل. "أنت تعرف أن اسـم سنتشوري سيتي مشتق من فوكس القرن العشرين، استديوهات السينما.. عندما وصلت فوكس إلى حافة الإفلاس في الستينات باعت هذه الأرض. اليوم يعطي ريشار شبكة الحي طابعاً جديداً ويمكن أن يهتم بإقامة مجموعة من الشـركات الرئيسـية في مجال المعلوماتية". كان لدى سوسـيس أموال للاسـتثمار، وفهم فرانسـوا أنه قابل للفساد وسهل الرشوة.

كانـت القهـوة لطيفة بصحبـة العمال اللاتينييـن الذين يعرفهم بالأسـماء كونه جاء ثلاث مرات للاطلاع، ومرة مع ريشـار شـبكة الذي قال له إنه سـيكون سـعيداً باطلاعه على الورشـة. بعد بضعة أسابيع، كان يعد الأوراق المصرفية. كان موعد برنامج عرض الليلة لجـي لينـو، مقدم برامـج رآه في لـوس أنجلوس. جالسـاً في كنبة تشـكل زاوية مع مكتبه الخشـبي، مرتاحاً، واضعـاً قدماً على ركبته

ويده متدلية خلف الكنبة، أجاب توم كروز بجملة أدت إلى انطلاق موسيقى الغيتار وبعدها صفق الجمهور. انحنى مقدم البرنامج فوق مكتبه ليضرب يده بيد الممثل الذي تراجع إلى الخلف على مقعده وضحك ملء أسنانه. قفز فرانسوا الذي كان جالساً على راحته نحو الخلف وغمغم.

قاضي نشيط

ها قد جاءت فرصة الأعداء: نحن لا نعرفهم. لو عرف من هم وأنهم موجودون، كان فرانسوا تنبّه ونظّم هجوماً معاكساً. عشت طويلاً لأعرف أنك لا تتحرك إلا عند مجيء الأعداء، أو حتى وجودهم: عندي الخبرة عن العدائية العفوية من والدتي وأحاول الاستنتاج من أين تأتي الضربة. ما لا يعرفه أن لا أحد يعرف مثل السوداء التي رآها في صالة رياضية في نيويورك، ففي باريس كان القاضي يتابع قضية حبوب التنحيف. شاب شاحب اللون يرتدي بدلة سوداء مع نظارات على عينيه قبيحة ورخيصة أعطيت له خلال خدمته العسكرية وكان بين الأواخر الذين خدموا وكان لديه الإمكانية للتخلص منها من خلال عم انتخب في المجلس المحلي: نفّذ الخدمة العسكرية ليصبح أكثر صلابة. ضعيفاً، كان يحب هذه الصلابة، وطعم التفوق الذي تثيره في داخله. إنجاز الخدمة العسكرية يثبت أن تفوقه عكسي. تفوّق نسبي من جهة، إذ إنه لم يحصل على سنته الأولى في الحقوق إلا من خلال المقدرة خلال سنتين. قابل زوجته وهي امرأة فظة تعلمت النظام الضريبي لتتمكن من إخضاع الناس، كان أنفها متدلياً، أحد منخاريه مرتفع كما لو كان للهروب من كلماته غير السارة. سقط في الاختبار الثاني الذي يتيح له أن يصبح محامياً وقدّم اختبار القضاة بالخطأ. بالخطأ. وسوف يدفع الآخرون الرشاوى والسرقات. أصغر من فرانسوا، وجده يعيش حياة

اعتبرها سعيدة وتافهة. ظهرت صورته مع ميل جيبسون في الصحافة الأميركية ثم في مجلة فرنسية. "ميل جيبسون مع مجهول جميل". لم يؤثر اللون الأشقر بالقاضي. عمم الجرائم الخطيرة. منفذو سرقة بنك السوسيتيه جنرال في نيس عام 1976 والهجوم على قطار البريد في غلاسكو - لندن عام 1963 ألم يرحلوا بعدما بدلوا ملامحهم؟ كان يتعامل مع سوقي خطير. سوف تجعل هذه القضية منه شخصاً مشهوراً وستجعله ينتقم من حياة جاحدة في خدمة الدولة. "إنه سيحكم على والدته - قال محامي - هل عنده أم؟ إنها منزعجة المسكينة" ردّ زميل له خارج من جلسة واجه فيها القاضي الفظ. قبل فترة، جرت مقابلة مع القاضي إضافة إلى عدة موظفين حكوميين خلال برنامج تلفزيوني، أكد وهو متقوقع في مقعده أنه لا يقبض راتباً جيداً وهذا غير صحيح. كان الصحافي يعرف، لكن القاضي كان يتصل به بانتظام لإعطائه معلومات عن التحقيقات الجارية حتى مع قضاة آخرين مجاناً. هذا اليوم، سأله الصحفي: "أليس عندك أصحاب؟" فكّر بممثلة إنكليزية كبيرة تخرج مع جراح تجميلي فرنسي متهم بإغراق شاب خلال مرور يخته والعمولات السرية عند سوافيتاس التي خضع مديرها المالي لدورات تدريبية في الحقوق والإعلام من أجل تقديم امتحان لكنه لم يخضع له حتى الآن. قال في الختام: "هناك أيضاً فرانسوا داريه". اهتم الصحفي بميل جيبسون أكثر من اهتمامه بالحبوب المنحفة.

لم تفتح النيابة العامة تحقيقاً وأوكلت الأمر للقاضي بعد تدخل رئيس بلدية المنطقة صديق الصيدلي. لم يستطع الأخير إثبات تورط فرانسوا في مؤسسته، اتهمه بتنظيم توزيع حبة التنحيف التي أدت

إلـى وفـاة زبائن. طلب محامـي الصيدلي تحقيقـات خاصة. جرى استـدعاء روكسـان. فكّر القاضي الذي أعجب بهـا (دون الحديث عن نظرتها القاسية) أنها مخادعة وأقسمت أن فرانسوا أعطاها عدة علـب مـن حبوب التنحيف بعد ترويجه لها، كانت ثلاث صديقات لها مسـتعدات للشـهادة بنفس الموضوع. لا أحد يعرف ما إذا كان الصيدلـي قـد عثر عليهـا أو العكس، بـكل حال كانـت هي الأكثر إيذاء وأكثر إزعاج. كان فرانسـوا يجلـب الزبائن. ورغم التعقيدات فـي القضيـة مع الولايـات المتحـدة، طلـب القاضي إرسـال لجنة قضائية للسـفر واسـتجواب فرانسوا في أميركا. في اليوم الذي تبلغ فيـه بالاسـتجواب، خرج من قصر العدل مع شـعور بالانتصار غير ظاهر.

العشاء الأخير

أنت لا تأكل سوى المأكولات المثلجة! أنت لا تأكل سوى المأكولات المثلجة! كانت فتاة من سوفتير دي بيرن تحضّر الكبدة على طاولة المطبخ. اعتقد أنها من مرسيليا حسب أقوال زبون مقهى برانتوود مارث الذي نصحه بها، ولولا ذلك لما وظّف شخصاً قريباً من ماضيه قال بالفرنسية لجنيفر لأنها لا تفهم الفرنسية. أطباق مجلدة! سوف يتذكرون في الغرب مأدبة فرانسوا دوبارديو! إنه لا يستطيع إقامة حفلة، يستطيع ضبط عشرة أشخاص يعرفون نفس الفرانسوا لكنه لا يستطيع ضبط مئة يعرفون خمسة اسمهم فرانسوا. آه، تطهير داخلي فعلي، طرد المحاولات القديمة لشخصيات أخرى تعود مثل الطفيليات والتركيز على دوبارديو، القدرة على أن يكون نهائياً نفسه!

فرانسوا دوبارديو، وصلت الفتاة مع صحيفة جمهورية البيرينيه تتجاوز فرانسوا مثل عصا من حقيبة ظهرها بحركة حية ولمسته بطرف أصابعها قائلة: "هوب"، الورق المتوبر، الحبر الراشح... بأية جاذبية مقرفة تقلب الصفحات، كانت صحيفة بيرن وليست صحيفة بيغور لكنه يعرفها كلها جيداً، هذه الأسماء للمدن المجاورة! الأسماء! الأسماء! عادت تصفعه. نافارنكس، أوتنز، لارونس، كان ذلك ذهن القرى، الفكر النتن للقرى. شيطان الحقارة يشرف عليهم، سامحاً لهم بالارتفاع أعلى من شعر الذرة، تاربس، قرية، باريس، قرية،

نيويورك، قرية، سان فرانسيسكو، قرية. لوس أنجلوس مدينة كبيرة كما يقولون، مدينة حيث يستطيع الرجال أن يتكرروا.

هذا المساء، مساء العشاء الشهير، كان معروفاً أكثر مما يعتقد. ليس في الولايات المتحدة كما أراد وليس تحت اسم فرانسوا دوبارديو بل تحت اسم فرانسوا داريه وفي فرنسا. كان اسمه يردّد في مقالات الصحف على أنه شخص رسام ونشط، شخص ممكن. قام شخص قديم من بالاس بالإشارة للصورة المنشورة في مجلة بالاس للمحقق، نادى المحقق أحد مخبريه الذي يحضر كتاباً لمنشورات رقم 1 حول "سنوات الديسكو"، وجد هذا الرجل في منشورة "العين" في مجلة قديمة فوغ للرجال، صورة بالأسود والأبيض لفرانسوا في سن التاسعة عشر عند مدخل البالاس، رجل مائع معه مدوّن أخبار يمسك بيده (المدوّن الآن باكاديس وصديق) وهكذا ظهرت صورة لفرانسوا مع ستيفن سيغال. التقاه عند مدخل بار وان بينما كان يبعد حاجزاً من القماش للسماح له بالدخول. نظر الممثل، الذي تنتابه الخشية من الاغتيال أو الرغبة في الإعجاب، إليه نظرة عدائية ومليئة بالأمل!".

قال سيغال: آه أجل وهو يسلّم عليه بينما المصورون يصرخون: "ستيفن، ستيفن! فرانسوا، نحن، هنا، فرانسوا!" (أعطى ورقة نقدية فئة مئة دولار لأحدهم وهو يهمس له باسمه). في الصورة مع ابتسامة انحنى نحو الممثل الذي أظهر جانبه العنيد. "الفرنسي صديق النجوم". انطلق فرانسوا في مهنة العقارات. إن الصورة برفقة ميل جيبسون أعيد نشرها في المجلة وانضمت إلى صورة الرئيس كلينتون على جدار مكتبه. في الشهر التالي، حاول

الدخول إلى أمسية توزيع الأوسكار ونجح بدعوة من نقابة وكلاء العقارات. كان سيفعل أفضل من زاك لي الذي دعاه إلى حفلة في منزله في شيرمين أوكس قرب جبال سانتا مونيكا، غرفتين كبيرتين من الزجاج واحدة قرب الأخرى مع لوحات لكيث هارينغ وكنبات طويلة مثل رصيف المرفأ. كانت حفلة ممثلين ومنتجين لمسلسلات تلفزيونية. خلال الليل، سمعنا صوت ذئاب. "هل نتركها تدخل!" قال أحدهم مثل قدوم ممثل صندوق الاستثمار الذي يملك 40 بالمئة من الكل. سوف يكون لفرانسوا أصدقاء حقيقيين بعد العشاء. حصل كل الأشخاص الذين عرفهم في الإيميرالد سبلاندور على سبيل المثال على دعوة. أصبحت الدعوة ملصق. "فرانسوا وجنيفر دوبارديو يتشرفان بدعوتكم لعشاء". ذهب لالتقاط صورة مع المصور الكوري الأميركي: عند خروجه من مدخل الفيلا لوّح فرانسوا بيده لأصدقائه الذين ينظرون من كاميرا المراقبة.

كان ينوي إظهارها لمن يهتم في يوم ما. لن يحضر ستيفن سيغال: بعد حضوره عدة مرات إلى بار وان بشكل منتظم، عاد فرانسوا ورآه في البار وأظهر الممثل رفضاً للدعوة. هذه المحادثة أمام جمهور فضولي (أخذ الكوري الأميركي صورة دون استخدام الفلاش) زادته حماساً أكثر من القبول: توقف ستيفن أمام صندوق VIP وقال له فرانسوا إن لديه سيناريو له، قام أحد مرافقيه بإعطاء فرانسوا رقم الهاتف. دفتر عناوين فرانسوا دوبارديو وكيل النجوم. كان يحضر غالباً إلى بار وان وينفق الكثير من المال وبدأ يكسب شهرة رجل غامض ومهم. كان أشخاص آخرون اسمهم فرانسوا معجبون به.

وصل ضيوفه. أولاً جيري وملفينا ماكسويني بعدهما الإنكليزي وزوجته مع صديق عمره حوالى سبعين عاماً شعره قصير، خدوده مجعدة يرتدي قميص جلد وبنطلون جينز والذي أحضر بدوره صديق وتقدم وهو يمسك بذراعه، شاب شعره أشقر ينظر إلى قدميه. قال فرانسوا: أهلاً وسهلاً. تبعهما ممثل شاب من الجيل الثاني في مسلسل تلفزيوني تعرّف عليه في حفلة زاك لي: مرحباً! ردّ السويدي السكران بغرابة: عمري 22 سنة وتوجّه إلى الصالون وهو يرتدي قميص كاكي مطبوع عليه هياكل عظمية سوداء تلعب الغيتار، كان بنطلونه عريضاً مما كشف أقدامه القذرة. فكّر فرانسوا: لارس نيديلار سوف أبني لك مهنة على طريقة جيمس دين دون الحادث. طلب من جنيفر أن تكون وكيلاً عقارياً وأن تخرج من مجال العمل المسرحي إذا كنا نسمي ذلك هكذا، لكن لم يكن لديها طموح أن تكون شخصاً آخر مما كانت عليه. قاد ذلك إلى مشهد عند المسبح، كانت تصرخ ولم تهدأ إلا عند حضور باميلا بالمايوه والتي ركعت أمامها وبدأت تداعب جبينها.

جاء مراسل (قناة +) في لوس أنجلوس، التقاه فرانسوا ليلة أمس بينما كان ينهي ريبورتاجاً عن سان فانسان، البولفار الذي يغلق بريتني وود من الجنوب "حي جديد للشبيبة". اعتقد أن فرانسوا الذي كان يقرأ متنوعات في برانتوود مارث ويرتدي نظارات سوداء أنه مساعد المراسل الصحفي لديمي مور الذي سيلتقيه الساعة الخامسة. كان هو الذي بعد بضعة أسابيع سيتحدث عن فرانسوا مباشرة على التلفزيون الفرنسي قرب مبنى بار وان. "هنا نجح شاب فرنسي في خداع كل هوليود". كان يرافقه أرسين الذي يزوّد فرنسيي

الغرب بتذاكر سفر مزيفة. لم يتحدث فرانسوا إلا معه قبل الجلوس إلى الطاولة. كانت جنيفر في غرفتها وقامت ملفينا ماكسويني بإجراء الحوار. في لوس أنجلوس للبيوت أنساب. هذا المنزل كان للممثل المشهور الذي اشتراه من مغني والمنزل الآخر يعود لبوستر كيتون وكان مثل موديلات أوروبا، لويس الخامس عشر، فيكتوري، غوستافي.

كان ريشار شبكة هنا يرتدي بدلة رمادية لامعة، كان يصطحب زوجته البدينة الشقراء، جفونها بيضاء، قالت عزيزي لفرانسوا وهي تمزح. لذيذين، ألذ ثنائي في المدينة التي تجدهما سخفاء. كان عندهما شيء ما لا يملكه القاضي، قلب. على طريقتهما كان ملاكان. الملاك الذكر أقدامه في صلصال مال كسبه بعناء وكان ينشر الخير حوله، لم يكن موت ابنهما هباء بعكس ما تكهن صحفي. كانت جيري ماكسويني صلبة بيدها كأس تنظر بعين ثاقبة إلى اللوحة الوردية الكبيرة لإيف كلاين التي تمثل سطح القمر إلى جانب لوحة زرقاء كبيرة للوشيو فونتانا تمثّل الفضاء. كانت زوجته تتحدث الآن مع الإنكليزي الذي كان يراقب فرانسوا بنظرة حاقدة. لماذا المجيء عند الناس عندما نكرههم؟ لأننا نكرههم. ويعود ذلك إلى اليوم الذي حاول فرانسوا بيع بيته. متكهناً غضبه ومستنتجاً حقده، اقترض فرانسوا منه الكثير من المال، وخوفاً من خسارة ماله لا يريد الإنكليزي إزعاجه. قال فرانسوا وهو ينظر إليه بعين غيورة: تخدمني ثروته كحارس شخصي. وكما كان يقول دائماً: "أعبد النساء" كان الرجال يتجنبونه. كانت جولته تشتمل على إعطاء المال للأعمال الخيرية للزوجات وهكذا بدأ بتمويل

الحـزب الديمقراطـي. وإذا اسـتخدم عبارة حارس شـخصي فلأنه ينوي توظيف واحد. حارس شخصي لا يحرس أحد، لأن لا أحد يهدد فرانسـوا، لكنه سـيعطيه الانطباع المعاكس وسـيصبح فرانسوا دوبارديـو رجلاً مهمـاً. نزلت جنيفر من غرفتها في لباس سـموكن أسـود لا ترتدي شـيئاً تحته تتبعها باميلا مثل الغبية. تسـاءل لارس نيديلر لماذا تنزعج أن تكون في الضوء. هل لأنها جميلة هي أيضاً؟ هل تخشـى أن يشـتهيها أحد، أن يعتدي عليها؟ كان فرانسوا لطيفاً غير مدرك لجمالها. إنه مجنون.

في المطبخ كانت البيرنية تمسح أطراف الأطباق وهي تشاهد التلفزيون. قال ريشـار شـبكة: "إذا استمر الوضع على هذا المنوال سـيكون مقـدم برامـج تلفزيـون رئيسـاً للجمهوريـة". هـذه النبوءة الخجولة لم تذهل أحد في دولة حيث ممثل سينمائي سابق أصبح حاكماً قبل أن ينتخب رئيس للجمهورية. وعوضاً عن وقف القوى الكارثيـة للنظرة التاريخية قبل أن تصبح مدركة، تحدث المتقززون كمـا لو أنها موجودة وأيدوا وجودها وقريباً، السـؤال المطروح هو معرفة ما إذا كان هذا المقدم للبرنامج سـيصبح الرئيس أو الرئيسـة الخامس والأربعين، تمتم ماكسـويني دون أن يفهم أحد شـيئاً. كان الخادم الآسيوي يمشي حافي القدمين، أحضر سلال الخبز ثم أطباق الكبدة. جاءت الطباخة تشـرح طريقة تحضيرها مرتدية قبعة بيضاء وثوب نظيف. همس الإنكليزي لجاره: "وأيضاً فقد الأميركيون عادة إعطاء سـدة الزجاجة لتنشـقها بعد فتحها". روى فرانسـوا قصة ابن عمه المزعوم، استخدم لارس بيديلر عبارة "فوضى". كان الموضوع حول منزل ممثل قديم. سـأل فرانسـوا إذا كان أحدهم يحمل رقم

هاتفه. بدا ذلك غريباً بالنسبة لهوليود حيث لا مكان للشفقة. سألت ملفينا ماكسويني الشاب الأشقر الذي بدا خجله غريباً: "هل أنت إنكليزي أيضاً". يتمهل الأنكلوفون حول الفوارق بين إنكليز بريطانيا وإنكليز أميركا. الإنكليز غليظون بينما الأميركيون صبورون. رفعت إحدى الفتاتين اللتان جاءتا مع مراسل قناة + وصديقه أرسين رأسها إلى السماء وقالت: أنا ضجرة لرفيقتها. قال فرانسوا: "مهنة الممثل أجمل مهنة في العالم" وردّ لارس أفضّل بصراحة أن أكون عاهرة. قالت ريجين شبكة التي كانت تمسح فمها: "جلب التسلية للناس، هذا رائع". ردّ لارس: "مهنة الممثل أن يكون صغيراً. طول كل منا متر و12 سنتم. إيفا غاردنر، آل باتشينو، توم كروز، مارتن شين، إليجا وود وأنا". قال فرانسوا: في الواقع مهنتهم أن يخافوا، الخوف من التجاعيد، الخوف من العزلة، الخوف من المنتجين والمخرجين ومن الانتقادات، من الجمهور، الخوف الدائم الذي أعطى للارس هذه الابتسامة المؤلمة. بينما كان السويدي يروي أن الممثل العجوز كان كسولاً، قال فرانسوا: لن أقبله في إسطبلي: الكسل هو الخوف. لماذا الخوف؟ نحاول، نجازف، نربح، نخسر. إذا خسرنا نعاود العمل". قال آخر: لم تعرف أبداً السعادة الإيمان بالناس. كان إنكليزياً يعيش في سان فرانسيسكو منذ الستينات. مؤسس ملتقى للشعر سوف نقدّره يوماً ما بقدر "فصل في جهنم" قال الإنكليزي. إنه توم غان. أضاف توم غان: في سن السبعين يجب التفكير بالتقاعد" ثم نهض واستأذن جنيفر وفرانسوا ورحل يتبعه الشاب الأشقر وهو ينظر إلى قدميه. قال فرانسوا هذا العشاء تمزق.

"لنكن جديين: "بن لادن غير موجود" ما بدا بالمطلق مزحة لكنه محتمل، قاله فرانسوا بثقة وجد الجميع أنه غباء بدءاً من ملفينا المعجبة بالرئيس كلينتون عدو بن لادن. بحساسية لافتة ابتسم لها فرانسوا مهدئاً إياها والتفت نحو لارس: "عندي سيناريو لك". لقد أغوى اللجوج طالبة تبنّت خلال بضعة أسابيع "الوردي والأخضر" الذي كتبه ستندال وحسب تعليمات فرانسوا نسبت القصة لعصرنا واستبدل اسم ستندال باسم جنيفر دوبارديو. وقال للارس: "لقد وجدت تقريباً منتج". كل هؤلاء الناس الليبراليون في حي للأغنياء وفي منزل موظفة مؤسسة نيويورك لمراجعة الكتب ذهلت لسماع جنيفر تعلن أنها جمهورية. إنها لا تحب فساد حكومات جنوب أميركا. ردّ لارس: "أنت تفضلين فساد السياسيين الأميركيين على فساد السياسيين العالميين؟ أعلنت الفتاة الأخرى أنها أصولية مسيحية. حاولت ريجين شبكة تلطيف الحوار سائلة إذا كان لبنان... لكن زوجها داس قدمها لإسكاتها. من أجل إعطاء اهتمام لملفينا، هنأها فرانسوا لانضمامها إلى جمعية مراقبة العمل العقاري. قال: إن قطاع العقارات موضوع حوار شامل وغير خطير وبما أن هناك وكيل عقارات على الطاولة حرم الحضور من نصف المتعة. كانت الفتاة الشابة التي شربت المارتيني تلعب بالكرة على الغطاء الأبيض مستخدمة زيتونتين وحاملة سكين. وبدأ الفرنسيون يتحدثون بشكل سيئ عن بلادهم وتبعهم أهل كاليفورنيا. ضحك الجميع وتحسّن جو الحفلة.

في الحديقة كان يسمع صوت أغنية بشكل قوي عن حياة العصابات: "عندي 17 سنة، أنا كبير، أخذ سيارة 4 × 4 كافاليه

للمغامرة". أشـار فرانسوا لباميلا إشارة جافة. متفاجئة، التفت نحو جنيفـر التي أكـدت منع قطع الأغنية. تمدّد جيري ماكسـويني على كرسي طويل بعيداً يفكر بملياردير من هوليود مات وحيداً في غرفة فنـدق (رسـم صورته في السـبعينات)، قـال: "كان غنيـاً بحيث لـم يغـنِ أبداً". ركضت باميـلا إلى الداخل وهي تصرخ وتحرك يديها. موجة من الحوار عادت. "لقد اشتريت الأسبوع الماضي منزلاً على شـارع وسـتريدج بثلاثة ملايين..." "ألم تسـكن مارليـن مونرو في برانتوود..." "يقيم سـتيفن سـيغال على بعـد خطوتين ولديّ موعد معـه من أجل سـيناريو" "الراب فرنسـي من لـوس أنجلوس أطلق هذا في نادي الإذاعة..." "أول أغنية راب لشوغارهيل غانغ 1979، أغنية مدتها أربعة عشر دقيقة. "بعت البيت بمليونين وثمانمائة ألف دولار هذه صفقة...".

عـادت باميـلا وهي تلوّح بآلة تصوير بيدهـا الممدودة. قامت بتصويـر الجميع وهـي تتمايل وكانت جنيفر تبتسـم: تعد صديقتها ألبوم لصور مأخوذة بشكل سيئ لأشخاص تجدهم وقحين. وكانت صورة فرانسوا موضوعة في المقدمة عن قصد والتي شكلت جزءاً من شـعبيته: عند طرف المسـبح وهو يضع منشفة كبيرة على بطنه، قال أرسـين: إنك تبدو مثل ملك شـرقي سـجين عند الرومان" ردّ فرانسوا: يمكننا إعادة إحياء موضة "المشمال". انفجر لارس نيديلر من الضحك. "المشـامل لن تعود أبداً". نظر جيري ماكسـويني إلى قعر كأسه الفارغة، وقال: روذان هذا "المايكل أنجلو" غير موضب، ثـم نهـض. طـوى سـاقيه وخلـع بنطلونه ثـم مـدّ يديه بيـن فخذيه وحزام لباسه الداخلي: أمسك ملفينا به ومنعته، أعاره فرانسوا لباس

سباحة ثم غطس. صوّرته باميلا وهو يسبح ويعف الماء كأنه يختنق وعين جاحظة كأنه رأى الجحيم. صفقت ريجين شبكة له بصمت. انضمت إليه الفتاتان (الأصولية بالمايوه والأخرى عارية) تبعهما الفرنسيان ولارس الذي جلس على طرف المسبح وبيده كأس. وضعت باميلا أغنية حلوة لآس بيز تقول إن أحدهم يتناسب مع الأزرق للمسبح المضاء ليلاً.

رأى فرانسوا جنيفر وباميلا تخرجان من المسبح وتذهبان إلى المسبح العلوي. ضارباً بقدميه في الماء، توجه نحو الخادم وطلب منه أي نوع من الكحول. عندما نبدأ بالشعور بالخجل، يموت الحب. إنه غير خجول لكونهما سحاقيتان لكن هو خجل تجاه الآخرين. كان يكره باميلا منذ فترة طويلة أما جنيفر فيكرهها منذ فترة قصيرة. نحب وفق حلم نضعه بالشخص المحبوب وننتهي بالحقد عليه لأنه غير منضبط. كان يكفي أن تكون قليلاً إلى جانبي. لم تفعل النساء شيئاً لي. ذهب آل شبكة وآل ماكسويني وقالوا إنها كانت أمسية رائعة. حيّا جيري فرانسوا قائلاً: "إلى اللقاء يا بني" وقد هزّ ذلك مشاعره وعزى ذلك إلى مفعول الخمرة. يجب أن تكون قوياً كما قال نيتشه حسب قول أرسين. كانت الساعة الرابعة صباحاً عندما انتهى لعب البوكر.

طلب تفسيراً من جنيفر التي رفضت الدخول إلى المنزل والسماح له بالنوم معهما. كانت المرة الأولى التي يذهب فيها إلى المسبح العلوي. كانتا ممددتين على سرير مغطى بأوراق الورد الممزقة. كانت باميلا تشخر بنعومة جالسة على السرير، أشعلت جنيفر التلفزيون وحاولت تغيير القناة بالمنظم. ظلّت مسمّرة على

برنامج عاطفي. قالت بلهجة ساخرة: "كان الأمر أفضل لو لم يكن عندي هذه الرؤيا للسعادة". نزل فرانسوا إلى المنزل، فمه مر، يديه في جيوبه. في الوقت الذي تمدّد على السرير، سمع ضجة عند جاره في الأعلى الذي ينقل المفروشات.

ارتعشت اللمبة مثل راقصة الباليه. اهتزت الأرضية معطية شعور أن الأرض تحرك الأكتاف للتخلص من ثقل مزعج. سمع سقوط أشياء زجاجية في صالات الحمام. سمع صوت خوار طويل. سقط فرانسوا عن السرير متجنباً إناء من الكريستال متجه نحوه ونجح في الاستلقاء تحت الخزانة التي بدأت تهتز. صدم رأسه. بعد خمسين ثانية، انتهى كل شيء. تمسك بقدم السرير بكل قوته. وقف وهو يمد يده نحو شيء ثابت ليمسك به في حال عاد الاهتزاز، كانت صورة صاحبة المنزل مقلوبة في بهو صالة الطعام. تحطمت المجموعة الزجاجية كالدير بكاملها على الأرجح، قطعت الكهرباء ولم يستطع إصلاحها. من الجانب الآخر من السياج سقط عامود على شجرة نخيل، شاهد حرائق. كانت جنيفر وباميلا متقوقعتين أمام منزل المسبح ملتصقتين ببعضهما وغاضبة. بقيتا لحظة شاردة على بعد ثلاثة أمتار، عارية ومصدومة وهو واقف بالبيجاما وشمعة مطفأة في كل يد.

الهروب

البحر يلهم بعمق ويجعل اللسان يتراجع في الفم ويشكل حائطاً ببطء متوعد. نظر فرانسوا إلى الرهط الموزّع لراكبي الموج وهم متمددون على بطونهم يجذفون وهم يرون صعود الموج. غطّى الغيم السماء. أصبح لون البحر باهتاً. عاد راكب موج إلى الشاطئ حاملاً لوحه فوق رأسه ويرفعه مثل طقس ديني قديم. كان شعره ينضح قطرات ماء. قال فرانسوا إن شعره الأشقر كان أسوداً لكنه صبغه بنفسه واشترى الصباغ من السوق وكان يتحاشى البائعين العاديين وهرب من منزل برانتوود. ونمت ذقن على وجهه وحول فمه، كان يرتدي بنطلون جينز وقميص غير مرتّب. وهو يعرج، ذهب إلى منزل اللجوج الصغير الذي يتقاسمه مع راكبي الموج.

كان بيتاً قذراً وفيه كنبات - أسرة مفتوحة عليها أغطية رمادية وقربها إناء فيه ملعقة مسودة من النار وثلاجة تحتوي على لبن فاسد منذ عدة أشهر. اشتبه فرانسوا بباميلا بأنها اتصلت بالشرطة التي علمت ببعض نشاطاته. في نيويورك، قدمت شكوى من المكتبة العامة في المدينة ضد المدعو فرانسوا داريه الذي لم يرجع كتاب ولم يدفع الغرامة المتكررة، في لوس أنجلوس درس قاضي شكوى فندق كراون بلازا ضد فرانسوا داريه الذي لم يسدد فاتورة إقامته. أما بالنسبة للكتاب فقد نسيه في فندق تايمز سكوير والذي رمته خادمة التنظيفات وتوقيعه فاتورة الكراون بلازا باسمه الحقيقي كان

العمل الأكثر تهوراً في حياته. المقلق فعلياً هو مركز شرطة غرب هوليود حيث تلقت محققة اتصال هاتفي مجهول يتهمه باستخدام بطاقة خضراء مزيفة وحيازة سلاح بدون ترخيص.

الهرب، الطريدة، الاعتقال، برامج التلفزيون التي تتحدث عنه مئة مرة. قامت محطة تلفزيون ببث فيلم بالأسود والأبيض عن سيارة 4 × 4 على بولفار النخيل تخطتها سيارة مرسيدس مكتظة بالسوقيين السود ثم طلقين ناريين. خرج رجل المفترض أنه فرانسوا من الجيب ولجأ إلى محل ماكدونالد حيث برز شرطي بدين. كان ذلك في اليوم التالي للهزة الأرضية، لم يؤخر حركة الشرطي بل تحاشاه وهرب. كان القتلى بالعشرات، والجرحى بالألوف وعمليات النهب والسلب انتشرت نتيجة انقطاع الكهرباء وانهار الطريق السريع في سانتا مونيكا جزئياً وأقفلت عدة شوارع وحصل ذلك في جزء كبير من كاليفورنيا وكانت الشرطة منشغلة بمواضيع خطيرة عوضاً عن ملاحقة أبيض هاجمه السود. يكره السود والأميركيون اللاتينيون بعضهم: عصابة من السُود كانت تزور فرانسوا على أمل الحصول على عقد منه في مجال موسيقى الراب، وشعرت أنها خدعت كونه يقيم علاقات مع الأميركيين اللاتينيين الذين ينظمون مصارعة للكلاب سرية. اقترح فرانسوا على منظّر الجماعة وهو من غواتيمالا والذي كان يرغب كتابة سيناريو والذي لم ينجح وانتهى بكتابة سيناريو لدور أنثوي لجنيفر التي لم يعد يطيق قيامها بدور المذيعة في سوق السيارات المستعملة. قال الأعور الهزلي "إن فيلم برايان دي بالم كوميدي - كوميدي؟ هذه القصص الشريرة هي من أجل طمأنة الطبقات المتوسطة وفي الواقع الشر لم يعاقب أبداً. انظر إلى

ستالين وماو ولوبيز وأنا".

زمجر المحقق فورمان المكلف التحقيق بموضوع البطاقة الخضراء عندما علم بفراره وأنه فتح ببساطة باب سيارة الشرطة. كان رجلاً ضخماً يرتدي بدلة رمادية. رفض التعاون مع القاضي الفرنسي الذي اتصل به: كان يريد اصطحاب فرانسوا وحده إلى السجن بعد ملاحقة طويلة في سيارة تصورها طائرة هيلكوبتر ثم عقد بخمسمائة ألف دولار عند منتج سينمائي. "كيف اعتقلت فرنسي هوليود؟". أعيد فتح ملفات مهملة. "عبقري الشر". أجل يقول عبقري الشر لمحطة تلفزيون. قال فرانسوا: أعداؤنا يخدموننا في بعض الأحيان. يريدون الانتصار على عملاق لذلك يبالغون، في هذا الوقت ظهر الشعاران، "الرجل الذي خدع هوليود" في الولايات المتحدة و"الرجل الذي سرق ثلاثة ملايين" في فرنسا. أعجبت القافية الأميركيين (نصاب هوليود) والنسخة الفرنسية تستند إلى المسلسل التلفزيوني (الرجل الذي سرق ثلاثة مليارات). كانت الثلاثة مليارات مزيفة ونجح في مجال العقارات لكن لا تهم الوقائع طالما الحملة مستمرة؟

ومع أن الفاتورة غير المدفوعة للكراون بلازا قد صفّيت منذ زمن بعيد، اضطهد مدير الفندق الإدارة القانونية للشبكة التلفزيونية لتقوم بملاحقات وهذا ما فعلته للإفلات من هذا المزعج. لم يتحمل أن يجعله فرانسوا يخسر في مصارعة الكلاب: أرسل له الفرنسي ثلاثة قبضايات ليشرح له أن المال صودر خلال تفتيش مفاجئ لمركز جمارك مكسيكو. أثار البرنامج التلفزيوني وبعض مقالات الصحف فوضى. وانتشر موضوع وقاحة ماليبو التي أهانها علناً.

وقـال مراسـل قنـاة + وهو يلطّـف الأهوال بحيـث لا يزعجه: هذا المتحذلـق لعيـوب الآخرين يظهر أنه كان خاليـاً من الملح. بفراره وإذا كان فرانسـوا كسـب بعض أسـابيع، لم يتسـن للشرطي الوقت لمعرفة هويته مع أن البطاقة تحمل اسـم دوبارديو، أعلن أنه مشـتبه بـه. والذيـن دافعوا عنه لاحقاً، آل شـبكة وآل ماكسـويني وزاك لم يحظوا بآذان صاغية لأنهم لا يريدون الاستماع. العالم يريد مذنبين. أن تكون مشتبهاً بك، أنت مذنب. عندما ركض، مزّق فرانسوا عضلة ومن هنا كان يعرج هذا الصباح.

بقـي أكثـر من أسـبوع فـي منـزل برانتوود لسـبب مـا. "كانت فرصـة لتجربة سـيارة الجيـب 4 × 4، لا تتهـور، كان يجب إعادتها إلى المالك الذي لم يلاحظ أنني أخذت الشيروكي من أمام منزله" الخوف يصدم: "سيكونون هنا خلال خمس دقائق وقام فرانسوا بنزع نمرة الشـيروكي". التحدي: إذا اسـتطعت تجاوز أول شجرة ليمون بالقدم اليسرى لن يجدوني". الكذبة التي تعودنا عليها أمام الآخرين لا نتنبه لها عندما تقترب منا: ليس لدى فرانسوا دوبارديو شيء يلوم نفسه عليه. لكن عطس الإثارة؛ عزة نفسه تقول له ابقَ ولا تذهب. ثم غياب القرار الذي يزيد الحسابات. شعر باشمئزاز: أولاً، هو منطقي أن المجتمـع يطـارده لأنـه يخدعـه. ثانياً، هذا مقلـق لأنه لا يلاحق السوقيين الأقوياء. الخلاصة، العدالة ليست في هذا العالم".

وجدت ملفينا المنزل فارغاً حيث ذهبت بعد عشـر اتصالات تلفونية. كان فرانسـوا، جنيفر وباميلا قد وضبوا وأرسلوا الأغراض المزعجة إلى مخزن مفروشات. بقي ثقبان في الحائط حيث كانت معلقـة صـورة كلينتون وصورة فرانسـوا مـع ميل جيبسـون. اقترح

فارنسوا على جنيفر العيش معه في استديو. قبلت بعرض في تكساس. أخذ غرفة في فندق قرب المطار ثم فندق آخر وفندق آخر. وكان يعطي مواعيده في أماكن كان واثقاً أنها آمنة. كان اللقاء مرة في متحف. جدران بيضاء ونيون. أساتذة يشرحون الفن التجريدي لطلاب معهم ويقولون لهم إنه يجب النظر بين البقع: شمس، سيارة، عائلة. أميركيون يتناقشون بصوت منخفض علم الاجتماع. متبعة توجيهاته، كانت جنيفر تعطي مواعيد خارج شقة أعارتها لها صديقة باميلا في تكساس ولا تتصل إلا من هواتف عمومية. لقد جرى اتهامها بالمشاركة بالنصب والاحتيال. وجرى حديث بينهما عبر الهاتف، هي على طريق تحت الشمس الحارقة للاريدو وهو على شاطئ فنيس، وكان جدياً لأول مرة. قالت: "لقد طلبت مني أشياء وقلت لك إنني لا أستطيع تأمينها لك". قال: "لم تقولي ذلك". هي، "لقد قلت ذلك بشكل إيحائي". هي: "الصم هم أشباح" هو "شيء لم يقال غير موجود". هو "باميلا". هي، "اخرس". دافعت بقدر ما تستطيع عما هو لها أو الذي تعتبره لها. وأخيراً قالت له أنه أتبعها وعليها مراجعة برنامجها لهذا المساء... أتعلم لقد غيرت اسم المشهد؟ اسمي الآن أنطوانيت فرساي". على الشاطئ كان الأطفال يتجمهرون مثل العصافير أمام سلة بائع الخطمي. أضافت جنيفر: الوداع أيها الفرنسي الصغير، كان جميلاً أن نحلم". أقفل فرانسوا هاتفه النقال وابتعد. ثم عاد وفتح التلفون وضغط على زر إعادة الاتصال. كان الأطفال يضايقون كلباً صغيراً وينتقمون من خلاله من السلطة في العالم. وعاد الهاتف يرن دون جواب في شارع لاريدو.

في السجن

دافع عن نفسه بشكل جيد، دافع عن نفسه بشكل سيئ. قدّم المحامي الذي أوصى به آل ماكسويني مرافعة رائعة حول موضوع: كل ما لم يكنه فرانسوا والذي كان يمكن أن يكونه. "لا يمكن اتهام رجل بما لم يكنه، هذا قليل لكن يمكن أن يكون شيئاً ما. الفضيلة ليست شيئاً طبيعياً". لقد استطاع مقاومة بعض الميول، وسط ما، نمط ما. يتهمون فرانسوا أنه ما هو دون الأخذ بعين الاعتبار هذه الميزة الأساسية: هل هو كذلك لأنه كان أو لأنه أصبح كذلك؟ هل نستطيع التهنئة بأدب الأشخاص الذين يكسدون على فضيلتهم ولا يفعلون شيئاً يمكن أن يضعهم في حالة الخطر ولا يكون عندنا تسامح للذين انحرفوا وهم يحاولون التحرك؟ نحن بلد الحرية، العمل، المجازفة. ولاية كاليفورنيا تحاكم فرانسوا داريه، إنها ولاية كل الإمكانيات الكبيرة، الولاية التي أنجزنها منها احتلال الغرب: دون قول شيء من خلال خداع الهنود وسرقة المكسيك. وعذرنا أنفسنا على هذه العيوب لأنها تحولت إلى خير. فكروا بما كان يمكن أن يصبح فرانسوا داريه! قاطع طريق للنساء العجزة، مروج مخدرات، قاتل!" لم يطلع فرانسوا محاميه عن مزايا عائلته: "قال له إن والدته كانت عاطلة عن العمل ووالده مريض". اتهمت قناة تلفزيون دينية المحامي باستحضار البؤس، أنهى مرافعته بجملة اعتبروها جريئة لكنها لم تكن سوى المنطق بأعلى درجاته. "انظروا

إلـى هـذا الفتى، فتى جميل كمـا هو، كان قادراً علـى الاكتفاء بأن تتعهده النساء لكنه فضّل العمل".

مـاذا نفعـل خلال خمس سـنوات ونصف في السـجن؟ نردّد عبارة التشابك. الاعتقاد أننا أداة مصيبة خفيفة. ندم أنه لم يتم اعتقاله فـي موضـوع الفضيلة، عندما تكـون مذنباً في الولايـات المتحدة، الدفاع الأمثل هو الدفاع الديني.

في فرنسا، يصبح الدفاع عن العلمانية. لكل بلد فكره الممدوح مـن الواقعييـن. لم يستطع المحامي تقديم أي شـهادة لرجل دين، واعظ، حاخام يشهد أن فرانسوا كان مخلصاً للدولة. وفق صحافي "الاعتقـال في إصلاحية كان سيلقى ترحيبـاً من رجل يحب أن يرى العالم. كان سـيصبح مجنوناً من الألم خلال بضعة أيام. دون حسـاب الأشـخاص اللطفاء الذين سـيجتمع بهم، هو المعتاد على الخبـث الاجتماعي". هذا المنطق فيـه كل مظاهر الدقة لكنه خطأ: "دخل فرانسوا السجن بشجاعة. لا شكوى ولا تحايل. مطلعاً على ماضيـه أضـاف الصحفـي أن المحامـي أغفـل حجة ذهبيـة أن أمه مومـس وأبـوه مدمن كحول. فـي النهاية، هذا محطـم أيضاً. صدم المحامي لأن فرانسوا لم يقدم له أي مكان اجتماعي، هذه الأماكن الاجتماعيـة التـي يلجأ إليها الرجال غالبـاً عندما يتعلق الأمر بتبرير خطأ". "أنا لسـت قديساً يجب العيش برفاهية". لم يكن ذلك مهيناً لفرنسي. في زنزانته، كان فرانسوا يحلم بالمال الذي جمعه ليس في المكسيك الدولة العضو في اتفاقية التبادل الحر الأميركي الشمالي حيـث يشـك بأن FBI تسـتطيع فتـح الخزائن مثلما يثقـب زر لكن فـي الأرجنتيـن. لن ينقصه شـيء. متبعاً النصائـح القديمة في قراءة

أرسين، طلب كتباً عن طريق مسؤول مكتبة السجن. هو الذي لم ينه دراسته، وجد نيتشه سهلاً جداً. أقل مللاً من قراءة سيف الدم، أوضح وأكثر عبقرية. لم يحظ أبداً بالموهبة في قراءاته وأي موهبة كانت ستنقله دون شك. كان هناك شيء آخر. متحولاً إلى رجل ضعيف، ساعد نفسه في الفلسفة عن الرجل القوي. يقول فكّر الأسد: "أريد" وعندما يؤمر بتمرير الممسحة يفكر: "أنا أسد". وأصبح كتاب "هكذا تكلم زرادشت" سلواه كما كانت للرجل الصالح المعذب والذي كتبه. قرأ أن أبولينوس من تيان سافر حتى الهند حيث قابل البراهما وعاد نباتياً، شعره طويل ويسير عاري القدمين ولا يستمع إلى الأمهات والآباء؟ كان بالفعل فيلسوف لكاليفورنيا والذي توّج صانع العجائب. إبان حكم نيرون إمبراطور المسيح! قلب فرانسوا الصفحات ودقّق: ولد أبولينوس عام واحد مثل المسيح. بشكل تراجعي نعطي المسيح أهمية ضخمة لكن نيرون لم يسمع بهذا الناشط كغيره بينما كان أبولينوس مشهوراً بما أن الإمبراطور دوميسيان قصّ له لحيته وشعره بالقوة. كان العالم مستعداً للإلغاء. هذا العالم أو غيره، كان غيره. كل هذا العصر الجديد من الشر أضجر فرانسوا الذي عاد وفتح الكتاب وقرأ كلمة: "غير مسرور أن يكون مشهوراً، كان أبولينوس محمياً بأسطورته" في كتاب الأخلاق لنيتشه، هزّته جملة لكنه وضعها جانباً لأنه لم يحن الوقت لاستثمار الذكريات غير السارة: "فقط ما لا يتوقف عن تعذيبنا يبقى في الذاكرة".

كان المحقق فورمان ينتقل من محطة تلفزيون إلى أخرى، كلما دعوه وكان يطالب بدعوته عندما يتجاهلوه. كان يتحدث عن

العدالة بتكشيرة وكان الرجل الأكثر ازدراء حالياً وساعد في شعبية مؤقتة لفرانسوا. تحطمت قضية فرانسوا داريه كونها لم تتخط حدود كاليفورنيا ومن خلال محاكمة لاعب الكرة الأميركية المتهم بقتل زوجته والتي شغلت الرأي العام طيلة سنتين. قال المحقق بحزن: هكذا تكافئ خدمة القانون!". العداء له كان ظالماً. تكشيرته كانت نتيجة عصبية ووزنه ناتج عن طعام مكسيكي، كان قاسياً وطيباً، ثائراً وصابراً، أب محب وزوج مخادع لزوجته، بقي لفرانسوا واحدة من هذه الحشرات التي تحوم حول أي رجل غير معروف، والذي لا ينجح في الإفلات منها، من رمسيس الثاني حتى داريه، إنه حالياً مطارد من هذه الحشرات الغاضبة. تساءل فرانسوا ما إذا كانت محاكمة سيمبسون قاتلة. هل ينجح في استعادة الاهتمام؟ كيف تخلص من التهميش بعد خروجه من السجن؟ اتصل فرانسوا بكل الصحفيين الفرنسيين الذين كتبوا عنه ولم يتركهم كما لم يترك فورمان الصحفيين الأميركيين. استمعوا إليه لكن لم يحصل شيء. ظنّ أنه منسي، ضائع، مجبر على البحث عن عمل بعد إنهاء عقوبته. مخطوفاً من الجمهور، عليه العودة إلى عائلته، إلى تاربس. رفض تناول حبوب الكآبة والعطف والتحويل إلى المكتبة. في الخارج تلت الفضائح العاصفة فضائح عاصفة أخرى وأبعدته ملايين الكيلومترات في ذاكرة الناس حيث لم يكن له وضع محدد. اقترب مع فرانسوا دوبارديو! عليه ترك صنيعة انتهت! اقترح سجين كان يعرف جيرار دوبارديو على فرانسوا تحضير مسرحية لاحتفال الميلاد: كان يجب أن يضربه. بعد بضعة أشهر، نقل إليه محاميه طلب مقابلة من فريق القناة السادسة. بعد بث المقابلة نقل له محاميه أنهم أسموه "الرجل

الذي سـرق ثلاثة مليـارات" اعتبرها إهانة. ثلاثـة مليارات لكن لم يكن بحوزتي أبداً ثلاثة مليارات. وبينما أصروا: أي شخص يستطيع كسب الكثير من المال. أنا اختلقت شخصية جديدة". مضت الأيام وأدرك من خلال قراءة الصحف أن الاسـم أخذ منحى جيداً. هذه المليارات المزعومة تمّ كسبها على حساب الأغنياء. أصبح فرانسوا بطل ساخر، ثعلب أقوى من أصحاب المليارات المتخمين، فرنسي تقليدي. قال له محاميه: "أنت محق لعدم التكذيب، الأسطورة تصنع مع كل ما يتبعها مثل الشوربا. إضافة إلى ذلك، إنْ تعرض صحفي للنقد ينتقم من خلال شطبك من صحيفته وبعدها من كل الصحف حيث ينتقل والله وحده يعرف كيف يبدل الصحفيون الجبنة غالباً". وكّل فرانسـوا محاميه لقضية الحبوب المنحفة لأن القاضي لوميدو لم يتركه.

اقترح مقدم برنامج القناة السادسة الفكرة لدى سؤاله إذا كانت لديه النية. قال فرانسـوا أجل. وبعد إنهاء الحلقة، أضاف المراسل: "إذا أردت أستطيع وصلك بناشر. كان الناشر الذي وقّع معه لا ينشر إلا للنجوم: إذا جرى بيع الكتاب حسناً وإذا لم يباع يمكن تعويض ذلـك بكتب أخـرى، مغنية تقرأ الأبراج، ممثلـة تغلبت على مرض السـرطان، مقدم برامج ألعاب متلفـزة يروي قصص عن بروفانس، كل هذه الكتب تشتري الأمهات من الأسواق. في هذا الكتاب غير المكتوب بشـكل جيد من قبل صحفي جاء يسـجل أقواله السـاعة الخامسـة بعـد الظهر في سـجنه فـي كاليفورنيا قبـل ترجمتها "إلى الفرنسية كندا دراي" حسب تعبير ناقد يشير إلى دعاية لهذا المشروب الذي يشبه الكحول وطعم الكحول لكنه ليس خمرة". كانت صورة

الغلاف مؤثرة. ترى فرانسوا واقفاً في لباس السجين البرتقالي ينظر مباشـرة أمامه، إنه أبولينوس تيان، إنه المسـيح، إنه جيم موريسون. طلـب ممثل شـاب من هوليود يظهر جسـده فـي معظم أفلامه دور سجين ليحصل على إعلان مشابه على جدران العالم بكامله. إبان أحاديثـه الأولـى مـع الصحفي، محا فرانسـوا جـدران طفولته. قال له الصحفي: "كتابك سـيكون عنوانه لا شـيء عن والدتي"، لسـت معروفاً كثيراً لنشـر كتاب لا تقول فيه شـيئاً مثل الوزير". لقد اختار المقارنة الجيدة. فتح فرانسوا ما يسمى "أفواه مزراب الذاكرة". إن عمليـة الاعتراف بصنـع عالم قبل إنجازه تبـدو نتيجتها ضئيلة فيما بعد، قال ذلك بعدما تكلم. لم يحول العالم ستة مليارات زوج من العيون نحوه. فالشمس لا زالت تلمع كما كانت. لم يغيّر الصحفي لهجته ونظرته وطبعه. والدتي كانت ما قلته ولا شـيء يحصل. أنا هنـا، الحـارس هنـا في الزاوية يفـرك يديه وفي الداخـل الرجال لا يبالون بالرجال.

اتصـل الصحفـي بالناشـر، تجربـة إنسـانية. مسـيرة مضطربة. أرتيـرو براشيسـتي عنـد ديكنـز. مئة ألف. قال الناشـر هنـا لا نعبأ، أجـاب النـاس، خرجت للتو من نجمة جنس قديمة لم تعط سـوى ثمانيـة آلاف. من جهة أخرى، المكالمـات التلفونية تكلف غالياً". فـي اليوم التالي اتصل بالصحفي: "بعد كم من الوقت يخرج داريه من السـجن؟ بعد تسـعة عشر شهراً في كانون الثاني 2001 – جيد: هذا يعطيك الوقت لتحضير إنتاج جيد وتقديمه لنا وسنصدر الكتاب في بداية شهر ديسمبر حتى يحمله الصحفيون في العطلة وفي بداية شـهر كانون الثاني يكونوا هنا لمقابلتـه. نحتاج محطات تلفزيون".

أرسل له فرانسوا رسالة: لا يعامل كاتب بهذه الطريقة. لم يغمَ على الناشـر، وهو يرى الكلمة التي تصف مارسيل بروست يخدم رجلاً بينما العبد يكتب المذكرات، لأنه ليس لديه شعور بالمقدس. أجابه بكلمة مهذبة حيث وعد بأن لا شـيء أفضل لترقيته. وافق فرانسـوا على كل شـيء: "أسـطورتي" كان يسـبح على محيط من الثقة. لم نعـد نـراه يتنزه وجذعـه منتفخ وعينه مغمضة. قـال لمحاميه: رجل يعترف هو رجل لا يقهر. ردّ الصحفي: "خاصة عندما يعترف على الآخريـن، واسـتبعد أمه. لكنه ليس جان مـولان ومع ذلك فالجبنة جيدة. بدّل فرنسوا محاميه.

دون الأخذ بعين الاعتبار أن فقدان الشـعور شـبه كامل عندما يُكتـب كتـاب مـن قبـل عبد. يبقـى فرانسـوا متكتماً علـى عدد من الأمـور. باميـلا، المال؟ آل مورالـي؟ الصيدلي فـي المنطقة الثانية عشر؟ ورغماً عنه تخترق الحقيقة في الأماكن المشتركة والعناوين. إن أسلوب معين في التهرب من الأشياء يشير إلى أهميتها. لا يتعلق الأمر بالسـطر والنصف حول سـجنه، وها هو: "السـجن الأميركي هو شبيه بمسلسل أوز (OZ): هناك شيء فاسد في مملكة ألكتزار. وكونـي رجل صاحب كرامة، واجهت قسـاوة السـجن". الزنزانات هـي شـيء عفن بكل مـا تحتويه من قـاذورات وروائـح كريهة في المراحيض وكذلك الكلمات النابية التي يتبادلها السـجناء والصور المعيبة والقذرة التي يرسموها على الجدران وسوء العناية بالوضع الصحي في الزنزانات... نتكهن أن فرانسـوا انحدر كثيراً في الفقرة عن الخمسة عشر سجيناً الذين كتبوا لحاكم الولاية طلبوا فيها تطبيق عقوبة الإعدام عليهم. هذا يعني إرادة تجنب العقاب! ويسـتخفون

من المنظمات التي لا يطلبون منها شيء لكن المواطنية تشتمل على التدخل بما لا يعنيك، كتب فرانسوا الذي يشير إلى المحقق فورمان قبل أن يضيف: لا يتعلق الأمر فقط بفرض عقوبة غير إنسانية ولا يتعلق أيضاً بالخلاص الوحيد (إذا لم نؤمن بالله، أي خلاص يجلب الموت؟) إن الأمر يتعلق بالعمق في استعادة كرامتهم كرجال.

كان جميلاً جداً. في سن الثلاثين بدا كأنه في العشرين على الأقل عندما لا نفاجئه وهو ينظر في أوقات الاستبطان. كان رفيقه في الزنزانة آسيوي قصير عصبي يهتم له. لم يرغب فرانسوا أبداً التفكير بجماله. عندما كانت روكسان تمدحه كان لا يأبه ويعتبرها مغفلة. كان من الصعب عليه الاعتقاد بإعجاب النساء. لم تكن جنيفر منجذبة إليه سوى من ناحية أجساد الرجال التي تعجبها. سوف تحب لشيء آخر. والآن الجمال يجعلنا نصبح محبوبين لشيء آخر مما نحن عليه. إنه يجسد الشهوة عندما لا تكون الرغبة وهو يجعلك خجولاً. هذا ما حصل للارس نيديلر الذي خلق تعقيد وهو يرتدي ملابس مثل الفزاعة. الجمال هو سجن آخر. الجمال هو ضعف. خجل، بسبب الخوف زاد غضبه ودخل في مشاجرة حيث كسر أنفه. جعله هذا أكثر جمالاً دون شك لكن هذا لا يؤثر بالرجال الذين يريدون النوم مع رجل طابعه أنثوي. أصبح السوقي الذي لا يسمح القيام بذلك. في أية لحظة، لم يخترع شخصية لحمايته: كان عنده كل الشخصيات، في الخارج صديق من المافيا، امرأة أجمل من شارون ستون، مئة ألف دولار في مكان آمن كما في الشركة. بالنسبة للباقي، على سبيل المثال الرغبة بالانتحار. أيضاً مذهل القليل من الكلمات التي يشير فيها إلى مهنة أمه كما لو لم تكن لها

عواقب. يقال إن النقص في التفكير سمح له الوصول إلى الجمهور الكبير: ظهور طفيف للتفكير يصدمه، هو مراقب لكن مغفل. لم يحسب فرانسوا كل ذلك: كان مشغولاً بصقل فرانسوا داريه.

على الغلاف، يضع ذراعيه أمامه التي تخرج من الأكمام القصيرة. تنبهنا أن يديه مقيدة بقيود من البلاستيك. يداه تتكلمان. إنهما تناديان بالحرية الإجبارية، الانطلاقة الحرة ثم المنضبطة. إنهما الموضوع الحقيقي للصورة التي موضوعها الظاهري هو الابتسامة، الابتسامة الوقحة المتناقضة مع لباس السجن. فرنسي صغير يتحدى المصير. نص التقديم في الجزء الرابع من الغلاف يعلن: "ما أهمية التجارب طالما تقودنا الأحلام". إن الحلم هو من قاد فرانسوا داريه.

الحياة بالنسبة لي

كان يمكن للكتاب إبراز صورة مأخوذة خلال تحضير الحلقة. وبانتظار التقاط صورة، يطالع فرانسوا مجلة متروكة على زاوية طاولة من قبل مساعدة. توقف أمام صورة وقال بصوت عالٍ: "الحياة بالنسبة لي يجب أن تكون هكذا" قام المصور اليقظ بالتقاط صورة.

أضاف فرانسوا بصوت منخفض: "اللعب، الحياة المحتقرة، التصنع". الأنف موجّه نحو النجوم لنسيان الماضي الوسخ. لم أتمتع بالحد الأدنى من الطفولة التي يجب أن يعطيها الحد الأدنى من الإنسانية. آه، اقطع هذه الفكرة!



العودة

لدى خروجه من الطائرة، شاهد الوزير كاميرا أمامه. لم يفاجأ النرجسي طويلاً وانتصب مستعداً لأفضل صورة. تقدّم الفريق، ابتسم تجاوزته، من بحق الشيطان؟ انتظر قبل أن يلتفت. من كان هذا الشخص مع حقيبة قديمة؟

أوصل التاكسي فرانسوا إلى قرب المبنى في شارع لافاييت حيث احتفظ بالاستديو وكان يدفع الإيجار من الولايات المتحدة بانتظام. هذه هي باريس كما في السابق. كيف التجنب أن تكون بالضبط ما كانت عليه سابقاً. رجله على الدواسة، رمى في سلة المهملات الصور التي أخرجها من أطرها الفضية. "ابن العم ماتيلد، إلى الزبالة، الجدة شارلوت الوداع. العم ما كان اسمه هذا؟". على التلفزيون يرون قصة حياة بطلة أولمبية هاجرت إلى الولايات المتحدة. استقبلت رياضية أميركية هذه الرياضية الروسية ذات النظرة الحزينة. ردّ فرانسوا على الهاتف. أراد الصحفي أن يعرف عما يفكر بالنسبة لوفاة والده الذي وجد بعد التقاعد عند المشاعل وكلب يصدر عواء عند أقدامه على مقعد من الكهف في لورد. "عاش والدي حياة صعبة لكنني أسامحه". عندما أقفل الخط، تساءل ما هو إحساسه. نعتقد أننا تخلصنا من الماضي لكنه تحت نعلنا يبرز أسنانه الطويلة بضحكة صامتة وماكرة.

كانت الإسفنجة قاسية مثل الحجر. مسح الرخام الأبيض

للمدفأة بواسطة محرمة مبعداً الأوراق التي أرسلها محاميه الفرنسي الجديد. مجهولون مهنتهم اقتناص المال، قالوا إنه لا يدين لهم بشيء، سيدة تدّعي أن فرانسوا اغتصبها تحت اسم دافيد هوليداي وهددت بتقديم شكوى إذا لم يدفع لها 500 يورو. كان القاضي هيدو يستلم رسائل مجهولة. إحدى الرسائل تتهم فرانسوا أنه شريك لمزوّر عملات زوّر اليورو عند صاحب كاراج في قناة أورسك وتقول الثانية إنه شريك لبطل سابق في المصارعة التايلاندية أصبح منتج أفلام جنسية في قصر الواز. رسالة أخرى تبدأ بجملة: "عرفته جيداً... وتنتهي بعبارة رجل مرح. نميمة دون نوايا سيئة، بطريقة ما يبهر المجرم السابق المخترعين الذين يخترعون لحاجتهم الاعتقاد بالرائع. حكم القاضي هيدو بقضية حبوب التنحيف وغياب الملاحقات بنقص الدليل. وضع ذلك تحت الضغط السياسي. "السيدة روكسان لارجيلياري عضو في حزب من أجل الجمهورية أليس كذلك"... لم يقل إنها شهدت ضد فرانسوا. كان الصحفيون ينظرون إليه على أنه مجنون لكنهم تأملوا أن يحصلوا على سبق صحفي. كان الضجيج يملأ الإنترنت. اغتاظ فرانسوا من الكذب. قال للملحق الصحفي لدار نشر: "يسألون لماذا أصدرت كتاباً وسجلت حلقة تلفزيونية على القناة السادسة وتبع ذلك تحقيق يشرح كيف انتصرت في الماضي".

متجولاً عند جادة ساكس، شاهد السيدة لاغولاي الصغيرة. رفضت عائلة لاغولاي الشهادة ضده. حتى إيمانويل احتفظت منه بذكرى جميلة من الشاب الطموح. أجابت مدام لاغولاي الأم وهي تدني ملعقة صغيرة من الحلوى: "كان على حق أن يكون هكذا.

أحـد أجـدادي كان يعمل في سـانت بريـوك ولولاه لمـا كان لدى العائلـة مال. قالـت: لا أعرف إذا كنتم تحبـون الفونتينبلو، موجهة كلامهـا لحفيداتهـا اللواتـي يعرفـن منذ ألـف عام أنها تـردد ذلك. أضافت إيمانويل أنه من يعرف ربما أرسل فرانسوا أخبار بعد رحيله، ردّت شقيقتها المزعجة: "نحن مسؤولات دائماً عندما نخدع وأردنا أن نخدع". حقدت إيمانويل عليها. لقد فتّش المصور، مع الابتسام والكلام المبطن، دون علمها في الخزانة وتطلّب رحيله حتى تفهم، لقد سرق صورة فرانسوا في تروفيل إحدى الصور النادرة من إقامته فـي الولايات المتحـدة حيث نراه في الصـف. روت إيمانويل أنها أخـذت الصـورة دون علمه وكان معبّراً ليـس بنظرته الحالمة، وهو جالـس علـى طرف طاولة الطعام، عار سـوى من لباسـه الداخلي، قالت السـيدة لاغولاي الأم أنها كانت تحب ذلك الشـاب الجميل وكانت تأكل قطعة الكاتو بينما فرانسوا يبتعد في ساحة بروتاي.

مـن بيـن كل الفتيات اللواتي خرج معهن، زار البدينة الجميلة التي تشـبه عجينة لويس الخامس عشـر. لقد تحولت إلى شـخص مختلـف: ضعيفة، مجروحة، جليلة. غير مسـتمعة لما يقوله تابعت حديثها عند النقطة الأخيرة، قالت بصوت عالٍ فجأة تعلم فرانسـوا لتطمئـن الحيوان داخلها: "أنـا لا أروي حماقات لكنني لا أكترث، أقول ما أفكر". ومغطية صوت التلفزيون الخافت، روت له مغامرات السـيد لاغـولاي. لقد وجـدوا جثة تاجر الآثار فـي فيلا في جنيف مشـنوق وهو يرتدي ملابس النوم. هذا الخبير ببورسـلان سـاكس، كان لديه ميل نحو السوقيين. في الماضي، عندما كان فرانسوا يخرج مع إيمانويل، لاحقته زوجته وقد استقبل في شقته ستيفان ماندلبوم

(1961 – 1986) شـاب راغـب أن يكـون فناناً وانضـم إلى جماعة تخطط لسـرقة Modigliani، وقد أعطوه نسـخة قبل مقتله برصاصة في رأسه وتشويه وجهه بالأسيد. وقد بدأ هذا المندلبوم بصنع شهرة في الرسم من خلال رسوم تجريدية. سألت الضعيفة الجميلة: "لماذا تتكرر نفس المآسـي"، "مزعج مـا يمكن معرفته عن الناس" أجاب فرانسـوا. وجـد يومـه حزينـاً، العداوة تمـر عليه وعلـى عالمه. في التلفزيون، تحدث صحافي قائلاً: "عندما نشـر فرانسـوا داريه كتابه ظهرت مذكرات الممثلة الأميركية المشـهورة في السـبعينات تقول لنا إن أمها اغتصبت في سن الثامنة من قبل تقني بيانو. في السباق الأبدي للمآسي التي تعرض على التلفزيون، يربح فرانسوا في برنامج على القناة السادسة بالأمس عندما يكشف أن أمه كانت مومس. ماذا تعتقد أنه حصل؟ إنه كتاب الممثلة الذي لم يباع. في أحاديث الناس الأسبوعية الرقم واحد: فرانسوا داريه.

نظرة دنيئة

في غرفة مفروشة بالكنبات المغطاة بقماش أسود وطاولة منخفضة عليها زجاجات الماء والشمبانيا وعلب الصودا والكؤوس والأقداح، كان ينتظر أن ينادوه على خشبة المسرح وهو يتابع عودة المسلسل على شاشة مراقبة. قال رئيس جمهورية قديم: "باسكار هو أكبر مخترع فرنسي لأنه اخترع النقالة بعجلتين والآلة الحاسبة". كان مقدم البرنامج وهو يصفق ويقلده الجمهور يقول: "لم أكن أعلم، تعلمت شيئاً ما هذا المساء". في حلقة سجلت في الليلة السابقة، أظهروا صورة لجنيفر موجودة على الإنترنت: "إنها منتوفة زوجتك السابقة". لم يلاحظ أحد يشحب في غرفة المكياج أو ذهوله الثاني: "لقد انفجر من الضحك. تردّد هذا الضحك بينما كان المدعو الآخر يتكلم. تردد في التاكسي عند العودة حيث كان الملحق الصحفي يدخن ويتحدث عنها، خلال الليل، هذا المساء أيضاً. هذه الضحكة هي سقوطي قال فرانسوا. على شاشة التلفزيون مغنية لم تستطع البروز منذ عام 1986 وحاولت العودة في مسرح صغير في المنطقة عشرين، "محببة، دافئة مقربة من الجمهور، أكدت أن ابنتها أعجبت بهذه الكوميديا حول مخبرة لا تعرف كيف تحافظ على عشاقها. قادوا فرانسوا إلى مكانه حيث عزفت موسيقى الراب. اجتاز بهواً كبيراً من الإسمنت ودخل على المسرح، كئيب من الخارج، فرح من الداخل، جلس وهو يحيي بصمت بقية المدعوين ومقدم البرنامج

الذي لم يجب بالمكياج. ضبط تقني مذياع فرانسوا. شاهده مقدم البرنامج، ابتسم له وراجع أوراقه. قال عازف الموسيقى الذي يرتدي ملابس رياضة بيضاء، يجب أن تصبح غنياً مع وداعة رجل الدين الذي ينادي بالعكس. قال فرانسوا أن العالم قرّر التغيير بالنسبة للأيام الماضية عندما كان ينتج موسيقى الراب، لكن على كل شخص تملق المجتمع. بدأت الحلقة: "فرانسوا داريه صباح الخير" استخدم المذيع عبارة "راقصة خفيفة" بالنسبة لجنيفر ووصف ستيفن سيغال الثعلب، وكان الملحق الصحفي لفرانسوا قد أبلغه أن التهجم لا ينقل على الهواء لكنه لم يغضب لكلمة محتال. قال وهو يبتسم رغماً عنه: "محتال يصدقونه هكذا يسمى". أجاب فرانسوا أنه لم يلجأ سوى إلى تغيير اسمه مثل الشركات الضخمة المقتنعة بالفساد وأخطأ ألوف المرات أقل منها. "حسبما تكون قادراً أو بائساً. يجب الاعتراف على الأقل أنني بدأت من الصفر وحققت المعجزات. قال الكاتب الكبير غورفيدال أنني رومانسي كبير".

عاد المذيع وكرّر عبارة "محتال". أجاب فرانسوا: "والأشخاص الذين ليس لديهم مواهب ويشغلون مناصب أليسوا محتالين؟ ألست أنت محتال دون أن تعلم؟" غير مبالي، أجاب المذيع: "كذبة"، قال فرانسوا: "غير مسرورين من تصديق ما يقال لهم، يصدق الناس الموجود هناك فرانسوا دوبارديو صديق النجوم الحقيقي، لم أضطر إلى الكذب كما تقول". قال المذيع: هذا الادعاء يتطلب محاسبات. ليس من منطلق عادل لكن بهدف إنتاج لحظة مسرحية. أعطى فرانسوا ثلاثين ثانية للإجابة، ليس من منطلق ظالم لكن لأن الإحصاءات تظهر دقيقة بدقيقة أن الجمهور يهرب من الجمل

الطويلـة. عمـد فرانسـوا إلى الهجـوم ("أنا من تعاملنـي كمحتال") واخترع اتهاماً له علاقة بالمافيا في لاس فيغاس ليدافع عن نفسـه. لقد أعطوني دور فرانسـوا داريه "الذي سـرق ثلاثـة مليارات" مثل ديمي مور وعشـيقها الشـاب الذي يصغرها بخمسـة عشـر عاماً أو أمانـدا ليـر هل هي رجل أو امـرأة؟". كانت الأخيرة جارته وبرزت من الضباب أسئلة وأجوبة وتصفيق وضحكات وسمعها تقول: "من خلال السـماح بتحـرك الخنازير على عضوي، بعـت أربعة ملايين كاسيت. ستتعرض هذه السيدة دائماً للهجوم حول هذه النقطة التي تعتبرها مدعمة. أخطأت بالرد على الاحتيال باستخدام كلمة محتال: فترداد الكلمة يعزز الاتهام في عقول الناس. كن ماكراً! توقف عن اعتبار نفسك فارساً! رفع كتفيه وأسقط الحصن غير المدعم لقراءاته في السـجن. وداعاً نيتشـه وأبره الخيالية لنعود إلى الحيلة! تتحدث أمانـدا ليـر وبقيـة المدعوين عنه كأنـه ليس موجوداً. قـال أحدهم: "موضوعه ماكر" وقال آخر: "لقد فهم بشكل جيد عالم التمثيل" صـرخ المخـرج برونو غاسـيو وهو يرفع يديه: "إنهـم يهزأون، خذ المبـادرة". ضحكـوا، ضحك فرانسـوا معهـم. أوف لقد عدت إلى الدائرة السحرية. هذه الضحكة التي أقلقتني كثيراً هي مخرج بسيط. لم يتركه المذيع بسـرعة وقال: "لقد اعترفت في صحيفة لوموند – اعتراف، أي اعتراف؟ لم أعترف بشـيء إذ لا شـيء عندي أعترف بـه! دفعت ديني للمجتمع ولا أدين بشـيء لأحـد. عليَّ أن أخبرك أنـه حتى لو كان عندي شـيء أخفيه سـأعترف بأقل مـا اعترف به، الرجل لا يقهر. عندما لا ندع القناع يسقط، لا أحد يستطيع خلعه". تحدث المذيع معه براحة قال: ليس هناك الشيء الكثير في كتابك

- عندما نقوم بالكثير، لا نقول شيئاً. عندما لا نفعل شيئاً، نقول الكثير! أجاب فرانسوا وهو يضحك. أعطته بدلته الجديدة بول سميث ثقة كبيرة، كانت البدلة من الصوف مئة بالمئة، مصنوعة في إيطاليا كان يرتديها مع قميص أسود مفتوح الياقة. لن يطلب منه غزو العراق بهذه البدلة التي أرتديها وأنا أصغر. رفع رأسه نحو المذياع الذي أشار إليه المذيع. كانت أمه تتحدث بصوت مثل البطة وبلهجتها المناطقية. كان صوتها مشوشاً ربما، ركّز على الوجه. كان خداها ممدودتين وعيناها منتفختين وزرقاوين. هذا على الأقل ثابت فهي لا تصبغ شعرها فمن أشقر فاتح تحول إلى كستنائي. صوتها متلعثم، لقد شربت، وهل تشرب؟ تراكمت الجمل في رأسها: لقد اغتصبه والده وأنت هل تصدق قصته عن الوكالة العقارية؟ وشقيق الإيرانية ألم يكن شاذ، ربما؟ كل الرجال يحبون الإصبع في المؤخرة عندما يعاشرونا". والنظرة الدنيئة. عند نهاية الحلقة مدّ المذيع يده لفرانسوا وقال: "دون ضغينة". انتبه للكلمة في التاكسي فالضحية يقرر الضغينة على ما أعتقد؟". بعد أسبوعين، كان كتابه في المركز الأول بالمبيعات حسب الإكسبرس.

الشهرة مهنة

جاءت مدام لاغولاي الأم تفتح الباب. قالت دون تحية: "البخيلة كنتي زادت ثروتها منذ حصولها على حصتها من ميراث ابني. لطيف أن تأتي لزيارتي. أنت مخطئ بالاختباء من إيمانويل ستكون سعيدة لتحضير غشاء. زوجها مهندس لطيف. يعيش إيميريك في لندن وعادت إيميلين إلى طوكيو". كان فرانسوا ينظر إليها بمحبة كان يجدها جميلة. من العالم حيث عاد، لم يكن هناك جدات كما قالت ملفينا. كن كلهن يرتدين ملابس رياضة والشعر قصير. قالت مدام لاغولاي: "الخير يُنسى بسرعة ونتعود على الشر أو نصف الشر أو السخيف، أو غير السار. ترعرعت في عالم مفتوح وشيئاً فشيئاً أقفل. نحن تعودنا على السيارات المقفلة بالمفتاح ورجال الأمن على أبواب المصارف والشرطة على أبواب المدارس. هذه بربرية! هذه بربرية. البربرية هي الانغلاق، الخوف. أفضل الثقة. ألن تجلس".

كان يحب كلام تلك السيدة العجوز التي مع عينيها الشاحبتين بدأت تشبه هومير. بعد كل الأشخاص الذين سمحوا له القيام بكل ما يريد فإن قساوتها تشعره بالوجود. عند الصباح في الاستديو، أدار التلفزيون عندما استيقظ. أميركيون مرتبين على طريقة الأنيقة يقولون أشياء مأساوية في برنامج عاطفي. بعض الحمقى يردون مباشرة على المشاهدين بينما يقوم مذيع بالتورية. صدف أنه عندما دعي فرانسوا

الليلة الماضية، حصل تساؤل حوله، "فرانسوا داريه العازب؟ إنه سوف يصل إلى كل الطالبات". ظلّ فرانسوا مستلقياً على الكنبة - السرير يأكل البسكويت ويتحرك. حتى لا يثير الضرائب تجنب استئجار شقة كبيرة. ذهب ليسحب نقود من حسابه الذي فتحه في برشلونة منذ سنوات قبل أن يغادر أوروبا. اتصلت الملحقة الصحفية بدار النشر التي كان لديها مؤلفين آخرين به بعد أربعة أيام من سماع رسالته: "تواضع لمرة واحدة وسوف يتركونك وشأنك بعد ذلك". هذا ما فعله المغني باتريك برويل في بداية عمله قالت الملحقة الصحفية وقد أرسل رسالة إلى المجلة التي احتقرته وكانت مرحبة بنشرها. نستطيع أن لا نحب ما يفعل لكنه أهين، لقد كان يعمل وعليهم احترام ذلك. "الاحترام، لا تنسى، الاحترام"! قالت له بصوت متباعد وكأنها تستقبل أحداً وأقفلت الخط. عاد ورأى السيدة لاغولاي بالسر. كان الاثنان مسروران معاً. كانت تنصت باهتمام لأفكار حول الشهرة. كان فرانسوا يجد التلفزيون غير أخلاقي: "لم تعد الأفعال التي يحكم عليها بل الخطاب" فعلت ما فعلت ولا أحد يلومني على ذلك. بالمقابل جملة سخيفة تطرح عليَّ مثل الجرس. هذا مذل! كيف يفعل القتلة الكبار؟ الوحوش؟ كيف يمكن أن نصبح وحشاً إذا كان كل العالم يضحك؟ سخر أحد أحفاد مدام لاغولاي من مغني أميركي بعد نجاحه الكبير في ألبومه الأول واشتكى من هواجس الشهرة في الثاني. قال إيميريك وهو يسخر: "بؤس لي أنا أردته، أنا مشهور". قالت السيدة العجوز: "أولاً يجب معرفة إذا أرادوا أن يكونوا مشهورين أو فنانين. أضف إلى ذلك نحن نحكم على شرعية مشاكل الآخرين. ليست هناك أسباب سخيفة للألم".

لـم يجد فرانسـوا علاقة مـع ما كان يقوله، لكن هـذا الغموض زاد من حبه لها، نعم إنها هومير، هوراكل. طلبت منه المجيء لزيارتها ووعدت أنها ستحتفظ بالسر.

نشرت مجلة "Voici" صورة لفرانسوا مع مرشحة قديمة لستار أكاديمي: "فرانسوا داريه وكارينا. كم هو جيد أن نكون في أحضان شخص من الجنس الآخر..." كان المقال يشير إلى تصريح والدته الجنوني على التلفزيون مع صورة حيث هي امرأة شرسة. شكراً لله. قالت السيدة لاغولاي: "لكن كيف وجدوك على شرفة المقهى؟" التقى هو والفتاة في برنامج تلفزيوني وهم طرحوا الفكرة. "صغيري يجب أن تعرف ماذا تريد".

رغم اضطرابه عاد. كيف يعرف؟ كلود لولوش اقترح عليه دور في فيلمه القادم. سأل مدام لاغولاي: "هل تعتقدين أن عليَّ التسجيل في درس فلوران؟ هو لا يعرف بالضبط ما هو الدرس الفلوران لكنه سمع الاسم في صغره على التلفزيون. "لكن يا صغيري هو مخرج سـينما أعطى دوراً لبرنار تابي وهو سجين بتهمة الاحتيال، ووزير" أحبط فرانسوا.

كان للسيدة لاغولاي ابتسامة مرحة. لقد شاهدت على التلفزيون الصور المتحركة "الجبارون". بدت شخصية إدناموند مصممة موضة القزم بنظارات كبيرة فيلسوفة كبيرة بسبب هذه الجملة: "الحظ يأتي لِمَ هم مسـتعدون". زمّ فرانسـوا شـفتيه. بهذه الإشارة السخيفة هي تسخر بالتأكيد من نقص ثقافته وربما من أصوله.

اتصلت به دار إنتاج لتقترح عليه المشاركة في حلقة لتلفزيون الحقيقـة. سـيكون حكـم في مسـابقة حيث العديد من المرشـحين

يتقمصون شخصية أخرى في شركة، عائلة، تجارة. عنوان مؤقت: "إيموا وأنا". إنه لا يساوي أكثر من الإطفائي لبرنامج علم النفس حينها الذي كان يعيش مع روكسان! كان برنامج علم النفس مقرراً لكن التلفزيون لا يبالي بالاحتجاجات فهي تحدث ضجة وكل ضجة هي تصفيق له.

تهجم، نترك الانتقادات تمر، ثم نعود إلى الهجوم. ومعي فقط يضبط هجوه لتحقير الكائن البشري. أنا... صغيري هناك الكثير من الأشخاص أكثر شقاء منك في العالم ولا شيء يجبرك على الذهاب إلى التلفزيون. إنها لا تفهم شيئاً هذه العجوز.

في المرة التالية قالت بخصوص مرشح سابق لبرنامج تلفزيون الحقيقة: من السهل أن تكون مشهوراً، يكفي أن لا تفعل شيئاً؟ إنها حماقة قال فرانسوا لكنها لا تفكر بالسوء، أو ربما؟ هناك تسامح كبير مع الساخرين. لكنهم ليسوا خبثاء الذين يتظاهرون بالغباء. الثقة، تقول الثقة! طيلة حياتي علمتني أن لا أثق أبداً. احتج فأجابت مدام لاغولاي: "يا صغيري، هذا غير مهم. الشهرة مهنة مثل النجار. اقبل بالعمل الذي يعرض عليك. أي قرار أفضل من عدم القرار وإلا ستسقط". تحدث فرانسوا عن كرامته مع ابتسامة قاتلة فأجابته: "الإيمان السيئ بالنفس يمكن أن يصل إلى العبقرية، إنه يقول لنا أشياء حقيقية بالفعل وغير سارة حتى يخفي أشياء حقيقية أكثر تصبح ملائمة، لا يجب أن تشرب الويسكي عند الساعة الرابعة، جدي مربي المواشي...".

بعض الأماكن هي أشخاص. مدريد بالنسبة لهذا ستبقى إلى الأبد فتاة سمراء ذات نظرة جديدة تبتعد في ساحة مكتظة وهي تضرب بكعب حذائها شانغهاي. بالنسبة لذاك هي عجوز رأسها مكعب مع ثلاث شعرات على الجبين لا ترد التحية، بالنسبة للبعض دبي هي فرانسوا داريه، المكان الأخير الذي شوهد فيه حيث أخذت له آخر صورة. خرج من المصعد في الطابق الرابع والعشرين ودقّق بلوحات الأسباب الاجتماعية ثم توجّه إلى شابينفست. في المقعد الجلدي حيث طلب منه الانتظار، تصفح الصحف المهنية للعقارات وأخذ كوب شاي ونظر إلى الرجال المارين. الأجمل هنا ليست الهندسة، هذه المنهاتن على الشاطئ الرملي الذين يقومون ببنائه، بل ملابس الرجال. هذه الملابس البيضاء المسماة دشداشة حيث توجد النعومة بشكل شبه خفي. أي أناقة تخلق هذه الدشداشة وكم قمصاني قبيحة بجانبها. "يبدو الجميع كأنهم أصغر مني بعشر سنوات وهم على رأس الحياة. عملت جيداً بإعادة صبغ شعري باللون الأسود. مع ذلك، فهم ليسوا أكثر سواداً من روحي". أخذ مجدداً أول مجلة في المجموعة وتصفحها دون أن يقرأها. كان الغربيون يخرجون من مصاعد إلى اليمين يرتدون بنطلونات رمادية، وكرافات حمراء وبطاقة متدلية على قمصانهم البيضاء. وصل ريشار شبكة من المكاتب إلى اليمين. مقارنة مع العربي الطويل الذي مرّ

خلفه بدا الرجل القصير شاحب اللون منفوخ. قال بالفرنسية: عفواً على الطريقة اللبنانية لكن التجول في هذا البلد مرعب. فكرت أن الإنشاءات هي التي تعيق كل شيء. سوف أتقدمك إذا أردت. آه من المواصلات".

ذهل فرانسوا أنهم يأخذونه بالهاتف ثم لصراحته ولكرمه. قال السيد شبكة: لقد حصلت مني على دعوة إلى لاس فيغاس وقد حضرت عدة مآدب عندك. تجدك زوجتي لطيفاً. إذا أردت أن تحصل على مهنة حقيقية أنا أريد مساعدتك. يمكن أن تكون تاجراً حسب اعتقادي". تساءل فرانسوا أين الفخ. لم يلاحظ. على المكتب الكبير الزجاجي الأسود كان ينظر إلى يد شبكة تقوم بمداعبات دائرية. كان يتحدث عن العقارات. "بما أن لديك خبرة تستطيع في البداية القيام بمعاملات قانونية محلية وتقديم شرح لزبائننا الفرنسيين وكذلك الزبائن الأميركيين حول العقارات. عليك أن تجري فحص طبي للحصول على عمل على ما أظن إضافة إلى بعض الوثائق وستتكفل سكرتيرتي بذلك وهذا سهل. هذا بلد عمل ودي: لا ضرائب على المداخيل، لا ضرائب على الشركات. لذلك إذا عملت بجدية تستطيع كسب الكثير من المال. العام الماضي، زادت الرواتب في قطاعنا 15 بالمئة مع تضخم 4 بالمئة على ما أظن. تستطيع البدء براتب 8 آلاف درهم بالشهر وهي توازي 1600 يورو مع إمكانيات بالتقدم السريع. كل شيء يرتفع في دبي بدءاً من السكان. في الخمسينات كان هناك خمسة آلاف نسمة بعد خمسين عاماً أصبح عدد السكان مليون وثلاثمائة ألف نسمة أكثر من نصفهم تتراوح أعمارهم بين العشرين وتسعة وثلاثين سنة،

سنك يعني الحيوية".

نظر فرانسوا من النافذة. "كلا، هناك أبراج الشارقة، الإمارة المجاورة. إن البرج الذي نبنيه هو في هذا الاتجاه". وأشار إلى أذن فرانسوا الذي استدار. مقابل الجدار، رفع عينيه إلى السماء. استدار وانحنى على صحيفة أخبار الخليج التي يقلب ريشار شبكة صفحاتها الكبيرة. بعد المقالات عن الشيخ محمد بن راشد المكتوم رئيس اللجنة الرياضية وتهنئته حول الانتخابات القادمة الحرّة حيث ستشكل هيئة من سبعة آلاف شخص يختارون المجلس الاتحادي، إعلانات عن ساعات تاغ هوير وعطور إيف سان لوران، انتقادات حادة، الوحيدة للسياسة الخارجية الأميركية، إعلان "للغولف ولمنتج تايغر وود" وإعلانات أخرى عن السيارات والمراكز التجارية والمجوهرات الذهبية وبطاقات الائتمان، وصل ريشار شبكة إلى الصفحة التي سيشتريها. لمسها بيده كما لو كان يلمع غياب الشمس على يخت أبيض حيث عائلة من الغربيين تنظر إلى الأفق، كل هامش الصفحة كان مليئاً برسم فنان يمثل برج باشا المستقبلي. فخامة، خصوصية. البيع اليوم 4 بالمئة دفعة أولى و96 بالمئة تمويل. مدح ريشار شبكة إبداع المبشرين بالخير للبلاد، صديقه ميشال الدبل من شركة دبي للعقارات، طلب من مهندس أميركي من أصل إيراني (هناك الكثير من المال الإيراني في دبي منذ انتخاب الفلاح المشهور) أبراج متحركة، البرجين الأولين متقاربان من الأسفل بينما يقارب الثاني البرج الثالث ويحضرون لبناء برج جديد. قال فرانسوا: في نهاية الثمانينات اصطحبت صديقتي إلى مؤتمر في المالديف ومررنا من هنا. وبناء على نصيحتها اشتريت في

برج مارينا إحدى المناطق النادرة المفتوحة للاستثمارات الأجنبية، شقة على الخريطة كنت أنوي بيعها بسعر أكبر لكنني احتفظت بها". حول ظروف الشراء ليس السرد واقعي: فقد تحدثت روكسان أمامه عن استثمار عقاري فإنه اشترى العقار في الولايات المتحدة معطياً تعليمات من السجن للرجل الذي يهتم بأمواله في الأرجنتين. دبي نشطة إلى درجة لم يعد هناك مشاريع فهي تنتقل فوراً إلى التنفيذ. بعد تنفيذ مشاريع "النخلات الثلاثة" مجموعة الجزر على شكل أشجار النخيل مليئة بالبيوت والفنادق، يجري بناء "البرج" الذي سيكون أعلى بناء سكني وتجاري في العالم وارتفاعه 700م بمعدل طابقين في اليوم. الأكثر روعة هو "العالم": مجموعة جزر شكل كل منها يشبه دولة. السعر بين 8 و38 مليون يورو على ما أظن. يقولون لنا شنغهاي، لكن شنغهاي يسيطر عليها رجال المافيا والشيوعيون وهناك اختلاف. يقولون موناكو، لكن في موناكو هناك عمليات اغتيال مثل صديقي "سفرا". ليس هناك سوى دبي يا عزيزي فرانسوا. صنف أحدهم باريس عاصمة القرن التاسع عشر، وحسب رأيي، دبي هي عاصمة القرن العشرين، وهذا البلد سيعود عليك بالخير الكبير حسب رأيي.

كان فرانسوا يضجر بقوة. إن دبي هي المكان لكسب المال هو لا يشك بذلك. وإذا وجد في لوس أنجلوس أن المدن هي ثمرة خيال الرجال، أكدت له دبي ذلك بشكل صارخ: إنهم يشيدون جنة من الزجاج، من الرخام، من تكييف المناخ. بانتظار ذلك، هو هنا الآن مع وظيفة صغيرة ونهاية للتألق. أراد في بعض الأحيان الغرق في بحيرة كبيرة حيث سيبقى أخيراً. الرغبة هي كلمة مبالغ فيها. هو

لا يرغب بشـيء. لذلك وافق على عرض ريشـار شبكة. في الجادة حيـث أذهلتـه الحرارة، صادف إسـبان بالشـورت ويابانيين وعمال باكسـتانيين. قال له ريشـار لبكي وهو يتركه أن من بين سـكان دبي المليـون وثلاثمائة ألف نسـمة هناك فقـط 20 بالمئة من المواطنين الأصلييـن. أي بلـد فـي العالم أهلـه الأصليين حوالـي 20 بالمئة؟ تساءل فرانسوا وهو في سيارة التاكسي وهو ينظر من النافذة. نستطيع إذن أن نفعل ما نريد. نحن في كل مكان. لست هنا سوى منذ بضعة أيام لكنني تأقلمت، لا أحد يتأقلم بشكل طبيعي غيري. يوم العطلة هـو يوم الجمعة، علب المحـارم موضوعة على كل الطاولات، إن التعابير المحلية دشداشة، فرخة، إن شاء الله. توقف التاكسي تحت إعـلان ضخـم لعطـر أوفوريا لكالفـن كلاين. لا نسـاء عاريات، لا رجال نصف عراة، فقط زجاجة عطر. كان هناك العصر الحديدي، العصر الحجري، عصر كالفن كلاين حسب رأي فرانسوا. أمضيت حياتي مع كالفن كلاين دون أن أرتديه. قصة حياتي، تقدم التاكسي بضعة أمتار في الجادة. الازدحام، سـيارات الجيب النظيفة السـماء الزرقاء - الصفراء، شجر النخيل، محلات ومراكز تجارية.

لم يضيء الضوء في الشقة عند وصوله وكانت الستائر مفتوحة. تـرك نفسـه يقع على الكنبة وبقـي لفترة طويلة جالسـاً ذراعاه على جانبي الكنبة. كان منظم التلفزيون بمتناول يده. أدار التلفزيون وفيه كل القنـوات الأميركيـة والهنديـة والإنكليزية وقنـاة رياضية والقناة الخامسة الفرنسية.

فرانسوا برانسون

في عيد ميلاد المهندس، جذبت فرانسوا راقصة شرقية على السجادة حيث شعر بوخز في عضلاته. ترك نفسه ينقاد. "إنني أرقص مثل ابن الثانية عشرة. لقد عاد الديك الصغير". ترك شبكة والمهندسين وبدأ يستخدم كلمة وهو "دبيوت" دبيوت مثل أنجلينو. أثبت انتماءه إلى الحياة الجديدة. فتح ستائر شقته، شاهد الشمس دون الشعور بنفور مع سعادة لرؤية الأبنية على نمط ميتروبوليس مارينا، ليس دون إعجاب بالبرج على شكل سفينة وقد اشترى أصدقاؤه من هوليود على الخريطة، ضغط على جهاز التسجيل واستعد لسماع كما في الأيام الخوالي وهو يصفر: "هذه هي الطريقة التي أحبها".

بعد بضعة أشهر في فندق حياة الكبير، استقبل فرانسوا برانسون قريب بعيد للشيخ محمد. باستثناء خاتم من الفضة وحجر كريم في إصبعه، كان عبد الله يرتدي ملابس غربية وحذاء غربي. كان عبد الله قصير وله شوارب ومغفل. اختار هذا البار ليبرهن أنه متحرر. أراه فرنسوا صور عن كاليفورنيا وشرح له أنه يستطيع تنظيم حفلة موسيقية لزاك في مسرح PMC. أجل، هو، هما معاً. ليس دون تردد، قال إنه سوف يأخذ قطعة كاتو مع الكريم لكنه أخيراً فهم أن الأمير أيضاً يعمل في مجال الفن وكان سياسياً يرعى مصالحه، أضاف وهو يأمل أن ينتبه عبد الله ويدرك إشارته. قام فرانسوا بلفظ أسماء رجال

أعمال بشكل عشوائي قالها له ريشار شبكة مثل خليفة جمعة النبودة، وصاحب شـركة Virgin ريشار برونسـون الذي أراد فرانسوا القول إن له صلة قرابة مع رئيس مجلس الإدارة للمرة الأخيرة لكنه تردد قليلاً وحصل على شيك بعشرين مليون دولار.

بعد الظهر حصل على تدليك في جيفنشـي سـبا لفندق رويال ميراج، أفخم فندق في المدينة. رفعت عربية أكمام قميصها مظهرة زنود كبيرة، وأظهرت ابتسامة وهي ترفع وعاء من الذهب وفرجت ما يحتويه بقوة طالبان. ليس أنني أشـعر بانتعاش تسـاءل وهو ينظر إلـى طـرف لكن المتعة في إنفاق مال على أشـياء غير مفيدة يشـير إلى انطلاقة جديدة. جلس على كرسـي من الحديد. كان الشخص المجاور جالسـاً وأشار بأصابعه إلى الطاولة المنخفضة وإلى كأس البيرة الموجودة بينهما. قال لفرانسوا إنه من كورسيكا ويمثل شركة بريتيش بتروليوم في السـعودية وجاء إلى دبي للابتعاد عن القسـاوة الوهابية. "لم يعد يجد متعة في الرياض بالاشـتراك في مسـابقة من يستطيع الاحتفاظ في ثلاجته بلحم الخنزير المهرب أو انتظار الأعياد الوطنية للدول الغربية للذهاب واحتساء الخمرة في السفارات. لكن دبي، دبي! الحرية في الشرق الأوسط، الخمرة مسموحة في المطاعم والفنادق النسـاء متحررة وتستطيع مصاحبة رجال غير أزواجهن أو إخوتهـن. أهـل دبي عباقرة في التحرك كما هم الشـعوب المتاجرة وقد استعاضوا عن النفط بنشاطات أخرى لأنهم لا يملكون الكثير من النفط. النفط هو الشيطان. قال الكورسيكي بلهجة قوية. النفط هو الشيطان، هذا الأخصائي يعتبره ثروة لا تأتي من أي عمل، أي طموح، أي تفكير تؤدي إلى الكسل وتقتل المخيلة وتنشر العيوب.

جاء بعدة نكات عن أمراء العائلة السعودية الحاكمة، الذين يتعاطون المخدرات وأمور أخرى واستعاضوا عن الصيد بواسطة الصقر إلى مشـاهدة أفلام العنف الأميركية على شاشـات عملاقة في القصور الرخاميـة المكيفـة. وهـؤلاء النـاس الذين يجمعون الثـروات على حساب عمل الآخرين يبيعون النفط بأسعار غالية، تابع هذا الفاضل، الشعوب الأخرى مصابة بالسعار يصطفون حول مضخة النفط والتي اسـتعمرتهم في البداية. العمل الشـاذ في تاريخ أوروبا ويجب دفع الثمـن، قال فرانسـوا وهو غاضب. هذا الشـاب القصيـر البدين ذو الشفاه الغليظة والنظرة الثاقبة يعاني من القيام بعمل يحتقره. هذا ما استنتجه فرانسوا الذي وجده رائعاً. كان عنده نفس الأفكار، وكانت دائمـاً أفكاره. قال لن يكون هناك عائق بيني وبين فهم العالم! بقي اسـم فيرغسون اسـم يجب الاحتفاظ به في خزانة الشخصيات في حال لم يفِ اسـم فرانسـوا برانسـون بالغرض. شـرح فيرغسون أن عطلتـه هي بسـبب العيد. هل تعـرف التريلوجي وعليك أن تجرب البيبرمنـت، إنـه المحل الـذي يقدم الأفضل في العالـم. قبل ذلك، كان على موعد مع منتج لبناني يبحث عن مندوبين للنسخة العربية لبرنامـج منوعات إنكليزي. شـاهدناه في "سيد بتـرول" وهو يقدم المعلومات عن الحياة في الإمارات. لقد اسـتأجر فيرغسـون سيارة رولز لأخذ المنتج في جولة وأنت أيضاً سيدي؟

مفاجأة، كان فرانسوا برانسون في قطاع الفن. درس المحاماة وتحـول إلـى الفن. هو يسـتقدم أفضل الفرق فـي العالم إلى علب الليـل الأكثر إثارة في دبي. إننـي أحضر لحفلة في قصر الصحراء، المهى، نصر مؤكد. نصر. سـيكون هناك نجوم في السـهرة، روس

وموسـيقيين وصديقي ستيفان سـيغال". كان الكورسيكي ينظر إلى الـوراء قبـل أن ينزعج، فوجئ فرانسـوا: كيف يمكن أن يكون بهذه الوقاحة؟ شارحاً له أن فرقة الراب غير مرغوب بها، لأن هناك اعتقاد أنها فرقة من السـوقيين، كانت شـكوى في الواقع من رجل فخور وتسـاءل بمن يذكره هذا الإنسـان. ونتيجة البحـث الدؤوب توقف عن فهم ما يقول الكورسيكي. دبي هي أميركا في التسعينات 1890 والصين عام 1990. صعدت الصورة إلى ذهنه، إنها صورة الشـاب الرومنسـي في البالاس. قام بحركة ونظر باتجاه نظرة الكورسيكي. كان هناك جسم بالفعل. جالس في كرسي ثابت، جامد، مسام جلده ممددة، المومس تنتبه للكأس على طاولتها. كان فيرغسـون جالس على كرسي طويل الأفخاذ مفتوحة والأيدي على الركبتين وينظر إلى فرانسوا مباشرة. نظن أنه لاعب الكرة دافيد بيكهام: "الرجل الأكثر سـخافة في لبسـه في العالم والذي اشـترى فيلا في مجمع العالم. نظن ذلك، قول ذلك يكفي. لا تهم الحقيقة طالما نجذب الزبائن، تابع بالفرنسية: رجال القرن الواحد والعشرين يريدون العالم حديقة للمرح خاصة لاواقعية. لقد عانوا كثيراً خلال القرن العشرين. كان القرن العشـرين حفلة دعارة في الواقع. حروب عالمية، معسكرات هتلر وستالين وماو وبول بوت. "ابقَ مركزاً"، القليل من التركيز قال هـذا القرن للرجـل ولا يريد الرجل الحالي سـوى الانفلات. وهو يسـافر وينتقـل مـن مركز للمرح إلـى آخر. يحلـم أن يصبح العالم بكامله حديقة مرح حيث لا يوجد أي ظالم. وقد تمّ إنشاء منطقتين حتـى الآن موناكـو ولاس فيغاس. لكنهما تبدوان بسـيطتان مقارنة مـع دبي. سـوف تلوث دبـي العالم. قم ببيع أسـهمك فـي ديزني،

أخي، فالشـاطئ سوف يتوسع. هل رأيت لباسة الأحذية المصنوعة مـن الباطـون على طول سـوق الإمـارات حيث يصنـع ثلاثين طن من الثلج يومياً للسـماح بالتزلج قـرب الصحراء؟ التزلج في دبي؟ وأنتم آل فيرغسـون تديرونه. أما بالنسـبة للإنكليز فإنهم سينشـئون حديقة الديناسـور. الغرب يرسل أدمغته بالطائرة ترافقهم العاهرات التي تعلن على الإنترنت. جامعة السوربون تبيع امتيازها لأبو ظبي وتؤجر أسـاتذتها مقابل مئـات الآلاف من الدولارات التي تأخذها هـذه البيروقراطيـة منك عنـد تحويلها إلى فرنسـا: أصبحت أوروبا القديمـة فينيـس، مومس تسـبح فـي عارها ولن تحصـل على نعمة الغرق".

تسـاءل فرانسـوا إذا لم يكن الواشي بالمخدرات هو نفسه، أو السكران. ما هذا النشاط. طلب الكورسيكي زجاجة بيرة أخرى ثم قاطع فرانسوا وانحنى نحوه مع تذمر. دخل مايكل جاكسون، خلال الشتاء إلى حمام النساء في المركز التجاري ابن بطوطة، رفع حجابه وأعاد تجميل نفسه. أخذت امرأة صورة له عبر التلفون النقال. طلب مرافقـو مايـكل محـو الصورة. غيـر ممكن إلا بمقابـل. لم تحصل علـى مقابـل، قامت بمحو صورة واحتفظت بأخرى دون أن ينتبهوا لها وهذه الصورة هي ما اقترح أحد أقارب فيرغسـون شـراءها. ما قيمة خمسين ألف دولار إذا كنت ستبيعها مجدداً إلى مجلة هيث. أليس كذلك يا أخي؟ لا تقم بذلك هذه مؤامرة قال فرانسوا: حسناً، أجاب الكورسيكي وعاد إلى التمدد على الكرسي الطويل مع تنهيدة كبيرة، أليس المجتمع بكامله مؤامرة حيث يستطيع الجميع الدخول؟ توقف ثم أغلق عينيه وكأنه غائب عن الوعي، عندما استعد فرانسوا

للوقوف، أمسكه بذراعه بسرعة مذهلة. نظر فرانسوا إلى اليد القصيرة المغطاة بالشعر وعاد فجلس تحت ضغطه. أدار فيرغسون رأسه مع تكشيرة مبعثرة. قال فيرغسون بشكل جاف: لنتبادل التذكارات ردّ فرانسوا ليس لديّ تذكارات. التذكار هو الراحة بالنسبة للذين كانت حياتهم هانئة". حرّك قبضته وبدّل مكانه.

علـى البار طلب مشروب بروزاك بعدما خضع بشكل جيد للفحص الطبي ثم اتصل بزاك لي. وحسب غوغل، لم يفعل شيئاً منذ سنوات باستثناء شريطين بالفرنسية لم ينجحا. سيكون مسروراً بالتأكيد لإمكانية الغناء في علبة ليلية في المدينة الأكثر رواجاً في العالم، دقّ الجرس، لم يكن لدى غوغل صورة حديثة دائماً زاك الجميل في التسعينات. أنا كبرت دون أن أزهر قال فرانسوا وهو ينظر إلى نفسه في المرآة في جيفنشي سبا بينما كان خلفه ذراع فوق كتفه والإصبع على وجهه، شرحت المغربية التدليك الذي سوف تقوم به له.

سمراء، أنفها معقوف وشعرها مربوط إلى الخلف ومبلل بالماء من حيث خرجت قبل بضع لحظات، كانت متكبرة وهي ممددة. يمكن القول إنها أميرة توسكانية من عهد النهضة. أجل، إيطالية، قال فرانسوا أو أنني لست رجل خبير. أنا رجل نساء المسابح، إنها تتبدل تتخذ شكلاً أو واجهة أو مثل هذه النقرة. المسابح هي أماكن عمادة زرقاء تسهر على كل شيء حول القديسات الممددات. هل يكلمها؟ إنها ليست من الصنف الذي أحبه. ربما هذا سبب وجيه للحديث معها.

لقد عشت فترة طويلة مع امرأة من نوعي لمعرفة ما يمكن أن

يحصل من الأسوأ. هذا يمنعنا من الخروج من ذواتنا. امرأة من نوعنا، هي مثل هؤلاء المهاجرين الذين يعيشون فيما بينهم. من الداخل، لم أحب باميلا. ردّ صوت بداخله. تريد القول جنيفر؟ - كلا، كلا باميلا - لو أتصل بجنيفر؟ وأين؟ ولأروي لها ماذا؟ - لكن كم أنا نجم؟ انسلخت عن التلفزيون وميزته. أتذكر ذلك الشعور الذي لم أرغب إعطاؤه اسم؟ - أجل لقد استعدت كرامتي". قرّر التحدث مع الإيطالية عندما تقدم رجل يرتدي ملابس السباحة وداعب كتفها بأصابعه الطويلة والنحيفة وأظافر كبيرة أطرافها سوداء، تبدو كأظافر النسر. ثم خصلة الشعر، الوجه طويل، الخدود منقورة ولا يوجد عنده لحية. إن التشابه بينه وبين إيميريك لاغولاي يزعجني. القدر إيميريك لاغولاي العائلة الملوثة لاغولاي. دائماً نفس الأشخاص في السلطة مهما فعلنا. قرصنة حيث يدخل الجميع. البورجوازية الفرنسية القديمة تشبه باب البالاس: "إنها سهرة خاصة" غير أن المظهر الحسن لا يكفي للدخول وحتى لو حصل ذلك لا يكون سوى بالسماح. ابتسامات حمقاء مغلقة ويراد أن أشعر بالندم؟ صفق بأصابعه واستدعى خادم: "إنني أبدّل مكاني، أحضر لي ويسكي هناك؟".

من الجهة الأخرى من المسبح تقدمت امرأة محجبة كلياً بالأسود إلا فتحات عند العيون. توقفت عند طرف المسبح ونظرت إلى كل الغربيين المرتاحين. لماذا تحضر إلى مكان فاسد، إذا لم يكن من أجل متعة الكره؟ "إنها لا تنتظر شيئاً سوى أن تعلن عليها الحرب" قال الكورسيكي وهي تمر بجانبه. ليحفظني الله قال فرانسوا بسره وابتعد.

إذا كان عليَّ اعتناق الإسلام سأعتنقه. إنه الدين الأقوى. لم يقبض حتى الآن على بن لادن. قرص شيء ما عينه. سال ستار من العرق على جبينه. كان مقتنعاً أن المرأة التي ترتدي اللباس الأسود تتفحصه. لا أحد يشتبه به مع ذلك بمقتل السيدة لاغولاي على البار، كان عازف البيانو في الفندق يعزف مقطوعات معروفة. من وقت لآخر كان يعزف بقوة كما لو كان ينتقم من عدم مبالاة الزبائن. قال فرانسوا: "أنت شمس حياتي، إحدى أغاني أمه. انتبه قال لنفسه، لا أغنية للأم على طريقة السيدة لاغولاي الصغيرة الساذجة تقول لأولادها: "إنها الأغنية التي كنت أستمع إليها عندما كنت أرتدي" حسناً "هذه هي أغنية العام الذي كانت فيه قصة شعري أنيقة" قالت أدلين عبادي. كلا، لم يكن الآخرون قد لفتوا انتباهها المرأة العزيزة. طلب تاكسي من الاستعلامات. بعد ظهر غريب! زبائن غريبين! في المرآة رأى الإيطالية تمر خلفه، ابتسم لها. ابتسامتي، تحفتي! ابتسمت له. آه، حسناً، عندها الإغراء بأن تحب، الإغواء بأن تحب... انتبه إنها في الواقع تبتسم للكورسيكي الذي ينظر إلى المرأة المحجبة التي كانت تنظر بدورها إلى فرانسوا. فكّر: إنهم يتجسسون عليَّ أو أنها تغويني؟ فقد صوابه. في اللحظة الذي ترك الهذيان، عاد الأمل إليه: كان زوج الإيطالية يقف عند المدخل، مشيراً إلى الخادم ليفتح باب التاكسي وهو ينادي المرأة بإشارة من ذقنه عيونه، جاحظة من الغضب. محافظة على ابتسامتها، خفضت جفونها ثم بحركة سلسلة ابتعدت، تهيأ لفرانسوا أنها همست وهي مارة بقربه بصوت فرنسي ناعم: "احذر الرجل الذي يجب الحذر منه!".

قطعت سيارة مازاراتي مسرعة الطريق على شاحنة تنحرف عن ورشة بناء. قال فرانسوا من داخل التاكسي: إنني أرى الصورة المخفية في عبارة: "قبر مفتوح"، كان السائق يقود بسرعة قصوى نحو الموت في سيارة تشبه التابوت. كم هي إيحائية! من؟ بعد دورانها صدمت المازاراتي التاكسي. شاهد فرانسوا السائق الهندي يرفع يديه من جهتي قبعته، ثم ظلام. خلع القبعة عن رأسه مقتنعاً أنه أصيب بجروح بالغة. كان السائق ينتحب. فكّر: لهذا يصبح الهنود بدينين وهم يشيخون، لسانهم من العسل. لاحظ ما هو سحري بالنسبة له في هذا الظرف وعادت إليه فكرة أنه مجروح. هزّ رأسه متوقعاً أن يطقطق، كان شلال من الدم يسيل من أذنيه وجحظت عيناه. في هذه المدينة التي اعتقد أنها تغربت، الكوميديا العربية تزهر: قلقت النساء على صحته وهي تصرخ، أوقف الرجال سائق المازاراتي وهو ياباني غبي. "لقد نجوت من الموت أنا لا أقهر" قال فرانسوا.

يللا، فرانسوا داريه

كان ينظر في محل إلى صورة لمومياء بدون ضمادات. كانت تحرك يديها الشبيهة بأصابع الفانيليا على عظمة طير محروق. إنها تتمزق من الغضب منذ خمسة آلاف سنة. حسناً، كان لا ينام جيداً لكن ذلك بسبب المال. لم يعد للأدوية أي فعالية سوى لثلاث ساعات على الأكثر. في البداية كان يخاف من النوم وللبدء بالليلة الأولى التي أمضاها في باريس جالساً يشاهد التلفزيون في الاستديو. خشي أن يعاود رؤية مدام لاغولاي في الحلم وهي تختنق على المقعد بمعزل عن تربيت اليدين على مقابض المقعد حيث كانت أساورها تحدث صوتاً صغيراً صافياً ومثيراً. بعد وضعه كرسي في مواجهتها لمراقبتها، شيء فعله لفترة طويلة مركزاً في مخيلته الصورة الوحيدة للجسم بهدف محو العقل، التقط المخدة وعاد فوضعها في مكانها على الكنبة ثم ذهب كما جاء ولم يلتقِ بأحد. نام الساعة السابعة صباحاً خلال برنامج يعطون فيه نصائح حول التعامل مع التصلب. لم يحصل أي حلم حتى في الأيام التالية. وجد كذبة الأفلام التي تظهر معذبين من الندم بعد جريمة قتل. إن المرأة الوحيدة التي قامت بما ينتظره من امرأة، الاهتمام به إلى درجة التضحية بحريتها، قتلها... كان يقول ذلك بطريقة غريبة. آه، الخوف استمر بضعة أسابيع وبرز بدون سبب منطقي في كل وقت من النهار لكن خاصة عند المساء، الليالي المرعبة. اعتقد أنه لن يندم وحصل

ذلـك. كان الوهـم الموجود في جانب ينهـزم من وهم آخر: بدأت فكرة أن الشرطة تلاحقه تثير قلقه. للمرة الثانية في حياته هرب من باريس عن طريق إسـبانيا. بعد أقل من سـنة، في دبي لم يتبقَ معه سوى 12 ألف دولار. كانت هنا معه نقداً أوراق من فئة المئة دولار موضوعة على الطاولة قرب حقيبة إيميريك لاغولاي السوداء. يعتقد أنهـا لوحة لفان غـوغ فكّر، بالطبع عليه إزالة الطاولة الرخامية التي عليها أناناس والكراسي البرونزية المذهبة والكنبات الجلدية العاجية اللـون وفـي الخلـف الزجاج الشـفاف وورائه البحـر، البحر وعلى شاطئه الطيور. على شاشة التلفزيون ظهر الفيديو كليب "لا أستطيع إبعادك عن تفكيري"، مشهد قديم من العام 2001 حيث كيلي مينوغ مرتديـة ملابس راهبة ترقص بطريقة متقطعة أكثر منها حسـية. بدل القناة. على القناة الخامسة، هناك أخبار كندية عن موضوع فساد في موضوع النسـب في الأسـواق العامة. كانت قنـاة الجزيرة الرياضية تنقل مباراة رياضية حيث امرأة محجبة تركض في سباق المئة متر. أخذ حصة عن سيرة حياة على قناة ستار ورلد. كان راسل كرو قد ألقى هاتف على رأس موظف فندق اشـتكى عليه: جاءت الشـرطة لأخذ الممثل وشـوهد والقيود في يديه. من أبلغ محطات التلفزة؟ الفندق؟ الشـرطة؟ موظف؟ كان يخرج من الفندق ذليلاً بحيث لـم يجـد فرانسـوا أناقته. فـي اليوم التالي ذهب إلـى التلفزيون ليعتذر: "بصفتـي رب عائلة... أعتذر..." ماذا حصل للرجال الحقيقيين؟ تساءل فرانسوا. أعاد التلفزيون إلى القناة الخامسة.. كان هناك هذا أنـا، انظـر، هذا أنا. هل هذا أنا؟ لم أشـاهد نفسـي على التلفزيون. كـم أنا نكرة؟ أوقف الذهول الاشـمئزاز وبقـي وإصبعه على منظم

البرامج؛ كانوا يقارنوه برجل آخر. تقريباً بنفس السن، فريديريك بوردان انتحل شخصيات آخرين مثله وعاش في الولايات المتحدة تحت اسم مزيف مثله وذهب إلى السجن مثله وظهر على التلفزيون، مئة ألف مرة مثله لكنها لا تعطي هوية اعترض فرانسوا ما عداه: لم تنتظر أي كاميرا هذا الرجل في مطار رواسي، لم يكن مشهوراً ولم يؤلف كتاب ولم يروا صوره على صفحات مجلات "الشعب" "فعلت أفضل منه" كره فوراً هذه الملاحظة لا مجال لمقارنته بهذا المثير للشفقة! "منخرف نرجسي يبحث عن المجد الإعلامي" قال محلل نفسي: "إذا سمينا ذلك مجداً!" أجاب فرانسوا بصوت عالٍ. فعل هذا البوردان ما لم يفكر القيام به: البحث عن الإغواء من خلال التشبه. مزوراً هوية مراهقين مطلوبين مذكورين على الإنترنت حصل على نجاح كبير مع نيولا باركلي، أميركي مفقود قبل سنوات بعمر الثالثة عشر. عندما جرى اعتقاله في إسبانيا قال إنه باركلي وقد وصلت شقيقته من الولايات المتحدة وفي اليوم التالي وجد في تكساس. استقبلته العائلة مع أنه ليس لديه نفس لون العينين لابنها، لا يشبهه بشيء ويتحدث بلكنة فرنسية لم يفقدها. تساءل فرانسوا للمرة الألف: يريد الناس أن يصدقوا. أكيد، يصدقوك على حساب أي تفكير عنصري. بالتحديد، بما أنهم لا يريدون التفكير: يرغبون بتعزية أنفسهم. في تكساس، دعي الابن المزيف من قبل محطات تلفزيونية بحضور أهل أطفال مفقودين في الخارج والذين قال لهم: أعرف أين هم. محطم قلوب ويقارنوه به؟ نيكولا باركلي، ليو بالي، وغيرها من التعديات والتدمير ثم تلا المذيع صلاة مؤثرة. أنا قمت بالبناء وأنا أختلق شخصياتي وعملت على المحافظة على

اسمي الأول قال فرانسوا، ليس فقط حتى لا أفاجأ عندما ينادوني من بعيد (دانيال!) دانيال! دانيال - أوه، عفواً "لم أسمعكم") وأيضاً لأنني لست مغفلاً ومنعني ذلك أن أصبح مغفلاً. اسمي فرانسوا وربما هي الجملة الوحيدة التي لم أكذب حولها في حياتي. لقد خدمتني كسد. الكذب ضروري للحفاظ على العيش. في مواجهة القوى، في مواجهة الصغائر، في مواجهة سوء النية في مواجهة النوايا الحسنة الرهيبة. كل إنسان بحاجة للكذب في وقت ما أو وقت آخر. الأفضل الكذب. أجل الكذب هو واجب. الكذب هو قديس. رغبت أن أكون شخص آخر، أنا أفضل، لم يسمح العالم بذلك. لا يحب الناس أن نتغير. لا يحبون ذلك كما أنهم لا يحبون نقل الأشياء إلى القبو فهم لا يذهبون غالباً إلى هناك ولا يريدون أن يصطدموا. هكذا نولد وهكذا نبقى! العالم في حالة تجمد. لا أحد يتحرك. على المقيمين القيام بعمليات السرقة بسلام! خرج من السجن حيث قام بالتحقيق شرطي من الـ FBI لم يسأله شيء، اسم بوردان لم يبال له وتحدث عن نفسه بصيغة المخاطب واعتقد أنه جميل. قال فرانسوا: غريب. قبيح يعتقد نفسه جميل هذا تعدي على العقل، غطرسة مجسدة، دليل الجنون! أظهر برنامج هذا الرجل وهو يضع معجون الحلاقة على كل وجهه، ببطء، ببطء شديد، ثم يحلق ذقنه ببطء، ببطء شديد أصداغه، أعلى جبينه وحواجبه. وجه جديد، أكبر، أملس، شاحب اللون، ساطع، اقترب من الكاميرا وفتح فمه المليء بأسنان بيضاء أطلق ضحكة مخيفة.

برز الشعور الذي لم يشأ فرانسوا تسميته. هذا!... أنا...! إنه أسوأ من نقص المال. يستطيع إيجاد المال عندما يريد في الطعام

مليارات مثل دبي. كان كتابه يحوي العديد من الوصفات ويستطيع أن يقوده إلى الشيخوخة. ماطل عبد الله طيلة عدة أسابيع وبدأ يشك أنه ليس عضواً من العائلة الحاكمة أكثر منه بائع بطاطا في لورد. كانت الخمسين ألف درهم التي طلبها من أول ساذج قد أعطته ثروة في دبي والذي كان أعطاه إياها ببساطة لأن فرانسوا قال إنه يحتاجها لبدء صفقة، مسجد الجميرة الذي كان قادراً على استئجاره من شخص أصبح غنياً من سين سان دنيس للزواج، كل هذه المسرحيات وضعها بتصرف فرانسوا برانسون. هل يريد ذلك؟ بقي جالساً لمدة طويلة عند طاولة الأناناس مخفضاً رأسه مثل لمبة المهندس.

خلال أسبوع، كان يفكر بنفسه رغماً عنه دون الخروج من البيت، الرد على الهاتف أو مراجعة مراسلاته، متجنباً النظر إلى البحر أمام مبنى البالم ولم يكن يقوى على إغلاق الستائر. كان كل شيء ينفره، نفسه، العالم، شقته التي وجدها جميلة، هذه المدينة التي اعتبرها مهد النهضة للرجل الغربي. لوس أنجلوس، باريس، تاربس التي يهرب منها عقله عندما يقترب منها مثل عصفور متقلب الآراء. إن الأمر يتعلق بالفعل بالعصافير. كان جاموساً شعر أن قدميه في الوحل. كان الأمر غير مريح لكن إذا تحرك لن يصل إلى الأسوأ؟ مجرد النظر إلى باب المدخل يشعره بالألم. شيئاً يسحقه ثم يفرغه. مسحوق، مفرغ. ممدد على الأرض، حاول التنفس بشكل غير منتظم. لم يحلق ذقنه وظهرت لحية كثيفة على وجهه. وقد ابيض شعره وليس لحيته التي وجدها متلائمة مع لونه. بأحسن حال، ذهب إلى شارع الشبكة في المدينة القديمة حيث مجموعة الأبنية

من الستينات مع غسيل يجف على الشرفات، ليشتري دشداشة تتلاءم مع مظهره. لم يكن بحالة جيدة. كان اللون الأبيض للثياب يصيبه بالغثيان. نقاؤها. كل ما لم يكن في حياته، حياته التي لم تكن ذات فائدة، لم يتغير عند الصباح وبقي طيلة النهار محطماً في الكنبة وهو يرتدي لباسه الداخلي ولباس النوم. يخرج، وإذا أدى ذلك إلى موتي؟ هل العيش هو أفضل؟ في الولايات المتحدة عشت ولم يعودوا يرغبون أن أعيش... شهرتي كانت طريقتهم لمنعي من العيش. العالم ليس لأشخاص مثلي، قال ذلك بازدراء إنه يفضل الأشخاص المسخ، البوردان. يحبون المسخ لأنهم أشخاص مسخ. إنهم يطمئنوننا. يدللوهم، يحتفظون بهم في السجن ثم على شاشة التلفزيون. لكن الأبطال...! وكرّر القول مراراً، كئيب في شقة مضيئة لم يعد هناك سوى الويسكي في الخزائن مع علب كورن فلكس التي تصيبه بالغثيان لفكرة أكلها ومعلبات بلا ترتيب، كأنها غرفة طعام أمه. هل نحن مسجونون في داخلنا لدرجة أن نكون نتاج من أنجبنا؟ لاحقته الرموز. لقد حذرته في الفصل الفائت في فندق رويال ميراج، السراب ليس ومن المؤكد أنها غير ملكية! كان هذا يوم محاكمته. نعتقد أنها أبواق الأبوكاليبس الذي يقلب العالم ويدمره، لكن كلا، هنا وكما في أي عدالة يتطلب الأمر وقتاً لتطبيق العقوبات. على شكل كورسيكي، إيطالية وسعودية جاءت ملائكته بسخرية لتقول له: إنها النهاية ولم يفهم. بصق اللبن في المغسلة التي بدا معدنها المنقط ببقع صغيرة من الحليب رمزاً لسيرة حياته. كل شيء كان هنا ليقول له الانشقاق، الخسارة... رتّب المنزل بعناية ليجيب على الرمز برمز لا يفهمه سواه. كانت ملابسه وسخة حتى

الجـوارب التـي أخذتها موضبة المنزل إلـى المصبغة والتي طردها فيما بعد. لم يعد يحتمل أحد. سيرون أنه ليس مهرجاً!

عندمـا نتكلم كثيراً عن شـيء غالباً لأنه غيـر موجود. وعندما نتجنـب الـكلام عنه لأننا نريد أن نخفيـه. قال: لا نلفظ الكلمة أبداً ولنهتم بشرفنا متجنبين النظر إلى الكلمة الأخرى التي تجرحه كثيراً. هيا، هيا، لا شـفقة. رأى نفسـه عائداً إلى فرنسا ومتوجهاً إلى مركز الشـرطة يطلـب عقوبة الموت لنفسـه بعد محاكمـة خطيرة ومؤثرة لكنهـم لا يبحثون عنه، لقـد تأكد من خلال اتصال هاتفي لمايكل، موظف المقهى في ملابس الرياضة بسـن التاسعة والخمسين الذي يحب فرانسوا رغم المال الذي يدين له به وربما لهذا السبب وفخور باتصالاته، اتصال كل سـنة، كل سـنة ونصف ويطلب منه فرانسـوا السكوت، لم يكن هناك سر يحتفظ به بمثل هذه السعادة. بأي حال، كانت وسـائل الإعلام ستجد وسيلة للسخرية من طلبه. قبل رحيله من فرنسا سمع ممثل فكاهي يقول عنه: "ذهب ليشاهد أفلام رعب لأن ذلك يريحه من عائلته. رأى نفسـه يقفز من سـفينة لكن عربي رديء أنقـذه. رأى نفسـه يتحدى مرة جديـدة "أصدقائي الصينيين" ينظمون ألعاب سرية في دبي، لقد أرسلوا رجالهم وراءه. أشخاص لا شـيء يخسـروه، أشـخاص يعاملون بشـكل سـيئ من الآخرين، باكسـتانيين علـى الأرجـح. كيف يقتلـون؟ خرج من بيتـه في اليوم السـابع في سـيارة الهامر التي أخذها للمرة الأخيرة. أطول منه مع سـقفها المنخفض ودفاعها الأمامي مشـابه لدرع ضد الاضطرابات وإطاراتها التي تصل إلى مستوى ساقيه ومرآتها كبيرة مثل تلفزيون المطبخ، لونها برونزي، كانت السيارة الأجمل التي أمتلكها. اشتراها

بثلث ثمنها من صاحب مطعم بلجيكي اضطر للرحيل إلى أوروبا لأمر طارئ لكنه لم يقل ذلك. أوصي بهذه السيارة دليل انتصاري للعالم قال ذلك بأسلوب شجاع.

بعد بضعة نقاشات مملة عبر الهاتف النقال، سمح له بالعبور عبر شارع بانياس حيث يقوم العمال بإفراغ قوارب شراعية مربوطة ببعضها البعض مثل الدومينو وكذلك كراسي من البلاستيك وبلاط سيراميك وألواح من تشيلي وإطارات من الصين ولمبات من فنزويلا وبراميل من المواد الكيماوية من إيران تنقلها الشاحنات وسط السباب والزمامير. كان ذلك على مساحة ثلاثمائة متر مما تبقى من دبي القديمة، والدليل أن لديها عقل لتبقى عند أقدام الأبراج الزجاجية الأكثر متانة، قال فرانسوا وهي تبرز من جديد عندما تنهار إذ إنه لا يفكر إلا بالسقوط، الانحطاط، الإسالة. شاطئ القراصنة! توقف عند الرصيف وابتعد وهو يغلق أبواب السيارة آلياً، حركة يقوم بها عادة بشموخ والتي وجدها كئيبة، ثم توجه نحو عربي يرتدي دشداشة يديه خلف ظهره. دلّ فرانسوا على الاتجاه. آه، أجل، قال هناك. عربي آخر بطنه منتفخة تحت الدشداشة مثل البالون وكوفيته مثبتة بعقال مزدوج أسود يغطي وجه سعيد ودهني. السلام عليكم، السلام عليكم. كانا يعرفان بعضهما من جولات نظمها فرانسوا معه لسواح فرنسيين. شاهد العربي الضخم زميله يبعد جسمه ويرفع حاجبيه ويرفع رأسه وفرانسوا يقوم بحركات معبرة بيده وانتقلت النقود بسرعة بين الاثنين وتصافحا ثم ابتعد فرانسوا. في سيارة الهامر أعطى هندي بالات من الملابس موضبة والذي تبعه بخمول. إنها كل ملابسه باستثناء بدلة تركها معلقة

فـي الخزانـة وحيـدة وحزينة مثل طالب معاقـب. إذا صدق العربي الضعيـف أو لـم يصدق أن أداة التحويـل هي هذه، فهو مخطئ في الحالتين، إذ إنه حصل تحويلان: الأول سيتحقق الليلة والظاهر بيع الملابس. أصرّ فرانسوا على بيعها عوضاً عن منحها ولم يفكر بذلك. هـذه الثلاثة آلاف درهـم أو ألف يورو التي وافق صاحب المركب الشـراعي تحويلها أي أنه زاد خمسـة ليأخذ ثلاثة. اضطر فرانسـوا للبيع بسـعر منخفض والدفع بسـعر أغلى، لأن صاحب المركب لا يرغب فعلياً بأخذ شخصين ضمن الطاقم وإخراج مركبه ليلاً لنزوة مسيحي حسب تعبير والده. بالنسبة له، رجل متدين فأنا كافر قالها بطريقة استفزازية بجرأة وخوف من إظهار صورة خلاعية على شاشة هاتفه النقال وهذا بالنسـبة لفرانسـوا الفرنسـي، فرانسوا من الوسط الرومانـي، لـه نفس الانطباع كما لـو قال "أحب الشـوكولا". كان فرانسـوا بعيـداً عـن أي تفكير تفوق في هذا الوقت حيث لا شـيء يمكنه أن ينقذه سوى العدم.

وضع الحقيبة والشنط الثلاثة على الأرض، قرب بعضها، كلها سـوداء، مفتوحة، فارغة. كتابة رسـالة، لماذا؟ لقـد أخذ عنه العالم فكـرة كمـا يقال دقيقـة ثم خاطئة والتـي لا يسـتطيع تغييرها، فكرة مسبقة؟ توجد للأسف في مخيلة الرجال تمثال غير مادي لفرانسوا داريه لن يبدلوها مقابل أي شـيء في العالم. إن عقل الإنسـان هو بمثابة جزيرة الفصح. تنتصب تماثيل المجد ثابتة لرفاهية الإعجاب وأولاً لمتعـة البصـق. رسـالة كانت ستخدمه للانتقام من الأشـرار وإبـلاغ العالـم أنه يجـب تجنب القاذورات الصغيرة مثل روكسـان لكن ذلك أيضاً لا يريد العالم سـماعه. لروكسـان أيضاً تمثالها مع

قصرها شيدته مخيلة خمسين شخص بين منطقة الجمهورية وبلفيل والذيـن لا ينوون اسـتبداله بآخر. عبادتهم هـي التي يعبدها الناس. وكما يقول كينون، الشر لا يعاقب أبداً. حبذا لو استطاع كتابة كلمة، كلمتين بالتحديد. الكلمتان اللتان تشـيران إلى سـره المعروف من الجميـع. كتبهمـا بحـرف كبيـر علـى ورقة بيضـاء. "والدتـي" كان لذلك تأثيره الصغير. سـوف تجد هذه النرجسـية المرعبة الوسـيلة لاسـتخدامه لمصلحتها: بإهانة تسـعدها، رمى الورقـة في الحمام. "الوداع أيها السر، صباح الخير أيها السر". قال ذلك بينما كانت الورقة تختفي.

منذ زمن بعيد لم تكن أمي مشـكلة. للأسف، احتراماً لكمال، أحـرق آخر أوراقه النقدية في المغسـلة حيث محـا الآثار المعدنية والسوداء. استحم وحلق ذقنه وتعطر ووضع ملابسه في كيس قمامة وارتدى بدلته التي احتفظ بها والتي تناسبه والأجمل. بدلة سموكنغ سوداء، ضيقة لقامة قصيرة وقميص أبيض وكرافات سوداء. وحذاء مطلي وسـاعة غطـس ماركة Sea Fortune لجوليـوس ليجند، آخر موديل استهلك أكثر ستة آلاف دولار لديه. أصبحت حلمي. السيد بوغار لمجلة سيتي. أمام مرآة حافظة الثياب، قام بخطوة راقصة وهو يرفع يديه في الهواء كما في سن الثانية عشرة لا يشعر بشيء وخرج من بيته حيث لم يبقَ محفظة وثلاث شنط.

ولادة، موت، حياة، حالة مستعجلة، ابتذال، كل شيء مساوي للسيارات في الازدحام وقال يجب وضع صفارات إنذار للمنتحرين. قـال السـائق الهندي بلغتـه الإنكليزية، ازدحام ازدحام، إن سـائقي سـيارات التاكسـي يقودها غالبـاً الهنود في دبي مثـل الهايتيين في

نيويـورك. "قلت لك"، أجاب فرانسـوا بطريقـة محزنة. ظلا عالقين أمـام المكتبـة العامة على بعد مئة متر مـن الهدف، كان ذلك موتراً لو لم يكن فرانسوا منفصلاً. صعد على أول مركب حيث ساعدوه للعبور إلى المركب الثاني. "سحقاً" لقد خدشت حذائي تمتم وهو يصـل إلى الأخير. أثارت هذه الشـعلة مـن الغضب انتباهه. كما لو أن الخـدش لـه أهمية الآن! الشـروع في التعقل بدا أنه على شـوك وضعـه على سـكة الحياة. فكرة اجتيـاز المراكب نحو المرفأ أتعبته وأعطى إشـارة للإبحار. عندما خرج من المركب من القناة، تمركز فـي المؤخـرة واضعاً يديـه على درابزين المركب الخشـبي الأزرق الـذي بدأ لـون دهانه يبهت وحيث الدرابزين السـفلي مقلوب مثل أنيـاب باميـلا. ابتعدت دبي سـاطعة مثـل المطار مع برجي شـركة الإمارات. ولـم يشاهد البرج الذي سيصبح الأكثر تميزاً، برج البرج. قـال: رجـل من الماضي مر، رجل من زمـن الخرافيات. انتقل إلى مقدمة المركب وهو يمسـك بالدرابزين. البحر! تنشق الهواء، لكن هذه المدينة كانت اصطناعية بحيث لا رائحة للبحر. ضرب الهواء واقـي الصـدر على معدته. شـعر بالبـرد. قطّب حاجبيـه وكان لديه نفس النظرة الصغيرة الغاضبة التي كانت معه منذ عشرين عاماً على دراجتـه بين تاربـس وإيبوس. اجتاز المركـب الكيلومترات الأربعة بسرعة. وظهرت الشواطئ. العالم، العالم. العالم الآخر.

سـوف ينزل في وسـط السد الذي يحمي شبه الجزيرة يمسك الصخور الكبيرة بأصابعه. ابتعد المركب مصدراً صوت مثل الشاحنة. شاهد الطيور ترفرف وهي تمد أعناقها نحو فرنسا، أميركا، الإمارات، فرانسوا الصغير سوف يغادرها. جاءته فكرة لشخص كان يفكر فيه

قليـلاً. أقنعت نفسـي أنني أحب أبـي لكن لم يكن هذا صحيح. لم يكـن محببـاً بقدر ما هو محترم. هذا بسـبب الكحول بالطبع، لكن كيف التفريق؟ كانت الكحول تشكل جزءاً منه مثل نحافته أو عيونه الزرقاء وعيوني مثله وانتهيت بشرب الخمرة. أب، هذا غير موجود. الأب خُلق ليكون غير موجود. هناك العديد من الأمهات لا تحترم أبناءها. بهذه الفكرة رحل فرانسوا داريه عن العالم رافعاً كتفيه ولم يسـقطه من تفكيره. قـال وأطراف بنطلونه ملتصقة بسـاقيه وحذاؤه مبلول. لسـت واثقاً أنني في الوسـط. لنمشـي. تقدم على الحاجز، خافضاً رأسـه باتجاه الريح. هكذا يكون الحل لقصة عبور البرودة. نصـر. تبـدو باردة ومثلجـة. مقاومـة الوراثة، الاعتقاد السـيئ تجاه الذات. لا يعرفون ما هو الخجل. وإذا... هيا بعض الشجاعة. وصل إلى ما قرّر أنه الوسـط على طرف العالم. ألقى نفسـه في الدوامة. يللا فرانسوا داريه!





أدعى فرانسوا

رواية

شارل دانتزيك

• روائي فرنسي

«أدعى فرانسوا، ربما كانت هذه هي الجملة الوحيدة التي لم أكذب بها في حياتي...».

فرانسوا داريه شاب فرنسي وُلد في أسرة مفككة وعاش حياة صعبة أدت به إلى الإدمان. لم يحظ فرانسوا داريه بحياة عائلية ثابتة ومستقرة لذلك كانت له مغامرات كثيرة في بلاده وفي البلدان الأخرى خاصة في الولايات المتحدة. استخدم في حياته أسماء كثيرة لعائلات كبار الممثلين والمسؤولين، لذلك كان اسمه أحياناً فرانسوا دوباردو، فرانسوا برانسون وغيرها من أسماء العائلات خاصة عائلات رجال الأعمال أو حتى الملوك والرؤساء.

عاش حياة مليئة بالأخطاء والمخالفات القانونية وأصبح ملاحقاً في الولايات المتحدة. دخل إلى السجن وبعد خروجه أصبح مشهوراً نتيجة ظهوره على التلفزيون عدة مرات ليتحدث عن مغامراته. ألّف كتاباً حول سيرته وفي النهاية ذهب إلى دبي حيث عمل لفترة قصيرة ثم سئم الحياة فذهب إلى عرض البحر على متن مركب وانتحر.

كتب **شارل دانتزيك** روايتين لدار غراسيه، الأولى هي «حياتنا المتسارعة»، التي نالت جائزة «جان فروستيه» وجائزة «روجيه نيميه»، والثانية هي «فيلم حب وقاموس في الأنانية في الأدب الفرنسي» التي نالت جائزة «ديسمبر» والجائزة الكبرى لقارئات مجلة Elle وجائزة «التجربة» من الأكاديمية الفرنسية.









تصميم الغلاف: سامح خلف